

مكتبة

مكتبة ٧٤٧

الرواية  
التي حققت  
أعلى المبيعات  
بحسب مجلة  
نيويورك  
تايمز

في

# المنزل المجاور

"بدأت الأحداث  
في أمسية عشاء"

شاري لابينا  
ترجمة: سلمى الحافي

THE NEXT DOOR  
COUPLE

"ستتلاحق الصدمات التي تسببها الحبكة بسرعة  
تجاري سرعتك في تقليب الصفحات"

مجلة "بيبول"

عصير  
الكتب

مكتبة | 747  
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

THE COUPLE NEXT DOOR **في**  
**المنزل المجاور**



للنشر و التوزيع

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● المترجمة: سلمى الحافي

● تدقيق لغوي: نهال جمال

● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

● الطبعة الأولى: يونيو / 2021م

● رقم الإيداع: 21834 / 2020م

● الترميم الدولي: 5-136-992-977-978

● العنوان الأصلي: The Couple Next Door

● العنوان العربي: في المنزل المجاور

● طبع بواسطة: Pamela Dorman

● طبع بواسطة: بامبلا دورمان

● حقوق النشر: شاري لابينا 2016

Copyrights: 2016 by Shari Lapena

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

٢٠٢١ ١١ ٥

مكتبة | 747  
سُر من قرأ

الرواية  
التي حققت  
أعلى المبيعات  
بحسب مجلة  
نيويورك  
تايمز

# في المنزل المجاور

"بدأت الأحداث  
في أمسية عشاء"

شاري لابينا  
ترجمة: سلمى الحافي

THE NEXT DOOR  
COUPLE

"ستتلاحق الصدمات التي تسببها الحبكة بسرعة  
تجاري سرعتك في تقليب الصفحات"

مجلة "بيبول"

عصير  
الكتب

# مكتبة

t.me/t\_pdf

## الفصل الأول

شعرت «آن» باضطراب في معدتها، ودوار في رأسها؛ كانت قد شربت الكثير من الخمر، إذ ظلت «سنثيا» تملأ كأسها طيلة الأمسية. حاولت أن تردع نفسها، لكنها عجزت عن ذلك لأنها لم تجد طريقة أخرى لمساعدتها على تخطي هذه الأمسية. ولأنها ما عادت تعرف كم شربت خلال هذه الأمسية التي يبدو أنها لن تنتهي، صار عليها أن تضحّ حليب صدرها صباحًا لتتخلص منه.

مرهقةً من حرارة تلك الليلة الصيفية، راقبت آن مضيفتها بعينين مُرهقتين. كانت سنثيا تغازل «ماركو»، زوج آن، علناً. كانت آن تتساءل لماذا عليها أن تتحمل هذا الأمر، ولماذا يسمح «غراهام»، زوج سنثيا، بذلك! وعلى الرغم من غضب آن، فإنها لم تعرف كيف تضع حدًا للأمر دون أن تبدو سخيفة ومثيرة للشفقة. كان الجميع مخمورين قليلاً، فتجاهلت الأمر، وغلت نازها بصمت وهي تحتسي النبيذ البارد. لم تكن تربية آن تسمح لها بافتعال المشكلات أو جعل نفسها محطّ انتباه الآخرين.

أما سنثيا..

راقبها ثلاثتهم؛ آن، وماركو، وزوجها غراهام بذهول. وبدأ أن ماركو بالأخص غير قادر على إبعاد عينيه عن سنثيا التي اقتربت منه أكثر من اللازم وانحنت لتملأ كأسه، بقميصها الضيق ذي القبة الواسعة للغاية، مما جعل أنف ماركو على وشك الاحتكاك بصدرها. ذكّرت آن نفسها أن سنثيا تغازل الجميع. وقد كان جمال سنثيا ساحراً لدرجة جعلتها غير قادرة على التحكم بنفسها، لكن شكوك آن في احتمال وجود علاقة بين ماركو وسنثيا كانت تتزايد مع مراقبتها لهما. لم تراودها شكوك من هذا القبيل سابقاً، فعزّت قلقها للكحول.

قرّرت أن تتخلص من شكوكها، فما كانا ليتصرفا هكذا لو كانا يخفيان شيئاً. غازلت سنثيا ماركو أكثر مما فعل هو، واستقبل ماركو مغازلتها واهتمامها بصدر رحب. كان ماركو وسيماً للغاية، بشعره الداكن ذي التصفيفة العفوية، وعينه العسلية، وابتسامته الساحرة، لطالما كان محطّ الأنظار. يشكّل سنثيا وماركو ثنائياً لافتاً. أقنعت آن نفسها بالتوقف عن التفكير بهذه الطريقة، فماركو مخلص لها دون شك، وهي متأكدة من التزامه بمسؤوليته تجاه عائلته، وأن عالمه متمحور حولها وحول طفلتهما، وأنه سيدعمها مهما حدث ومهما ساءت الأحوال.

لكن مراقبة آن لسنثيا وهي تتقرب من ماركو جعل قلقها واستياءها يتزايدان. كان وزنها ما يزال أكثر بعشرين رطلاً بسبب الحمل، وذلك بعد ستة أشهر من ولادة ابنتها. كانت قبل الولادة تظن أن جسدها سيعود لحاله بعد انقضاء مدة كتلك، لكن من الواضح أن الأمر سيستغرق سنة على الأقل، عليها التوقف عن تفقد الصحف الشعبية في متجر البقالة لمقارنة نفسها بالمشاهير من الأمهات، اللواتي يبدو مظهرهن مذهلاً بعد أسابيع قليلة، بفضل مدربيهن الشخصيين.

لكن حتى في أحسن حالاتها، لا تستطيع أن مجاراة أمثال سنثيا، جارتها الأطول والأرشق قامه، ذات الساقين الطويلتين، والخصر النّاحل،

والصدر العارم، والبشرة الصافية، والشعر الكثيف الفاحم. كانت سنثيا في قمة أناقتها على الدوام، بكعبها العالي وثيابها المثيرة، حتى في أمسيةٍ عشاءٍ في المنزل برفقة ثنائي واحد.

لم تستطع أن تركّز مع المحادثة التي تدور بجانبها، فتجاهلتها، وحدقت إلى موقد النار ذي الرخام المنقوش، المماثل للموقد في غرفة النوم والمعيشة الخاصة بها، والواقعة خلف الجدار الذي يتشاركه آن وماركو مع سنثيا وغراهام. فقد كانوا يعيشون في صف منازل متلاصقة، كما هو سائدٌ في هذه المدينة من شمال ولاية نيويورك. بُنيت هذه المنازل المتينة في نهاية القرن التاسع عشر، وكانت جميعها متشابهة؛ ذات طابع إيطاليٍّ، مرّمّة، ومُكلفة، إلا أن منزل آن وماركو في آخر الصف، ويعكس كل منزل اختلافات طفيفة في الديكور والذوق، ليشكل كلٌّ منها تحفةً فنيةً صغيرة.

أخذت أن هاتفها عن طاولة الطعام بحركة خرقاء لتتفقد الساعة، التي قاربت الواحدة صباحًا. كانت قد تفقدت الطفلة عند منتصف الليل، وقد ذهب ماركو ليتفقدّها بعدها بنصف ساعة، ثم خرج ليدخّن سيجارة في الفناء الخلفي برفقة سنثيا، بينما جلست آن وغراهام مرتبكين حول الطاولة المليئة بالبقايا، وأجريا محادثات متكلّفة. كان يجب أن تخرج إلى الفناء الخلفي برفقتهما، أملاً في نسمة علية، لكنها لم تفعل، لأن غراهام لا يحب الوجود بالقرب من دخان السجائر، وتركه وحده في أمسية العشاء الخاصة به كان سيبدو أمرًا وقحًا، أو عدم مراعاة لمشاعره على الأقل، لذا، ولأسباب متعلّقة باللباقة، بقيت هناك. ومثلها، كان غراهام أبيض، أنجلوساكسونيًا، وبروتستانتياً، كان بالغ التهذيب، لكن زواجه بحسنة لعوب مثل سنثيا كان لغزًا. كانت سنثيا وماركو قد عادا منذ دقائق من الفناء الخلفي، وأرادت أن الذهاب بشدة، حتى لو كان الجميع يحظى بوقت جيّد.

نظرت إلى جهاز مراقبة الطفلة الموجود عند نهاية الطاولة، أشعّ ضوءه الأحمر الصغير مثل نهاية سيجارة. كانت شاشة الفيديو مهشّمة، فقد أوقعتها منذ عدة أيام، ولم يجد ماركو الوقت لاستبدالها بعد، لكن الصوت كان ما يزال يعمل. راودتها شكوكٌ فجأةً، وشعرت كم كان كل شيء خاطئًا. فمن تذهب إلى أمسية عشاء لدى الجيران وتترك طفلتها وحيدةً في المنزل؟! أي أمّ تفعل شيئًا كهذا؟ عاودها الألم الداخلي المألوف، النابع من فكرة أنها ليست أمًا جيدة.

لا يهم إن كانت جليسة الأطفال قد ألغت الموعد، كان عليهما أن يجلبا «كورا» معهما، ويضعاهما في عربتها المحمولة. لكن سنثيا قالت إن الأطفال غير مرحّب بهم، إذ كانت الخطة أن تكون الأمسية خاصةً بالبالغين، بمناسبة عيد ميلاد غراهام. مما أضاف إلى أسباب عدم استلطاف آن لسنثيا، التي كانت صديقة جيدة سابقًا. من لا يرحّب بطفلة عمرها ستة أشهر في أمسية عشاء؟! وكيف تركت ماركو يُقنعها أن الأمر عاديٌّ؟ كان تصرّفًا غير مسؤولٍ. تساءلت ماذا كانت لتظن الأخريات في مجموعة صديقاتها من الأمهات لو أخبرتّهن: «تركنا طفلتنا ذات الستة أشهر في المنزل لوحدها وذهبنا إلى أمسية لدى الجيران». تخيلت فكوكهنّ السفلية ترتخي من أثر الصدمة، وتخيلت الصمت المربك. لكنها لن تخبرهنّ يومًا، وإلا فسينبذنها.

تجادلت مع ماركو قبل الأمسية، حين اتّصلت الجليسة وألغت الموعد، اقترحت أن تبقى في المنزل مع الطفلة، فهي لم ترغب بالذهاب إلى العشاء بكل الأحوال، لكن ماركو لم يقتنع إطلاقًا.

قال مصرًا حين تجادلا في المطبخ:

- ليس من المنطقي أن تبقى في المنزل.

- لا أمانع البقاء في المنزل.



قالت ذلك مخفضةً صوتها؛ لم تشأ أن تسمعها سنثيا وهما يتجادلان بخصوص الذهاب إلى أمسيتهما من خلال الجدار المشترك.

- سيفيدك الخروج من المنزل.

ردً بذلك ماركو وأخفض صوته بدوره، ثم أضاف:

- تذكّري ما قاله الطبيب.

حاولت طيلة تلك الأمسية أن تقرر فيما إذا كان تعليقه الأخير لئيمًا وأنانيًا أو مجرد محاولة للمساعدة. استسلمت في النهاية، أفنعتها ماركو بأنه سيكون باستطاعتها سماع الطفلة إن تحرّكت أو استيقظت بواسطة جهاز المراقبة، وأنهما سيتفقّدانها كل نصف ساعة، وأن مكروهاً لن يحصل.

صارت الساعة الواحدة، هل عليها أن تتفقّد كورا الآن، أم تُقنع ماركو بالذهاب؟ أرادت أن تعود إلى سريرها، أرادت أن تنتهي تلك الليلة.

شدّت ذراع زوجها وقالت وهي تحنُّه:

- ماركو، علينا أن نذهب؛ أصبحت الساعة الواحدة.

قالت سنثيا:

- لا تذهبا الآن، لم يتأخر الوقت بعد!

كان من الواضح أنها لا تريد أن تنتهي الأمسية، ولا تريد أن يذهب ماركو، لكن آن كانت متأكدة أنها ما كانت لتمانع في ذهابها وحدها.

قالت آن وهي تحاول أن تبدو صارمة قليلاً على الرغم من سكرها:

- لعله لم يتأخر بالنسبة لك، لكن عليّ أن أستيقظ باكراً لأطعم الطفلة.

- يا لك من مسكينة!

قالت سنثيا ذلك، مما أغضبَ آن لسببٍ ما. لم يكن لدى سنثيا أطفال، ولم ترغب بذلك يوماً. اختارت هي وغراهام ألا ينجبا أطفالاً.

كان إقناع ماركو بالذهاب صعبًا، فقد بدا مصممًا على البقاء؛ كان يحظى بوقت رائع، لكن آن كانت متوترة.

- كأس أخيرة فقط.

قال ماركو ذلك لسنثيا ممسكًا بكأسه، ومتجنبًا النظر في عيني زوجته. كان مزاجه جيدًا تلك الليلة على غير العادة، بدا الأمر مصطنعًا قليلًا. تساءلت آن حول سبب ذلك. كان صامتًا مؤخرًا في المنزل ومشتتًا. لكن في تلك الليلة، وبوجود سنثيا، كان محور الجو اللطيف في الأمسية. شعرت آن بوجود خطبٍ ما مؤخرًا، وتمنّت لو يخبرها ما الذي يجري. ما عاد يخبرها بأي شيء منذ مدة، أبعدها عنه، أو لعلّه ينسحب مبتعدًا عنها بسبب اكتئابها، اكتئاب ما بعد الحمل. ربما خاب أمله بها. من لم يخب ظنّه بها؟ من الواضح أنه في هذه الليلة، يفضل سنثيا الجميلة المشرقة الجذابة.

لاحظت آن الساعة ونفذ صبرها.

- أنا زاهية. كان من المفترض أن أتفقد الطفلة عند الواحدة.

ثم نظرت إلى ماركو وتابعت بصوتٍ حازم:

- ابق أنت قدر ما تشاء.

رمىها ماركو بعينيه اللامعتين، مما جعل آن تفكّر فجأة في أنه لا يبدو ثملًا على الإطلاق، لكنها شعرت بدوار. هل سيتشاجران حول الأمر بحضور الجيران؟ حقًا؟ شرعت آن في البحث عن حقيبتها، وأمسكت جهاز مراقبة الطفلة لتلاحظ أنه موصول بالشاحن إلى الجدار، فانحنت لتفصله، وتركيزها في حقيقة أن كلّ الموجودين يحدّقون بصمت إلى مؤخرتها الممتلئة. فليفعلوا. شعرت أنهم يتأمرون عليها، وأنهم يرون أنها تفسد وقتًا ممتعًا. أحرقتها دموعٌ في عينيها، لكنها قاومت الرغبة في البكاء، لأنها لم تشأ أن يراها الجميع وهي تبكي. لم يكن سنثيا وغراها يعلمان أنها تعاني اكتئاب ما بعد الولادة، ما كانا ليتفهّما الأمر.

لم يخبر ماركو وأن أحدًا باستثناء والده آن. ائتمنتها آن على سرها، كانت تثق بأن أمها لن تخبر أحدًا، ولا حتى والدها. لم تشأ أن يعرف أي شخص آخر، وتظن أن ماركو يوافقها، على الرغم من أنه لم يتكلم حول الأمر، فإن التظاهر بالصحة طوال الوقت كان مرهقًا. وبينما كان ظهرها نحوهم، لاحظت تغييرًا في نبرة صوت ماركو توحى أنه غير رآيه:

- أنتِ محقّة؛ تأخر الوقت، يجب أن نذهب.

سمعتَه يضع كأس نبيذه على الطاولة خلفها. استدارت آن وهي تُزيح شعرها عن عينيها بظهر يدها. كان شعرها بحاجة ماسّة للقص. رسمت ابتسامة مزيفة على وجهها وقالت:

- سنستضيفكما نحن في المرة المقبلة.

وأرادت لو تقول: «بإمكانكما القدوم إلى منزلنا حيث نعيش مع طفلتنا، وأتمنى أن تبكي طوال الليل وتُفسد أمسيتهما. سأحرص على أن تزورانا عندما تبدأ أسنانها بالنمو».

غادرا مسرعين بعدها، فدون الحاجة لجمع مستلزمات الطفلة، ما كان عليهما سوى أن يجمعا شتات نفسيهما، وحقيبة آن التي وضعت فيها جهاز مراقبة الطفلة. بدا أن رحيلهما السريع أزعج سنثيا، وبقي غراهام حياديًا. خرجًا من الباب الثقيل ونزلاً السلم. تمسكت آن بالدرايزين المنحوت لتحافظ على توازنها. يقع السلم الأمامي لمنزلها على بُعد بضع خطوات فقط على الرصيف، بدرايزينه المشابهة وبابه الأمامي الثقيل بدوره. مشّت آن متقدّمةً على ماركو وصامتةً. قد لا تكلمه لما تبقى من الليلة. سعدت درجات السلم ثم توقفت مصعوقةً. سألتها ماركو متوترًا وهو يصعد من خلفها:

- ماذا؟!!

حدّقت آن إلى الباب الأمامي الذي كان مواربًا، كان مفتوحًا بمقدار ثمانية سنتيمترات تقريبًا.

قالت آن بصوت مرتعش:

- متأكدة من أنني قفلته!

ردَّ ماركو باقتضاب:

- لعلك نسيته، فقد أسرفتِ في الشرب.

لكن آن لم تسمعه، فقد كانت في الداخل تصعد السلم ركضًا، ثم عبرت البهو متَّجهة نحو غرفة الطفلة، ولحق بها ماركو. عندما وصلت إلى الغرفة ورأت المهد الفارغ، صرخت.

مكتبة  
t.me/t\_pdf

## الفصل الثاني

شعرت أن بصريتها تدور في رأسها ويرتد صداها عن جدران الغرفة، غصّ المكان بصريتها، ثم انكتم صوتها ووقفت متصلبة أمام المهد الفارغ، ويدها على فمها. ضغط ماركو زر الإنارة، وحدّق كلاهما إلى المهد الفارغ حيث كان من المفترض أن تكون طفلتها. من غير المعقول ألا تكون هناك! يستحيل أن تكون كورا قد خرجت من السرير بنفسها، فهي بالكاد قد بلغت الستة أشهر.

- اتّصل بالشرطة.

همست أن بذلك ثم تقيّأت، وتدافع القيء على إصبعها وعلى الأرضية الخشبية وهي تنحني. غرفة الطفلة المطلية بالأصفر الشاحب، التي تلمع على جدرانها طبقات تمثّل جملاناً صغيرة، امتلأت على الفور برائحة الحموضة والذعر.

لم يتحرك ماركو، رفعت أن نظرها نحوه، كانت الصدمة تكبله، محدّقاً إلى المهد الفارغ كأنه لا يستوعب الأمر. لمست أن الخوف والندم في عينيه، ثم بدأت بالنّحيب بصوت مروّع كعويل وحش مفجوع.

لم يتحرَّك ماركو مع ذلك، اندفعت آن نحو البهو ثم اتَّجَّهت إلى غرفتهما، أمسكت الهاتف الذي كان على الطاولة بجانب السرير، واتَّصلت بالطوارئ بيديها المرتعشتين، فغطَّى القيء الهاتف. أفاق ماركو من صدمته أخيرًا، كان باستطاعتها سماعه يخطو بسرعة في أرجاء الطابق الثاني من المنزل، بينما حدَّقت هي إلى المهد الفارغ في الجهة المقابلة من البهو. تفقَّد الحَمَّام الذي يقع عند نهاية السَلَم، ثم تخطَّأها مُسرِّعًا في طريقه للبحث في غرفة النوم الاحتياطية، ثم في الغرفة الأخيرة في البهو، الغرفة التي حوَّلاها إلى مكتب. وتساءلت آن أثناء ذلك عن سبب بحثه هناك، دون أن تقول شيئًا. وكأن جزءًا من عقلها قد استقلَّ وصار يفكِّر بطريقة منطقية: طفلتها لا تستطيع أن تتحرَّك وحدها، لن تكون في الحَمَّام أو في الغرفة الاحتياطية، أو في المكتب.

شخصٌ ما قد خطَّفها.

حين أجاب موظف الطوارئ، صرخت آن:

- شخصٌ ما خطَّف طفلتنا!

بالكاد استطاعت أن تتمالك نفسها حتى تُجيب عن أسئلة الموظَّف.

قال موظَّف الطوارئ مُطمئنًا إياها:

- أتفهِّم ذلك سيِّدتي. حاولي أن تتماسكي، الشرطة في طريقها إليكما.

أنهت آن المكالمة والرجفةُ تجتاح جسدها، شعرت بالغثيان مجددًا.

تساءلت كيف سيبدو الأمر، فقد تركا طفلتها وحيدة في المنزل، هل

كان ذلك مخالفًا للقانون؟ لا بد أنه كذلك. كيف سيبرِّران ذلك؟

ظهرَ ماركو عند باب الغرفة، وبدا شاحبًا. صاحت وعيناها تقدحان:

- هذا خطُّوك!

ثم مشَّت ودفعته عن طريقها. اندفعت نحو الحَمَّام عند نهاية السَلَم

وتقيَّأت مجددًا، بداخل الحوض هذه المرة، ثم غسلت القيء عن يديها

المرتعتين، وعن فمها. لمحت نفسها في المرآة، كان ماركو واقفاً خلفها. تلاقّت نظراتهما في المرآة. همس:

- أنا آسف، آسف للغاية، إنه خطئي.

وكان باستطاعتها أن ترى أنه كان نادماً بالفعل. على الرغم من ذلك، رفعت أن يدها وحطمت المكان الذي انعكس عليه وجهه في المرآة؛ تهشمت المرآة، وانهارت آن. حاول أن يحضنها، لكنها دفعته عنها وجرت نحو الطابق السفلي. يدها ظلّت تنزف تاركةً وراءها خيطاً من الدم على طول الدرابزين.

بدت الأحداث اللاحقة أشبه بالأحلام، تحوّل منزل آن وماركو الحميمي إلى مسرح جريمةٍ خلال لحظات. جلست آن على الأريكة في غرفة المعيشة، شخصٌ ما قد وضع بطانيةً حول كتفيها، لكنها لم تكف عن الارتعاش. كانت في حالة صدمة. اصطفت سيارات الشرطة في الشارع بجانب المنزل، أومضت أضواؤها الحمراء داخل النافذة الأمامية ودارت على الجدران الشاحبة كأنها دمٌ يضحُّ إلى قلب. جلست آن ساكنةً على الأريكة وحدّقت إلى المشهد أمامها كأن الأضواء قد سلبت لبّها.

كان ماركو قد أعطى الشرطة، بصوته الذي تخلّته الغصات، وصفاً سريعاً للطفلة:

- عمرها ستة أشهر، شقراء، عيناها زرقاوان، نحو سبعة كيلوجرامات، ترتدي حفاضاً يُستعمل لمرة واحدة ورداءً بلون ورديّ فاتح. وقد أخذت بطانية الطفلة الصيفية الخفيفة عن المهد، لونها أبيض بالكامل.

ازدحم المنزل بضباط الشرطة في زيّهم الرسمي، انتشروا وبدؤوا بتفتيش المنزل بطريقة منظمّة. ارتدى بعضهم قفازاتٍ مطاطيةً وحملوا معدّات الأدلة. لم يُفصّ بحث آن وماركو المحموم في أرجاء المنزل قبل وصول الشرطة بدقائق إلى أيّ شيء. تحرّك أعضاء فريق التحليل

الجنائي ببطء، كان من الواضح أنهم لا يبحثون عن كورا، بل عن أدلة، فالطفلة كانت قد خُطفت.

جلس ماركو على الأريكة بجانب آن وحضنها بذراعه وقربها إليه، أرادت أن تبتعد، لكنها لم تفعل، تركت ذراعها تحيطها. كيف كان ليبدو الأمر لو أنها ابتعدت عنه؟ كان باستطاعتها أن تشم رائحة المشروب في أنفاسه.

بدأت آن تلوم نفسها، إنه خطأها. أرادت أن تلوم ماركو، لكنها وافقت على ترك الطفلة وحيدة. كان عليها أن تبقى في المنزل، لا، بل كان عليها أن تأخذها معها إلى منزل الجيران، رغمًا عن أنف سنثيا. غالبًا ما كانت سنثيا لتطردهم وتُلغي حفلة غراهام. أدركت ذلك متأخرة.

سنتقدهما الشرطة، سينتقدهما الجميع. يستحقان ذلك، فقد تركا طفلتهما وحيدة. كان هذا ليكون رأيها لو أن الأمر حصل لشخص سواها، فهي تعرف أن الأمهات انتقاديّات للغاية، وتعرف الشعور الرائع الذي يولده إطلاق الأحكام على شخص آخر من برج عاجي. فكّرت في مجموعة الأمهات التي تراهن، اللواتي تجتمعن برفقة أطفالهنّ أسبوعيًا في منزل إحداهن بالتناوب، ويتناولن القهوة ويثرثرن، فكّرت في الأشياء التي قد تقلنّها عنها.

وصل شخص ما، رجلٌ رصين ببذلة سوداء فاخرة. عامله الضباط ذوو الزي الرسمي باحترام. رفعت آن نظرها نحو الأعلى، فتلاقت عيناها بعينيّه الزرقاوين الثاقبتين، وتساءلت من يكون.

اقترب وجلس على أحد الكراسي قبالة آن وماركو، وعرف عن نفسه بأنه المحقق «رازباك». ثم انحنى إلى الأمام وقال:

- أخبراني بما جرى.

نسيت أن على الفور اسم المحقق، بل بالكاد سمعته، لم تسمع سوى كلمة «محقق». نظرت إليه، واستمدت القوة من الذكاء الواضح



الكامن في عينيه، سيساعدهما، سيساعد في استعادة كورا. حاولت أن تفكر، لكنها لم تستطع؛ كانت مذعورة وخدرة في نفس الوقت. اكتفت بالتحديق إلى عيني المخبر اللماحتين، وتركت ماركو يتولى الكلام. بدأ ماركو حديثه وكان اضطرابه واضحًا:

- كنا في المنزل المجاور... لدى الجيران.

ثم توقف عن الكلام.

قال المحقق.

- ثم؟

تردد ماركو، فسأله المحقق:

- أين كانت الطفلة؟

لم يجب ماركو؛ لم يشأ الاعتراف.

استجمعت أن قواها لتجيب بدلاً عنه، وقالت والدموع تنهمر على وجهها:

- تركناها هنا، في مهدها، وتركنا جهاز المراقبة يعمل.

ترقبت ردة فعل المحقق، يا لهما من والدين فظيعين! لكنه لم يبد أي تأثر.

- تركنا جهاز المراقبة يعمل ونحن هناك، وتفقدناها باستمرار، كل نصف ساعة.

نظرت نحو ماركو وأكملت:

- لم نظن قط..

لكنها لم تستطع إكمال جملتها. رفعت يدها نحو فمها، وضغطت أصابعها على شفيتها.

سألها المحقق وهو يسحب دفتر ملاحظات صغيرًا من الجيب الداخلي لسُترته:

- متى تفقّدتَها آخر مرة؟

قالت آن:

- تفقّدتُها عند منتصف الليل، أذكر كم كانت الساعة، فقد كنا نتفقّدها كل نصف ساعة، وكان دوري قد حان. كانت بخير، كانت نائمة.

قال ماركو:

- تفقّدتُها ثانيةً عند الثانية عشرة والنصف.

سأله المحقق:

- هل أنت واثق تمامًا من الوقت؟

فأوماً ماركو بالإيجاب، وهو يحدِّق إلى قدميه.

- وهل كانت تلك آخر مرة تفقّدتَها فيها قبل عودتكما إلى المنزل؟

قال ماركو وهو يرفع نظره نحو المحقق ويمرّر يده المرتبكة في

شعره الدّاكن:

- نعم، ذهبْتُ لأتفقّدها عند الثانية عشرة والنصف، كان دوري،  
التزمنا بجدول زمنيّ.

أومأت آن مؤيدةً كلامه. سأل المحققُ ماركو:

- كم تناولتما من الكحول الليلة؟

احمرّ وجه ماركو وقال معترفًا:

- كنّا في أمسية عشاء صغيرة لدى الجيران في المنزل المجاور.  
تناولتُ بضع كؤوس.

التفت المحقق إلى آن وقال:

- هل تناولتِ الكحول الليلة، سيدة (كونتي)؟

شعرت بحرارة وجهها المُحرقة، على الأمهات المُرضعات ألا يتناولن  
الكحول. أرادت أن تكذب، لكنها قالت:

- تناولتُ بعض النبيذ مع طعام العشاء. لا أعرف كم شربتُ تمامًا، كانت أمسية عشاء.

تساءلت لأي درجة تبدو عليها الثمالة، وتساءلت حول رأي المحقق بها. شعرت أنه قادرٌ على سبرِ أغوارها. تذكّرت القيء في غرفة الطفلة في الطابق العلويّ. هل يستطيع شمّ رائحة الكحول المنبعثة منها كما تشمُّها هي من ماركو؟ تذكّرت المرأة المتهشّمة في الحمام في الطابق العلويّ، ويدها الدّامية، المضمّدة بمنشفة صحوٍ نظيفة. استحت من حالتها أمامه، والدان ثملان قد تركا ابنتهما ذات الستة أشهر. تساءلت إن كانا سيُتَّهَمَان بأي شيء. سأل ماركو المحقق:

- ما علاقة هذا بالأمر؟

- قد يؤثر على مصداقيّة ملاحظاتكما.

قال المحقق ذلك دون أن يغيّر نبرة صوته. لم يكن يُطلق الأحكام، بدا أن التوصل إلى الحقائق كان غايته الوحيدة. سألتها:

- متى غادرتما الأمسية؟

أجابت أن:

- كانت الساعة قد قاربت على الواحدة والنصف، ظللتُ أراقب الساعة على هاتفي. أردتُ أن أذهب. كان... كان عليّ أن أتفقدها عند الواحدة، كان دوري قد حان، لكنني ظننتُ أننا سنغادر في أي لحظة، وكنتُ أحاول أن أستعجل ماركو.

أنبها ضميرها حدّ الألم؛ هل كانت ستفقد ابنتها لو أنها تفقدتها عند الواحدة؟ لكن عند إعادة النظر للحادثة، فقد كان من الممكن تجنُّب الأمر بالعديد من الطرق الأخرى. قال المحقق:

- قمتُ بالاتصال بالطوارئ عند الواحدة والسابعة والعشرين دقيقة.

قالت أن وهي تسترجع ذكرياتها:

- كان الباب الأمامي مفتوحًا.

كرر المحقق:

- كان الباب الأمامي مفتوحًا؟

قالت آن:

- كان مفتوحًا سبعة أو عشرة سنتيمترات. أنا واثقة من أنني قفلته ورائي عندما تفقدتها عند منتصف الليل.

- ما مدى ثقتك؟

فكرت آن بالأمر. هل كانت واثقة بالفعل؟ حين رأت الباب الأمامي مفتوحًا، كانت متأكدة من أنها أقفلته، لكن بعد كل ما جرى، كيف لها أن تكون متأكدة من أي شيء؟ التفتت إلى زوجها وسألته:

- هل أنت واثق من أنك لم تترك الباب مفتوحًا؟

أجاب باقتضاب:

- نعم، لم أستخدم الباب الأمامي أصلًا، كنت أذهب إلى الجهة الخلفية لتفقدتها، هل تذكرين؟

كرر المحقق:

- استخدمت الباب الخلفي؟

- من المحتمل أنني لم أقفله كل مرة.

اعترفَ ماركو، وغطى وجهه بيديه.

راقب المحقق رازباك الزوجين من كذب. هناك طفلة مفقودة، اختُطفت من مهدها ما بين 12:30 صباحًا و1:27 صباحًا - إن افترضنا أن الوالدين، ماركو و(آن كونتي) صادقان - وذلك من قبل شخص أو مجموعة أشخاص مجهولي الهوية، بينما كان الوالدان في أمسية في المنزل المجاور. وجدَّ الباب الأمامي مفتوحًا جزئيًا، ومن المحتمل أن يكون الأب قد ترك الباب الخلفي دون قفل، وقد وُجد مغلَقًا في الواقع،

مكتبة  
t.me/t\_pdf

لكن دون قفل، حين وصلت الشرطة. لم يُنكر المحقق مِحنة الأم، أو الأب الذي يبدو مفجوعًا بحق، إلا أن الموقف بأكمله مُثير للشكوك. تساءل رازباك حول حقيقة ما يجري.

لَوَّح له المحقق «جنينغز» ليدعوه إليه دون أن يقول شيئًا، فقال المحقق رازباك:

- اعذراني.

وترك الوالدين المنكوبين لفترة قصيرة.

سأله رازباك بصوتٍ خافت:

- ما الأمر؟

رفع جنينغز عبوة صغيرة من حبوب الدواء، وقال:

- وجدتُ هذه في خزانة الحمام.

أخذ رازباك العبوة البلاستيكية الشفافة من جنينغز، وتفحص المُلصق عليها: «(آن كونتي)، سيرترالين، 50 ملجم.» كان رازباك على معرفة بأن السيرترالين مضادُّ اكتئابٍ قويٌّ. أخبره جنينغز:

- مرآة الحمام مهشّمة.

أومأ رازباك برأسه. لم يكن قد صعد إلى الطابق العلوي بعد، ثم قال:

- هل هناك أي شيء آخر؟

هزَّ جنينغز رأسه وقال:

- لا شيء حتى الآن. يبدو المنزل خاليًا من آثار جريمة. لم يُسرق

شيء على ما يبدو. ستتضح الصورة أكثر بعد التحليل الجنائي

الذي ستصل نتائجُه بعد ساعات معدودة.

قال رازباك وهو يُعيد عبوة حبوب الدواء إلى جنينغز:

- حسنًا.

عاد إلى الزوجين وتابع استجوابه. نظر إلى الزوج وقال:

- ماركو، هل تمنع أن أخاطبك باسمك الأول؟ ماذا فعلت بعد أن  
تفقدت الطفلة عند الثانية عشرة والنصف؟

- عدتُ إلى الأمسية، دخنتُ سيجارة في الفناء الخلفي للجيران.

- هل دخنتُ سيجارتك وحيداً؟

- لا، خرجتُ سنثيا معي.

احمرَّ وجه ماركو، ولاحظ رازباك ذلك.

- إنها جارتنا التي استضافتنا للعشاء.

نظر رازباك نحو آن وسألها:

- ألا تدخنين يا سيدة (كونتي)؟

أجابت آن:

- لا، أنا لا أدخن، لكن سنثيا تفعل. كنتُ جالسة عند طاولة الطعام

مع غراهام، زوج سنثيا الذي يكره دخان السجائر، وكنا نحتفل

بمناسبة عيد ميلاده، لذا ظننتُ أنه من الوقاحة تركه وحيداً في

الداخل.

ثم، ودون سبب واضح، قالت دون أن تنتظر سؤالاً:

- كانت سنثيا تُلاطف ماركو طوال الأمسية، وتعاطفتُ مع غراهام.

- حسناً.

قال رازباك ذلك وتفحَّص الزوج الذي كان يبدو تعيساً لأبعد حدٍّ،

ومتوتراً ونادماً. التفتَ رازباك نحوه وقال:

- كنتُ في الخارج، في الفناء الخلفي للمنزل المجاور بعد الساعة

الثانية عشرة بقليل، هل لديك فكرة كم من الوقت بقيتُ هناك؟

هزَّ ماركو رأسه بيأس وقال متردداً:

- ما يقارب الخمسين دقيقة.

- هل رأيت أو سمعت شيئاً ما؟

- ماذا تعني؟

بدأ الزوج مصدومًا، وتلعثم في كلامه، مما جعل رازباك يتساءل كم تناول من الكحول تحديداً.

بسّط له رازباك الفكرة:

- يبدو أن شخصاً ما قد اختطف طفلتكما في وقتٍ ما بين الثانية عشرة والواحدة وسبع وعشرين دقيقة. كنت في الخارج، في الفناء الخلفي للمنزل المجاور بعد الثانية عشرة بقليل، أستبعدُ أن يخرج شخصٌ ما من بابكم الأمامي حاملاً طفلةً في منتصف الليل.

قالت آن:

- لكن الباب الأمامي كان مفتوحًا.

قال ماركو:

- لم أرَ شيئاً.

قال المحقق رازباك:

- هناك ممر ممتدٌ خلف البيوت، على هذه الجهة من الشارع.

فأوماً ماركو موافقاً. أكمل المحقق:

- هل لاحظتَ شخصاً يعبر ذلك الممر عندها؟ هل سمعتَ شيئاً، كسيارةٍ مثلاً؟

أجاب ماركو:

- لا... لا أظن ذلك. أنا آسف، لم أرَ ولم أسمع شيئاً.

غَطَّى وجهه بيديه مجدداً وقال:

- لم أكن منتبهًا.

كان المحقق رازباك قد فحص المنطقة على عَجَلٍ قبل أن يدخل ليُجري مقابله مع الوالدين. وبحسب رأيه فقد كان من المُستبعد -لا المستحيل- أن يخرج غريبٌ ما من الباب الأمامي للمنزل ويتَّجه نحو الشارع حاملاً طفلةً نائمةً، ويُخاطر بأن يراه أحد. بُنيت البيوتُ مصطفةً ومتلاصقة، وقريبًا من الرصيف. كان الشارعُ مُضاءً بشكلٍ جيّدٍ، وكان هناك قدرٌ لا بأس به من حركة مرور السيارات والمُشاة، حتى في وقتٍ متأخّر من الليل، لذا كان من الغريب أن الباب الأمامي كان مفتوحًا، ربما تمّ تضليله عن عمدٍ؟ في تلك الأثناء، كان فريق التحليل الجنائي يمسح البصمات عن الباب الأمامي، لكن رازباك، لسببٍ ما، لم يكن يظن أنهم سيجدون شيئًا.

غالبًا ما تُعدّ الجهة الخلفية منفذًا سالكًا أكثر. معظم المنازل مزوّدة بمدخل مرآبٍ وحيدٍ منفصل يُفضي إلى الممر الواقع خلف المنزل، بما فيها منزل عائلة (كونتي). كانت الأفنيةُ الخلفية طويلةً وضيقةً، ويفصلُ بينها سياج، وقد زُرِع في معظمها أشجارٌ وبعض الزروع، كما هو الحال في منزل عائلة (كونتي). كان الفناء مُعتماً نسبيًا، فلم تُضئهُ أنوار الشارع التي تُنير واجهة المنزل، وكانت ليلةً مُظلمة دونَ قمر. أيًا كان من اختطف الطفلة، فلو خرج من الباب الخلفي لمنزل عائلة (كونتي)، فما كان عليه سوى أن يعبر الفناء الخلفيَّ نحو المرآب الذي سيُفضي به إلى الممر الخلفيِّ. احتمالات أن يشاهده شخصٌ ما وهو يخرج من الباب الخلفي حاملاً طفلةً مختطفةً، ليأخذها نحو سيارة معدة لاستقباله، أقلُّ بكثير من احتمالات أن يشاهده شخصٌ ما وهو يخرج من الباب الأمامي مع الطفلة.

فنتَّش فريق رازباك المنزل والفناء والمرآب بدقّة، ولم يجدوا أثرًا للطفلة المفقودة. كان مرآبُ عائلة (كونتي) فارغًا، وقد تُرك بابُه مفتوحًا



كثيرًا على الممر. ومن الممكن أنه حتى لو جلس شخصٌ ما على الفناء الخلفي المجاور ما كان ليلاحظ أيَّ شيء، إلا إن الأمر مُستبعد، مما يُضيق نافذة حدوث الاختطاف إلى ما بين 12:45 و1:27 صباحًا تقريبًا. سأل رازباك:

- هل تعلمان أن كاشف الحركة لا يعمل؟

قال الزوجُ مصدومًا:

- ماذا؟!!

- لديكما كاشفُ حركةٍ على بابكما الخلفي، من المفترض أن يُنار ضوءً عندما يقترب أحد. هل تعلمان أنه لا يعمل؟

قالت الزوجة همسًا:

- لا.

هزَّ الزوج رأسه بعنف وقال:

- لا، أنا... كان يعمل حينما تفقَدْتُها. ما الذي عطله؟

- تم فكُّ المصباح.

قال المحقق رازباك ذلك وراقب الوالدين بإمعان. توقف عن الكلام،

ثم تابع:

- مما يقودني للاعتقاد بأن الخاطف قد خرج بالطفلة من المخرج الخلفي، إلى المرآب، ونحو الخارج، غالبًا عن طريق سيارة عبر الممر.

تأتى، إلا أن الزوجين لم يقولوا شيئًا. لاحظ أن الزوجة كانت ترتجف.

سأل رازباك وهو يميل نحو الأمام:

- أين سيارتكما؟

رددت أن:

- سيارتنا؟!!



## الفصل الثالث

ترقّب رازباك جوابهما. أجابت الزوجة أولاً:

- إنها في الشارع.

- تركنان سيّارتكما في الشارع ولديكما مرآب خلف المنزل!؟

أجابت آن:

- الجميع يفعلون ذلك، هذا أسهل من عبور الممرّ، خصوصاً في

الصيف. معظم السكّان يحصلون على تصريح للركن، ويركنون

سيّاراتهم في الشارع ببساطة.

قال رازباك:

- حسناً.

سألت الزوجة:

- لماذا؟ ما علاقة هذا بالأمر؟

قال رازباك موضّحاً:

- لعلّ ذلك قد سهّل الأمر على الخاطف. إن كان المرآب فارغاً،

وكان بابه مفتوحاً، فسيكون من السهل نسبياً أن يركن سيارة

في الداخل، ليضع الطفلة في السيارة وهي في المرآب، بعيداً عن الأنظار. وكان هذا ليُصبح أصعب وأكثر خطورة بالتأكيد بوجود سيّارتكما في المرآب. كان ليتحتمّ على الخاطف أن يخاطر أن يراه أحدٌ مع الطفلة عند الممر.

لاحظ رازباك أن الزوج قد شُحِب أكثر، على الرغم من أنه كان بالفعل شاحباً للغاية. أضاف رازباك:

- نأمل أن نحصل على أثر حذاء أو عجلة سيارة من المرآب.  
قالت الأم:

- أنت تجعل الأمر يبدو كأنه مُخطَّط له.

سألها رازباك:

- ألا تظنّين أنه كذلك؟

- أنا... لا أعرف. أظن أنني اعتقدتُ أن كورا قد اختطفت لأننا تركناها في المنزل، أنها جريمة غير مدبّرة، كأن يختطفها شخصٌ ما دون أن أنتبه.

أوماً رازباك برأسه كأنه يحاول فهم الأمر من وجهة نظرها وقال:

- أرى قصدك، مثل أن تترك أمّ طفلها يلعب في الحديقة بينما تذهب هي لجلب المثلّجات من شاحنة المثلّجات، ثم يُختطف الطفل وهي غير منتبهة، تحصل أمورٌ كهذه.

توقف لوهلة عن الكلام ثم تابع:

- لكنك تزيّن بالطبع الاختلاف هنا.

بادلته النظرات دون أن يبدو أنها قد فهمت، فتذكّر أنها في حالة صدمة غالباً، إلا أنه يتعامل مع مواقف كهذه طوال الوقت، فهذا عمله، وشخصيّته تحليلية بعيدة كل البعد عن العاطفيّة. عليه أن يكون كذلك

ليقوم بواجبه على أكمل وجه. كان مصممًا على إيجاد الطفلة، مية أو حية، ويجد خاطفيها.

أخبر الأم بصوته المحايد:

- الفرق هو أنه أيًا كان من اختطف طفلتكما، فقد كان يعرف غالبًا أنها تُركت وحيدة في المنزل.

تبادل الوالدان النظرات. همست الأم:

- لكن أحدًا لم يكن يعرف.

أضاف رازباك:

- بالطبع، من المحتمل أنها كانت لتُختطف حتى لو كنتما نائمين بعمق في غرفتكما. لا نستطيع أن نحسم الأمر.

ودَّ الوالدان أن يصدِّقا أنهما ليسا مذنبين لتركهما طفلتها وحيدة، وأن الأمر كان محتومًا.

سأل رازباك:

- هل تتركان باب المرآب مفتوحًا هكذا دائمًا؟

أجاب الزوج:

- أحيانًا.

- ألا تقفلانه ليلاً؟ لردع السرقة؟

أجاب الزوج:

- لا نحتفظ بأشياء قيِّمة في المرآب. نقفله عمومًا عندما نركن السيارة فيه، عدا ذلك، فلا نترك شيئًا هناك، أدواتي كلها في القبو.

هذا حيٌّ مسالم، لكن الناس يقتحمون المرآب دائمًا، فما

فائدة إقفاله؟

هزَّ رازباك رأسه، ثم سأل:

- ما نوع سيّارتكما؟

أجاب ماركو:

- أودي، لماذا؟

- أودُ أن أُلقي نظرة عليها، هل لي بالمفاتيح؟

تبادل ماركو وأن النظرات مرتبكين، ثم نهض ماركو واتّجه إلى طاولة جانبية بالقرب من الباب الأمامي، وأخذ مجموعة مفاتيح من وعاء، وأعطاها للمحقق دون أن يقول شيئاً وعاد إلى مكانه.

قال رازباك:

- شكرًا.

ثم مال إلى الأمام وقال وهو يعني ما يقوله:

- سنكتشف هويّة الفاعل.

حدّقا إليه، عميقًا في عينيه، وكان وجه الأم متورّمًا لكثرة البكاء، بينما كانت عينا الأب منتفختين ومحمّرتين بسبب قلقه وبسبب الكحول، كان وجهه مخطوف اللون.

أومأ رازباك برأسه لجنينيغز، وغادرا المنزل معًا ليتفقّدا السيارة، بينما جلس الزوجان على الأريكة بصمت وراقبهما يخرجان.

لم تعرف أن ما الذي ينويه المحقق بكل هذا الاهتمام بسيّارتهما، بدا أنه يلمّح لشيء ما. كانت تعلم أنه عند اختفاء الزوجة، فعادةً ما يكون الزوج المشتبه به الأوّل، ولعلّ الأمر صحيحٌ في حال جرى العكس. لكن عند فقدان طفل، فهل يُعدّ الوالدان المشتبه بهما الرئيسيّين؟ بالطبع لا، من قد يؤذي فلذة كبده؟ كما أنه لدى كليهما حجّة غياب قوية، سيشهد لهما سنثيا وغراهام. يستحيل أن يخطفا طفلتها ويخبأها، لم قد يفعلان ذلك؟

لاحظت أن الشرطة تفتش الحيّ، سار ثلاثة ضباط شرطة ذهابًا وإيابًا في الشارع طارقين على الأبواب، وقاموا بمقابلات مع أشخاص تم إيقاظهم للتو. أعطوا للشرطة صورة حديثة لكورا، كانت قد التُقطت قبل عدة أيام فقط. في الصورة كانت طفلة شقراء سعيدة، بعينين زرقاوين واسعتين، تبتسم رافعةً ناظريها نحو الكاميرا.

كانت آن غاضبة من ماركو، أرادت أن تصرخ في وجهه وتوسعه ضربًا بقبضتيها، إلا أنها لم تجرؤ على فعل ذلك، فمنزلهما كان يعجُّ بضباط الشرطة. كان باستطاعتها أن ترى في وجهه الشاحب المحبط أنه يلوم نفسه بالفعل. كانت تعرف أنها لن تستطيع تجاوز المحنة وحيدةً. استدارت نحوه وانهارت على صدره باكيةً. أحاطها بذراعيه وعانقها بحرارة. شعرت برجفته، وبالأسى الذي يعتصر قلبه. وأسّت نفسها بأن فكّرت بأنهما سيتجاوزان الأمر معًا، وأن الشرطة ستجد كورا، وأنهما سيستعيدان ابنتهما.

وإن لم يحصل ذلك، فلن تسامحه يومًا.

خرج المحقق رازباك، ببذلته الصيفية الخفيفة، من الباب الأمامي لمنزل عائلة (كونتي)، ونزل درجات السلم الأمامي، ليغمره ظلام ليلة صيفية حارّة، ومشى المحقق جنينغز خلفه بقليل. كانا قد عملا معًا مسبقًا، وقد رأى كلُّ منهما أشياء يتمنى لو كان يمتلك القدرة على نسيانها.

مشيا معًا نحو الجهة المقابلة من الرصيف، حيث اصطفت السيارات متقاربةً. ضغط رازباك زرًّا، فأضاءت أنوار سيّارة «أودي» للحظات. كان الجيران قد خرجوا مسبقًا ووقفوا عند السلام الأمامية، بثياب نومهم وأرديتهم الصيفية. راقبوا رازباك وجنينغز بينما مشيا نحو سيارة عائلة (كونتي).

وكان كلُّ أمل رازباك أن يكون أحد الجيران قد خبر بشيء ما أو سمع شيئاً ما، ويبوح به.

قال جنينغز بصوتٍ خافت:

- ما رأيك؟

فأجاب رازباك دون تردد:

- لست متفائلاً.

أخذ رازباك زوجين من القفازات المطاطية من جنينغز، وفتح باب السائق. ألقى نظرة وجيزة داخل السيارة، ثم مشى بصمتٍ نحو صندوق السيارة، وتبعه جنينغز. فتح رازباك صندوق السيارة، ونظر المحققان داخله، كان فارغاً ونظيفاً للغاية. كان عمر السيارة لا يتجاوز السنة، وما تزال تبدو جديدة.

قال جنينغز:

- أحب رائحة السيارات الجديدة.

كان من الواضح أن الطفلة ليست هناك، لكن ذلك لا يُلغي احتمالية أنها قد كانت هناك مسبقاً، ولو لفترة قصيرة. لعل التحقيق الجنائي يكشف عن وجود أنسجةٍ من رداءٍ وردي، أو الحمض النووي للطفلة، من آثار ألعابٍ أو دمٍ ربما. سيكون من الصعب بناء قضيةٍ مُحكَّمة دون وجود جثة، لكن الأهالي بالطبع لا يضعون أطفالهم في صندوق سيارَةٍ مدفوعين بحُسن النية. إن وجدوا أدنى أثر للطفلة في الصندوق، فسيحرص على أن ينال الوالدان عقابهما. فقد أثبتت سنين خبرته في عمله أن الناس قادرين على القيام بأشنع الأعمال. أدرك رازباك أنه من المُحتمل أن تكون الطفلة قد فُقدت في وقتٍ ما قبل الغداء. كان ما يزال عليه أن يستجوب الوالدين بخصوص تفاصيل اليوم السابق، وأن يتأكد من رأى الطفلة على قيد الحياة آخر مرة، باستثناء والديها. لكنه سيكتشف الأمر في النهاية. قد يكون ذلك الشخصُ مُساعدَةً تأتي لتُعين



الأم، أو سيّدة تنظيفات، أو جارًا، أو أيّ شخصٍ قد رأى الطفلة حيّةً ذلك اليوم. سينطلقُ في تحقيقه بعد أن يحدد متى شوهدت الطفلة حيّةً آخر مرة. وكلّ الكلام حول استخدام جهاز المراقبة، وتفقدُ الطفلة كل نصف ساعة بينما يتناولان العشاء لدى الجيران، وكاشف الحركة غير الفعّال، والباب الأمامي المفتوح، قد يكون محض حبكةٍ مُتقنةٍ حاكها الوالدان ليكسبا حجةً غياب، ويضللًا السُلطات عن فعلتهما. من الممكن أن يكونا قد قتلا الطفلة في أيّ وقت من ذلك اليوم، عَرَضًا أو عمدًا، ووضعها في صندوق السيارة ليتخلّصا من الجثة قبل الذهاب إلى الأمسية في المنزل المجاور. وإن حافظا على تفكيرهما السليم، فمن الممكن ألا يكونا قد وضعها في الصندوق، بل في مقعد السيارة، فجسد الطفلة ميتةً لا يختلف كثيرًا عنه وهي نائمة. كان رازباك مُدرّكًا لطبعه السّوداوي، إلا أنه لم يكن دائمًا هكذا.

قال مخاطبًا جنينغز:

- أرسل في طلب كلاب البحث عن الجثث.

مكتبة  
t.me/t\_pdf



## الفصل الرابع

عاد رازباك إلى المنزل، وذهب جنينغز ليتفقد ضباط الشرطة. رأى رازباك آن جالسة على طرف الأريكة تبكي، وبجانبها جلست شرطية وقد وضعت يدها على كتفها. لم يكن ماركو برفقتها. شدت رائحة القهوة الطازجة رازباك إلى المطبخ في آخر البيت الضيق الطولي. كان من الواضح أن الزوجين قد غيرا تصميم المطبخ الأساسي منذ مدة قصيرة، وكان كل شيء يبدو فاخرًا للغاية، بدءًا من الخزائن البيضاء حتى الأدوات الكهربائية والطاولات الرخامية. كان ماركو واقفًا في المطبخ بجانب آلة صنع القهوة ورأسه نحو الأسفل، بانتظار أن تجهز. رفع نظره نحو رازباك حين دخل إلى المطبخ، ثم أشاح بنظره عنه، مدفوعًا بخجله ربما، من محاولته الواضحة ليصحو من سكرته. ساد صمتٌ غريب، ثم سأل ماركو بصوتٍ خافت، ودون أن يرفع عينه عن آلة صنع القهوة:

- ما الذي تظنُّه قد حدث لها؟

قال رازباك:

- لا أعرف بعد، لكنني سأفعل.

رفع ماركو الإبريق وسكب القهوة في ثلاثة أكواب خزفية كانت على الطاولة الحجرية الناصعة. لاحظ رازباك الرجفة في يده وهو يسكب القهوة. أعطى ماركو المحقق أحد الأكواب، فأخذه رازباك ممتنًا.

غادر ماركو المطبخ، وعاد إلى غرفة المعيشة حاملاً الكوبين الباقين. راقبه رازباك وهو يخرج مستعجلاً. دائماً ما تكون حالات اختطاف الأطفال عصبية، لأنها تجلب سيركاً إعلامياً، ولأنها نادرًا ما تُفضي إلى النهاية المرجوة. كان يعرف أنه سيُضطر إلى الضغط على الزوجين، فذلك جزء من عمله.

لم يتمكن رازباك يوماً من توقُّع القضية التي تنتظره حين يتم استدعاؤه، إلا أنه لم يتفاجأ يوماً بعد حلّه لأيِّ لغز. يبدو أن قدرته على التفاجؤ قد تبخّرت، لكن فضوله لم يخمد يوماً، لم ينطفئ شوقه لأن يعرف الحقيقة.

وضع رازباك بنفسه بعضاً من السكر والحليب اللذين تركهما ماركو له، ثم توقّف عند مدخل المطبخ ممسكاً بالكوب. كان بإمكانه رؤية طاولة الطعام والخزانة الجانبية من موقعه، بدا واضحاً أنهما تحفتان قيّمتان. ومن خلفهما، كان بإمكانه رؤية الأريكة بمخملها الأخضر الداكن، ورأسَي آن وماركو من الخلف. إلى يمينهما كانت مدفأة رخامية، وفوق رفّ الموقد علّقت لوحة زيتية كبيرة. لم يميّز رازباك المرسوم في اللوحة. كانت الأريكة في مواجهة النافذة الأمامية، وأمامها تماماً كانت طاولة قهوة يوضّع بجانبها كرسيّان واسعان ومريحان.

مشى رازباك نحو غرفة المعيشة، وجلس مجدداً في موقعه السابق مقابل الزوجين، في الكرسي الأقرب إلى المدفأة. لاحظ أن يدي ماركو ما تزالان ترتجفان حين يقرب الكوب إلى شفّتيه، بينما اكتفت آن بضمّ يديها في حضنها حول الكوب، كأنها لا تدرك أنه هناك. كانت قد توقفت عن البكاء مؤقتاً.

كانت أضواء السيارات الساطعة ما تزال تتحرّك على الجدران. جال فريق التحليل الجنائي في أرجاء المنزل مُنجزًا عمله بصمت وفعالية. ساد في المنزل جوٌّ من الانشغال، وطغت الكآبة والسوداوية.

انتظرت رازباك مهمّة حسّاسة تتمثّل في أن يُقنع الزّوجين أنه يعمل من أجل مصلحتهما، وأنه يفعل كل ما بوسعه ليعثر على طفلتها المفقودة، وهو يفعل حقًا، كما هو حال بقية عناصر الشرطة، وذلك على الرغم من أنه يعرف أنه في معظم حالات اختطاف الأطفال المشابهة، الأهل هم المُلامون. وقد رأى عوامل في تلك القضية كيفية جعله يشكُّ فيهما، لكنه ترك الاحتمالات مفتوحة.

بدأ رازباك كلامه:

- أقدمّ خالص اعتذاري، لا أستطيع أن أتخيّل حتى مدى صعوبة الأمر بالنسبة لكما.

رفعت أن نظرها نحوه، وحين لمسّت تعاطفه، عاد الدّمع للتجمّع في عينيها.

سألته وهي تتنُّ:

- من قد يأخذ طفلتنا؟

- هذا ما علينا معرفته.

أجابها رازباك بذلك ثم وضع الكوب على طاولة القهوة وأخرج دفتره وقال:

- قد يبدو هذا سؤالًا بدهيًّا للغاية، هل تملكان أي أفكار حول من قد يكون الخاطف؟

حدّق كلاهما إليه، فمن الجنون طرح فكرة كتلك، وها هما يُضطران إلى مواجهتها.

- هل لاحظتما وجود شخص ما مؤخرًا؟ هل أظهر شخص ما اهتمامًا بطفلتكما؟

هزَّ كِلَا الوالدين رأسيهما مجددًا، والحيرة مرسومة على وجهيهما.

قال رازباك:

- أرجو أن تُمعنا التفكير، وتأخذنا وقتكما. لا بد من وجود سبب، ثمة سبب دائمًا. كل ما علينا فعله هو إيجاده.

بدا أنه لدى ماركو ما يقوله، ثم تراجع عن رأيه. سأله رازباك:

- ما الأمر؟ هذا ليس وقتًا مناسبًا لإخفاء الأسرار.

قال أخيرًا وهو يلتفت نحو زوجته:

- والداك.

قالت والمفاجأة باديةً على وجهها:

- ما خطب والديّ؟

- لديهما المال.

- وإن يكن؟

لم تفهم مقصده.

- لديهما الكثير من المال.

ها نحن أولاء، فكّر رازباك.

نظرت آن إلى زوجها مصعوفةً. من المحتمل أن تكون ممثلة ممتازة.

سألته:

- ما قصدك؟ هل تظنُّ أن أحدًا خطفها من أجل...؟

راقبهما رازباك بعناية، تغيّرت معالم وجهها، ثم قالت:

- هذا أمرٌ جيد.

قالت وهي ترفع نظرها نحوه:

- أليس كذلك؟ إن كان المال كل ما يهّمهم، هل سأستعيد طففتي؟

هل يمتنعون عن إيذائها؟

الأمل الكامن في صوتها كان مُفجعًا حتى كاد رازباك يقتنع أنها بريئة.

- لا بد أنها خائفة للغاية.

قالت ذلك ثم انهارت كلياً، وبكت بحرقة.

أراد رازباك أن يسألها حول والديها، فالوقت عامل محوري في حالات الاختطاف، إلا أنه توجه إلى ماركو بالحديث قائلاً:

- من والداها؟

أجابه ماركو:

- أليس وريتشارد درايز. ريتشارد زوج والدتها.

كتب رازباك ذلك في دفتر ملاحظاته.

استعادت أن السيطرة على نفسها وكزرت:

- يملك والداي الكثير من المال.

- كم تحديداً؟

أجابت أن:

- لا أعرف تمامًا، الملايين.

قال رازباك:

- هلأ كنت أكثر دقة؟

- أظنهما يملكان ما يقارب الخمسة عشر مليوناً، لكن الأمر ليس ظاهراً للعلن.

نظر رازباك إلى ماركو ووجد وجهه خالياً من التعابير.

قالت أن:

- أريد أن أتصل بوالدتي.

ثم نظرت إلى الساعة على رف الموقد. تتبّع رازباك نظراتها. كانت الساعة الثانية والرّبع صباحاً.

علاقة آن بوالديها كانت معقدة. وحين تواجه آن وماركو المشكلات، كما هو الحال غالباً، يُشير ماركو إلى أن علاقتها بهما غير صحيّة. ولعلها

كذلك، لكنهما عائلتها، وهي بحاجة إليهما. وعلى الرغم من أنها تبذل كل ما في وسعها، فإن الأمر لم يكن سهلاً.

أما ماركو فينحدر من بيئة مختلفة كلياً؛ عائلته كبيرة وكثيرة المشاحنات، ويصيحون ببهجة عندما يتقابلون، وإن كانوا لا يتقابلون كثيراً. هاجر والداه من إيطاليا إلى نيويورك قبل ولادة ماركو، ويملكان متجرًا للتنظيف والخياطة. لا يملكان الكثير من النقود، لكنهما يتدبران أمرهما. لم يكن تدخلهما في حياة ماركو مفرطاً كما هو حال والدي آن الثريين. اضطرَّ ماركو وإخوته الأربعة إلى إعالة أنفسهم منذ صغرهم، ولم يعتمدوا على والديهم. عاش ماركو حياته وحيداً، وكيفما شاء، منذ كان في الثامنة عشرة، وتولَّى مصاريف دراسته بنفسه. كان يزور والديه من حين لآخر، إلا أنهما لم يشغلا جزءاً كبيراً من حياته. كانت حالته الاجتماعية متوسطة، ولم يعارضها سوى والدي آن، وأصدقائهما فاحشي الثراء في ملعب «غراندفيو» للغولف والنادي الريفي. ينحدر ماركو من عائلة من الطبقة المتوسطة، يمثلون للقانون ويعملون بجد، ويعيشون بهناء، إلا أنهم لم يكونوا يوماً أكثر من ذلك. لم يرَ أيُّ من أصدقاء آن في الجامعة أو في عملها في معرض الفنون، أن ماركو لا يُناسب مستواها الاجتماعي. المنحدرون من عائلات فاحشة الثراء هم فقط من يظنون ذلك، وهذا كان حال والدة آن. والدُها، (ريتشارد درايز) -وهو زوج والدتها في الواقع- رجل أعمال ناجح، بينما تمتلك والدتها، أليس، الملايين. ترفُّه والدا آن الثريَّان بنقودهما، مع أصدقائهما الأثرياء، وعضويَّتهما في ملعب «غراندفيو» للغولف والنادي الريفي، والسيارات الفاخرة، والعطلات في منشآت من فئة الخمس نجوم. أرسلوا آن إلى مدرسة خاصة للبنات، ثم إلى جامعة جيدة، وكلَّمَا تقدَّم والدها في العمر، ازدادت رغبته في الادِّعاء بأنه عمل جاهداً حتى استحقَّ كل تلك النقود، إلا أن ذلك لا يمتُّ للحقيقة بصلة. اغترَّ بنفسه، وصار متغطرساً.



حين بدأت العلاقة بين آن وماركو تصبح جديّة، تصرّف والداها كما لو أن الكون مُقبِلٌ على نهايته. بدا ماركو تجسيدًا لفكرتهم حول الشاب الشرير، فقد كان جذابًا حدّ الفتنة، ببشرته الفاتحة بالنسبة لكونه إيطاليًا، وشعره الداكن، وعينيه الحالمتين، ومظهره الذي يوحي بنوع من التمرد، وبخاصة حين لا يخلقٍ لحيته. إلا أن الدفء كان يُضيء عينيه حين يرى آن، مع ابتسامةٍ لا يُقدّر جمالها بثمن، لم تستطع أن تقاوم طريقتة في مناداتها: «حبيبتي».

المرّة الأولى التي زار فيها ماركو منزلها ليأخذها في موعدٍ، كانت إحدى اللحظات الحاسمة في بداية نضوج آن. كانت في الثانية والعشرين، وكانت أمها تخبرها حول شابٍ لطيف يعمل محاميًا، أحد أبناء أصدقائها، وكان قد أظهر اهتمامًا بالتعرّف عليها. رفضت آن متململةً، وأشارت إلى أنها تواعد ماركو. قالت والدتها:

- نعم، لكن...

سألتها آن وهي تضمُّ ذراعيها نحو صدرها:

- لكن ماذا؟

- يستحيل أن تكوني جديّة بشأن علاقتكما.

لن تنسى أن يومًا معالم وجه والدتها التي سادها الاستياء والإحراج من نظرة الناس لها. حاولت أن تجد طريقةً لتشرح لأصدقائها سبب مواعدها ابنتها لشابٍ بلا حَسَبٍ ولا نَسَبٍ، ويعمل ساقياً في الجزء الإيطالي من المدينة، ويقود درّاجة ناريّة. لم تكن والدتها تأخذ في الحسبان أن ماركو قد عملٍ ليستحقّ شهادة إدارة الأعمال ذاتها التي يرى الوالدان أنها تليق بابنتهما. ولم تُثر إعجابهما مداومته على العمل في الليل خلال دراسته الجامعية. لعلّهما ظنًّا أن أحدًا لا يليق بابنتهما الصغيرة المدللة.

وبعدها، في مشهد مثاليٍّ، أتى ماركو على درّاجته النارية من نوع «دوكاتي»، فحلقت آن خارجةً من عشِّ والديها، لتستقرّ بين يدي ماركو،

بينما راقبتهما والدتها من خلف الستائر. قبّلها بشغف، دون أن يترجّل عن درّاجته، ثم أعطاهما خوذته الإضافية. ركبت خلفه، وابتعدا تاركين خلفهما ضجيج الدراجة النارية، والحصى المتطاير. في تلك اللحظة قررت أن أنها واقعة في الحب.

إلا أن عمر الثانية والعشرين لا يدوم، فالعمر يمضي والحال يتغيّر. رددت أن:

- أريد أن أتّصل بأمي.

تتألّت الأحداث، وقد مضى ما يقارب الساعة على عودتهما إلى المنزل ليجدا المهد فارغاً.

أمسك ماركو الهاتف وأعطاهما إياه، ثم عاد للجلوس على الأريكة ويداه متصلبتان أمامه، والقلق بارٍ عليه.

ضغطت آن على شاشة هاتفها، وبدأت تبكي قبل أن تُنهي إدخال الرقم. رنّ الهاتف، وأجابّت والدتها.

- أمي.

قالت آن ذلك وأجهشت باكيةً حتى فقدت السيطرة على أنفاسها.

- آن؟ ما خطبك؟

نطقت آن الكلمات بصعوبة:

- شخصٌ ما خطف كورا.

قالت والدتها:

- يا إلهي!

- الشرطة هنا، هلّا أتيتِ؟

- سنأتي حالاً يا آن، تماسكي. أنا ووالدك قادمان.

أنهت آن المكالمة وبكت. والداها قادمان، لطالما ساعداها، حتى عندما تغضبهما، وسيغضبان الآن. نظرت نحو ماركو، ثم أشاحت بوجهها.

## الفصل الخامس

شعر ماركو أنه قد تمَّ إقصاؤه، وهو شعورٌ يعتريه عادةً بوجود والدي أن. ومع أن كورا خُطفت، فقد شعر أنهم يتجاهلون، بينما تكتلُّ ثلاثتهم في تحالفهم المعتاد: زوجته المدعورة، ووالدتها التي تحافظ على اتزانها دائماً، ووالدها المتسلط. أحياناً يجهرن بإقصائهم له، وأحياناً يخفونه، إلا أنه كان يعرف أن الحال ستكون هكذا عندما تزوجها، وظنَّ أنه سيتأقلم مع الأمر.

وقف عند طرف غرف المعيشة، بلا قيمة تُرجى له، وراقب آن الجالسة وسط الأريكة، ووالدتها بجانبها، تضمُّها نحو حضنها، بينما ظلَّ والدها رصيناً، فجلس باستقامة، وربَّت على كتف ابنته. لم يهتم أحدهم بماركو أو بمواساته. شعر أنه مُستبعدٌ وهو في بيته.

إلا أن مصابه كان أشدَّ، فقد غلبه دوارٌ وذعر، وكان جل مراده أن تعود كورا إلى مهدها، وتمنَّى لو أن شيئاً من هذا لم يحدث.

شعر بنظرات المحقق تتفحَّصه، ولم يحظَ باهتمام أحد سواه، فتجاهله ماركو عمداً، على الرغم من أنه كان يعلم أنه ليس التصرف الأمثل، بعدة مشتبهاً. لمَّح المحقق للأمر عدة مرات منذ وصوله إلى

منزلهما. كما سمع ماركو ضباط الشرطة يتهامسون بخصوص جلب كلاب البحث عن الجثث. ولم ينقصه الذكاء ليعرف أنهم ما كانوا ليفعلوا ذلك لولا ظنُّهم أن كورا قد قُتلت قبل أن تغادر المنزل. كان من الواضح أن الشرطة ترى أنهما قد قتلا طفلتهما.

وليجلبوا كلاب البحث عن الجثث؛ لم يكن ذلك ليخيفه. ولعلَّ حالات قتل الآباء لأطفالهم قضيةً تواجه الشرطة دائمًا، لكن يستحيل أن يؤدي طفلة، أمُّه الوحيد في حياته، ومصدر بهجته الذي لا ينضب، وبالأخص في الأشهر الثلاث السابقة التي تتالى فيها تداعي الأمور، وتزايد ضياع أن واكتئابها. ما عادت زوجته كما عهدَها، أين المرأة الجميلة المتوقِّدة التي تزوجها؟ كل شيء يزداد سوءًا، إلا أن رابطة مُبهجة جمعت بكورا، وانتظرا معًا أن يعود كل شيء إلى حاله، وأن تعود أن لطبيعتها.

سيزدريه والدا أن أكثر من أي وقتٍ مضى الآن، إذ إنهما يسامحان أن بسرعة، ويغفران لها أي شيء تقريبًا، حتى هذا، حتى تركها لطفلتها عرضة للخاطفين، إلا أنهما لن يسامحا. سيحافظان على جُلدهما في مواجهة هذه المحنة، وقد كانا رواقيين في صبرهما بالفعل، على عكس ابنتهما العاطفية، وقد ينقدان أن وماركو من أخطاء ارتكباها، هذا ما يطمحان له. ولاحظ ماركو نظرات والد أن من فوق رأسي أن ووالديها، بجبهته التي جعلها التركيز في المشكلة -المشكلة التي أوجدها ماركو- وكيف قد يحلها، كيف قد ينجح في التعامل مع الموقف بطريقة تكفل انتصاره. قد يرمي اللوم على ماركو مرةً أخرى كما يفعل دائمًا، إلا أن لومَه له الآن سيكون قاطعًا.

لم يكن ماركو يطبق حماه، وكان الشعور متبادلًا.

لكنَّ استرجاع كورا أولويَّة، كان هذا كل ما يهْمهم. وعلى الرغم من أنهم عائلة معقدة ومختلَّة في نظر ماركو، فكلُّهم يحبُّون كورا. دمعت عيناه مجددًا حين رمشتا.

لاحظ المحقق رازباك البرود المتجلي بين والدي آن وصهرهما. عادةً ما تُساعد أزماتٌ من هذا النوع في تجاوز حواجزِ كتلك، ولو لمدة قصيرة. هذه قضيةٌ يزعم فيها الوالدان أنهما تركا طفلتهم في المنزل، ثم اختُطفت. وبالنظر إلى العائلة المتجمّعة على الأريكة، عرف المحقق حالاً أن الوالدين سيُبرّئان ابنتهما من أيِّ لوم، وأنه قد حُكِم على ماركو بأن يكون كبش الفداء، لن يُلام سواه، سواء كان ذلك عادلاً أم لا، وبدّاً أنه مُدركٌ للأمر.

نهض والدُ آن عن الأريكة واقترب من رازباك. كان طويلاً عريض المنكبين، بشعرٍ رماديٍّ معدنيٍّ قصير، وهالة الثقة من حوله تكاد توهي بالعدوانية.

## مكتبة

t.me/t\_pdf

- حضرة المحقق؟

أجابه:

- المحقق رازباك.

معتاداً دور المسؤول، قال ماداً يده، بصوته المنخفض الأمر:

- (ريتشارد درايز)، أخبرني عن خطتك لاستعادة حفيدتي.

قال رازباك:

- عناصر الشرطة يفتشون المنطقة، ويستجوبون الجميع بحثاً عن

شهود. وفريق التحليل الجنائي يمسح المنزل والمنطقة المحيطة

به. وعمّنا مواصفات الطفلة على الصعيد المحلي والوطني.

سيتم إعلام العامة قريباً عن طريق التغطية الإعلامية. قد يحالفنا

الحظ في إيجاد دليلٍ ما في كاميرات المراقبة.

توقف عن الكلام لوهلة ثم تابع:

- نأمل أن نجد أدلةً قريباً.

فَكَرَّ رازبَاكُ فِي أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ كُلَّ مَا فِي وَسْعِهِمْ، إِلَّا أَنْ ذَلِكَ غَالِبًا لَنْ يَكُونَ كَافِيًا لِإِنْقَاذِ الْحَفِيدَةِ. بِحَسَبِ خَبْرَتِهِ، فَالْتَحَقِيقَاتُ عَادَةً مَا تَسِيرُ بِبِطْءٍ، إِلَّا فِي حَالِ ظَهَرَ تَغْيِيرَ حَاسِمٍ. لَمْ يَكُنْ الْوَقْتُ لِصَالِحِ الطِّفْلِ، حَتَّى لَوْ كَانَتْ مَا تَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.

اقْتَرَبَ دَرَايْزُ بِمَا يَكْفِي لِيَشْمَ رَازبَاكُ رَائِحَةَ عَطْرِ مَا بَعْدَ الْحَلَاقَةِ الَّتِي يَضَعُهَا، اسْتَدَارَ وَأَلْقَى نَظْرَةَ خَاطِطَةً عَلَى ابْنَتِهِ وَقَالَ مَخْفُضًا صَوْتَهُ أَكْثَرَ:

- هل تفقدتم المنحرفين؟

نَظَرَ رَازبَاكُ إِلَى الرَّجْلِ ضَخْمِ الْجِثَّةِ، وَفَكَرَّ فِي أَنَّهُ الْوَحِيدُ الَّتِي نَظَرَ فِي إِحْتِمَالَاتٍ لَمْ يَحْسَبْ لَهَا أَحَدًا حَسَابًا. وَقَالَ:

- نَتَفَقَّدُ مِنْ نَعْرِفُهُ مِنْهُمْ، إِلَّا أَنَّهُ مَا مِنْ طَرِيقَةٍ لِمَعْرِفَتِهِمْ جَمِيعًا.

- هَذَا سَيُفْجِعُ ابْنَتِي.

قَالَ ذَلِكَ لِلْمَحْقُوقِ هَامَسًا وَهُوَ يَنْظُرُ نَحْوَهَا.

تَسَاءَلَ رَازبَاكُ عَنِ مَدَى مَعْرِفَةِ الْأَبِّ بِاِكْتِتَابِ مَا بَعْدَ الْوِلَادَةِ الَّتِي تَعَانِيهِ ابْنَتُهُ، لَكِنَّهُ خَمَّنَ أَنَّ الْوَقْتَ لَمْ يَكُنْ مَنَاسِبًا. فَصَمَتَ لَوْهَلَةَ ثُمَّ قَالَ:

- ذَكَرْتَ ابْنَتَكَ أَنَّكَ تَمْلِكُ ثَرَوَةً قِيَمَةً، هَلْ هَذَا صَحِيحٌ؟

أَوْمَأَ دَرَايْزُ بِرَأْسِهِ وَقَالَ:

- إِلَى حَدِّ مَا.

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى مَارِكُو، الَّذِي كَانَ يَحْدِّقُ إِلَى أَنْ، لَا نَاحِيَتَهُ.

سَأَلَ رَازبَاكُ:

- هَلْ تَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ دَافِعٌ هَذِهِ الْجَرِيمَةَ مَادِيًا؟

بَدَأَ رَيْتَشَارْدُ مُتَفَاجِئًا، إِلَّا أَنَّهُ أَعَادَ النَّظَرَ وَقَالَ:

- لَا أَعْرِفُ، هَلْ هَذَا مَا تَظُنُّ أَنَّهُ يَجْرِي؟

حَرَكَ رَازبَاكُ رَأْسَهُ وَقَالَ:

- لا نعرف بعد، لكن الاحتمال قائم بالتأكيد.

وترك درايز يفكر ملياً في الأمر، ثم تابع:

- هل هناك من يكرُّ لك الضغينة، في أعمالك التجارية؟  
سأل مصعوقاً:

- هل تقول إن شخصاً قد اختطف حفيدتي لينتقم مني؟!  
- مجرد سؤال.

لم يرفض ريتشارد درايز الفكرة كلياً، وعزاً رازباك ذلك لاحتمال أنه نرجسيٌّ لتلك الدرجة، أو لأنه قد اكتسب عداوات كثيرة على مرّ السنين حتى صار الأمر محتملاً. بعد طول تفكير، هزّ درايز رأسه وقال:

- لا، لا أظن أن أحداً قد يفعل ذلك. ليس لديّ أعداء على حدّ علمي.  
وافقه رازباك قائلاً:

- الاحتمال ليس كبيراً، إلا أن أشياء أكثر غرابةً تحصل.  
ثم فرض الحديث أن يسأل:

- ما هي طبيعة عملك بالتحديد، سيد ريتشارد؟  
أجاب:

- التعبئة والتغليف ووضع العلامات.  
والتفت لتتلاقى نظراته بنظرات رازباك وقال:

- علينا أن نجد كورا أيها المحقق. إنها حفيدتي الوحيدة.  
ربّت بيده على كتف رازباك وأكمل:

- أبقني على اطلاع بمجريات التحقيق.  
ثم أعطاه بطاقة عمله واستدار قائلاً:

- اتّصل بي في أي وقت؛ أودّ معرفة ما يجري.  
بعد وهلة أتى جنينغز وهمس في أذن رازباك:

- الكلاب صارت هنا.

أوما رازباك برأسه ثم ترك العائلة المفجوعة خلفه في غرفة المعيشة. خرج إلى الشارع ليقابل مدرّب الكلاب. كانت سيارة وحدة الكلاب مركونة في الشارع. تعرّف على المعالج، كان شرطياً اسمه (تيمبل)، وقد عمل معه من قبل، رجلٌ صالح وكفاء. سأل تيمبل:

- ما القضية؟

قال رازباك:

- تم الإبلاغ عن اختفاء طفلة من مهدها بعد منتصف الليل.

أوما تيمبل برأسه بجديّة. لم تكن حالات اختفاء الأطفال بالهينة على أحد.

أكمل رازباك:

- عمرها ستة أشهر فقط، لا تستطيع أن تتحرك بنفسها بالطبع.

لم تكن إحدى تلك الحالات التي يستيقظ فيها الطفل عند منتصف الليل، ويهيم في الشارع، فيتعب، ويختبئ في مخزن حديقة ما. لو كانت الحال كذلك، لاستخدموا كلاب التعقب ليتتبّعوا رائحة الطفلة. إلا أن أحداً ما قد أخرج الطفلة من المنزل، وقد طلب كلاب البحث عن الجثث ليرى إن كان بإمكانهم معرفة فيما إذا كانت الطفلة ميتة بالفعل في البيت أو السيارة. تستطيع الكلاب المدربة جيّداً أن تكشف عن طريق الثياب وجود شخص ميت، بعد ساعتين أو ثلاث من الوفاة، إذ تتغيّر كيمياء الجسم بسرعة عند الوفاة، لكن ذلك لا يحصل دفعة واحدة. إن كانت الطفلة قد قُتلت ونُقلت حالاً، فلن تتعرّف الكلاب على رائحتها، لكن في حال كانت لم تُنقل حالاً بعد قتلها، فالأمر يستحق المحاولة. كان رازباك على معرفة بأنه ما من قيمة للمعلومات التي قد يحصل عليها من كلاب البحث عن الجثث، دون أدلة داعمة، مثل وجود جثة، إلا أنه كان مُصمماً على إيجاد أي معلومات ممكنة، فمن عادته أن يُكرّس كل أدوات التحقيق



المحتملة، ويسعى بلا كَلَلٍ ليصل إلى الحقيقة، مدفوعًا بإصراره على معرفة ما جرى.

أومأ تيمبل وقال:

- فلنبدأ.

عاد إلى خلفيّة الشاحنة وفتح الباب، فقفز نحو الأرض كلبان متشابهان من نوع «سبرينغر سبانيل» الإنكليزي، لونهما أبيض وأسود. وجّه تيمبل الكلبين، مستخدمًا يديه وصوته. قال رازباك:

- لنبدأ بالسيارة.

وقادهم نحو سيارة الأودي الخاصة بعائلة (كونتي). ألقى الكلبان بجانب تيمبل بإذعانٍ كُلّي. فريقُ التحليل الجنائي الذي سبقهم إلى المكان، تراجع أفرادُه خلفًا بصمتٍ عندما رأوا الكلبين.

سأل رازباك:

- أتمانعون وجودنا؟ هل لي أن أسمح للكلاب بتفقدُ المكان؟

قال خبير التحليل الجنائي:

- نعم، أنهينا عملنا. تفضل.

أمر تيمبل الكلبين:

- هيا.

باشر الكلبان عملهما، دارا حول السيارة، وهما يتشمّمان بتركيز. قفزا إلى الصندوق، والمقعد الخلفي، ثم إلى المقعد الأمامي، وقفزا خارج السيارة بسرعة. اقتربا وجلسا بجانب مدرّبهما، ونظرا نحو الأعلى. أعطاهما مكافأتهما، وهزّ رأسه قائلاً:

- لم يجدا شيئًا.

- فلننتفدُ المنزل.

قال رازياك ذلك أملاً أن تكون الفتاة المفقودة ما تزال على قيد الحياة، وودّ لو يكون مخطئاً بخصوص والديها، وودّ لو يجدها. ثم ذكر نفسه بأنه عليه ألا يتفائل، وأن يحافظ على موضوعيته، فلا يتورط عاطفياً في الحالات التي توكلّ إليه. يستحيل أن يكمل حياته لو فعل.

تشمّم الكلبان الهواء وهما يصعدان السلم الأمامي ويدخلان المنزل، وعندما دخلا، اصطحبهما المدرّب إلى الطابق العلويّ، وبدأ بغرفة نوم الطفلة.

## الفصل السادس

تقلقت أن عندما دخل الكلبان، وانسلت من تحت ذراع والدتها، ونهضت غير متوازنة. راقبت المدرب وهو يصعد برفقة الكلبين دون أن تقول شيئاً.

شعرت بماركو يقترب منها، فقالت:

- لقد أحضروا كلاب التعقب. الحمد لله! علنا نصل إلى نتيجة الآن. أحست بيده على ذراعها، لكنها تنصت منه أيضاً، وأكملت:
- أريد أن أراهم.

رفع المحقق رازباك ذراعه أمامها وقال بلطف:

- يُفضل أن تظلي هنا ليقوم الكلبان بعملهما.

سألت أن:

- أتريدني أن أحضر شيئاً من ثيابها؟ شيئاً لبسته مؤخراً ولم يُغسل بعد؟ أستطيع أن أجلب ثيابها من الغسيل في الطابق السفلي.

قال ماركو:

- ليسا كلبَي تعقب.

سألت آن ملتفتةً إلى ماركو:

- ماذا؟

قال ماركو:

- ليسا للتعقب، بل للبحث عن الجثث.

التفتت آن نحو المحقق مجددًا بوجهٍ باهت:

- تظن أننا قتلناها؟!!

صُدم الجميع من انفعالها الفجائي، فتسمَّروا في أماكنهم. نظرت آن إلى أمها فرأتها تضع يدها على فمها، بينما بدا وجه والدها حانقًا.

صاح ريتشارد درايز بوجهه الأحمر القاني:

- هذا محض هراء؛ يستحيل أن تشكَّ أن ابنتي قد تؤذي فلذة كبدها!

اكتفى المحقق بالصمت.

نظرت آن إلى والدها مجددًا. لطالما دافع عنها، منذ طفولتها، إلا أنه عاجز الآن. لقد خُطفت كورا، وأدركت آن وهي تنظر إليه، أنها تشهد خوف والدها للمرة الأولى في حياتها. هل كان خائفًا على كورا؟ أم عليها؟ هل تظن الشرطة فعلاً أنها قد قتلت ابنتها؟ لم تجرؤ على النظر إلى والدتها.

- عليكم أن تقوموا بعملكم وتعثروا على حفيدتي!

قال والدها ذلك للمحقق في محاولة واهية لتورية خوفه. طال الصمت، في لحظات أغرب من أن يستطيع أحدٌ استيعاب ما قد يُقال، وأنصتوا لأصوات أظافر الكلبين تنقر على الأرضية الخشبية وهما يتحركان في المكان.

قال رازباك:

- نبذل قصارى جهدنا للعثور على حفيدتك.

تزايد اضطراب آن، أرادت أن تستعيد ابنتها، أن تعود كورا سالمةً. أثار روعها مجرد التفكير في أن طفلتها قد تعاني أو تُصيبها أدنى أذية. شعرت بأنه قد يُغمر عليها، وانهارت على الأريكة، فتلقفتها يدُ أمها لتحميها، وتحاشت والدة آن النظر في عيني المحقق بعدها.

نزل الكلبان السلمَ لاهئين، فنظرت آن نحو الأعلى لتراقبهما ينزلان. هزَّ المدرب رأسه، وانتقل الكلبان إلى غرفة المعيشة، وحافظ كلٌّ من آن وماركو وريتشارد و(أليس درايز) على سكونهم، كما لو أنهم لا يريدون أن يجذبوا انتباههما. صلب الذعرُ آن إلى الأريكة، بينما كان الكلبان يتشممان الهواء بأنفيهما، ويجريان على طول السجاد المفروش في الغرفة، ثم اقتربا منها وتشمَّماها. وقف شرطي خلفها مترقبًا ما سيفعله الكلبان، لعله تأهب لاعتقالها هي وماركو على الفور. تساءلت آن والخوف يدور في رأسها عمَّا سيجري في حال نبج الكلبان.

أثر الخوف على نظرها، فمالت الأشياء من حولها. كانت على يقين بأنها لم تقتل ابنتها هي وماركو، لكنها شعرت بالعجز والخوف، وكانت تعلم أن الكلاب تشمُّ الخوف. تذكَّرت ذلك وهي تنظر في عينيها الشبيهتين بالأعين البشرية. تشمَّما الكلبان، وتشمَّما ثيابها، شعرت بأنفاسهما اللاهثة الدافئة الرتيبة المتدافعة عليها، حاولت ألا تتنفس. تركاها واتَّجها إلى والديها، ثم إلى ماركو الذي كان واقفًا بمفرده بالقرب من المدفأة. شعرت آن بالراحة وارتخت على الأريكة حين بدا أن الكلبين لم يجدا شيئًا في غرفة النوم أو غرفة المعيشة، واتَّجها إلى المطبخ. وصل إلى مسامعها صوت مخالبيهما ترحف على بلاط المطبخ، ثم تنزل إلى السلم الخلفي الذي يُفضي إلى القبو. غادر رازباك الغرفة ليتبعهم. جلست العائلة في غرفة المعيشة منتظرين أن يمضي هذا الجزء من التحقيق. لم تشأ آن أن تنظر في عيني أحد، فاكتفت بالتحديق في الساعة فوق رفِّ الموقد. ازداد شعورها بالعجز مع مرور الدقائق، شعرت بطفلتها تبتعد عنها أكثر فأكثر، سمعت الباب الخلفي في المطبخ

يُفتح، وتخيَّلت الكلبين يتجولان في الفناء الخلفي، والحديقة، والمرآب، والممر، حدَّقت عينها إلى الساعة فوق الموقد، بينما تخيَّلت الكلبين في المرآب، يتجولان حول الأواني الفخارية المتكسِّرة، والمجارف الصَّدئة. جلسَت بلا حراك، مترقِّبة أن تسمع نباحًا. انتظرت قلقَةً، وفكَّرت بكاشف الحركة غير الفعَّال.

عاد رازباك أخيرًا وقال:

- لم يجد الكلبان شيئًا، هذه أخبار جيدة.  
شعرت أن بأمها تزفر مرتاحةً بجانبها.

قال ريتشارد درايز:

- هلَّا بحثنا عنها بجديَّة الآن؟

أجاب المحقق:

- نحن جادُّون في بحثنا عنها، صدَّقني.

قال ماركو بأسى:

- وإذًا، ما الخطوة التالية؟ كيف يمكننا أن نساعد؟

قال رازباك:

- علينا أن نطرح عليكما الكثير من الأسئلة، قد تملكان معلومات لا تدركان أنها لديكما، معلومات قيِّمة.

نظرت أن إلى ماركو حائرة كما لو أنها تتساءل عن المعلومات التي قد يملكانها.

أضاف رازباك:

- ونريد منكما أن تتحدَّثا إلى وسائل الإعلام، فمن المحتمل أن شخصًا ما قد رأى شيئًا، أو قد يرى شخصٌ ما أمرًا يفيد التحقيق غدًا أو بعد غد، وإن لم يعرفوا بحكايتكما، فلن يستطيعوا أن يربطوا الأحداث.

قالت آن باقتضاب:

- حسنًا.

كانت ستفعل أي شيء لتستعيد طفلتها، على الرغم من أن مخاطبة وسائل الإعلام ترعبها. أوماً ماركو موافقاً بدوره، إلا أنه بدا متوترًا. فكّرت آن لوهلة بشعرها المُتَّسخ، ووجها المتورّم لكثرة البكاء. شبك ماركو يده بيدها وشد قبضته.

اقترح والد آن:

- ماذا عن مكافأة؟ بإمكاننا تقديم مكافأة لقاء المعلومات، سأموّل ذلك. إن رأى أحد شيئاً ما، ولم يشأ البوح به، فسيغيّر رأيه إذا كان المبلغ مغريًا.

قال ماركو:

- شكرًا لك.

وأومات آن برأسها قليلًا.

رنّ هاتف رازباك، وكان المتّصل المحقق جنينيغز الذي كان يجول منازل الحيّ واحدًا تلو الآخر. قال جنينيغز:

- من المحتمل أننا قد حصلنا على دليل.

شعر رازباك بانقباض مألوف في أحشائه، فقد كانوا في أمسّ الحاجة إلى دليل. خرج مسرعًا من منزل عائلة (كونتي)، ووصل بعد دقائق معدودة إلى منزل في الشارع الواقع خلفه، على الطرف المقابل من الممر.

انتظره جنينيغز على العتبة الأمامية. طرق جنينيغز الباب الأمامي مجددًا، ففتحته على الفور عجوزٌ بدت في الخمسينيات من عمرها. كان من الواضح أنها قد نهضت من سريرها للتو، كانت في رداء الحمّام،

بشعرٍ معقوص نحو الخلف بواسطة دبابيس. قدّمها جنينغز للمحقق بقوله إنها (بولا ديمبسي).

- أنا المحقق رازباك.

قال المحقق ذلك رافعاً شارته لتراها السيدة. دعتهما إلى غرفة المعيشة، حيث جلس زوجها الذي كان قد أفاق بالفعل، على كرسيٍّ بذراعين، مرتدياً بنطال بيجاما، وشعره أشعث.

- رأَت السيدة (ديمبسي) شيئاً قد يكون مهماً.

قال جنينغز ذلك، وحين جلسوا أكمل:

- هَلَّا كَرَّرْتِ للمحقق ما قلته لي بخصوص ما رأيته؟

- حسناً.

قالت ذلك ولعقت شفيتها.

- كنت في حمّام الطابق العلويّ. نهضتُ لأتناول حبة أسبرين، فقد كانت ساقاي تؤلماني بسبب أعمال البستنة التي قمت بها في ذلك اليوم.

أوما رازباك برأسه ليشجّعها على متابعة حديثها.

- كانت ليلةً حارّةً للغاية، لذا تركنا نافذة الحمام مفتوحة على آخرها حتى تدخل النسمات. والنافذة تُطلُّ على الممر الخلفي، ومنزل عائلة (كونتي) يقع خلفه، على بعد عدة منازل من هنا.

أوما رازباك مجدداً، كان قد لاحظ موقع منزلها بالنسبة لمنزل عائلة (كونتي)، أنصتَ بإمعان.

- نظرتُ صدفةً من خلال النافذة التي تسمح برؤية الممر الخلفي بشكل جيّد، وتمكنتُ من النظر بشكل واضح لأنني لم أكن قد أطفأت ضوء الحمام.

سأل رازباك:



- وماذا رأيتِ؟
- سيارة. رأيتُ سيارة تعبر الممر.
- أين كانت السيارة تحديدًا؟ في أيِّ اتِّجاه سارت؟
- كانت تسير في الممر باتجاه منزلي، بعد منزل عائلة (كونتي). قد تكون خارجةً من مرآبهم، أو من أي منزل في ذلك الاتجاه.
- سأل رازباك وهو يخرج دفتر ملاحظاته:
- ماذا كان نوعها؟
- لا أعرف، فأنا لا أعرف الكثير حول السيارات. أتمنى لو أن زوجي رآها، كان ليساعدكم أكثر.
- نظرتُ نحو زوجها الذي رفع كتفيه معلناً عجزه.
- لكنني بالطبع لم أشك في شيء حينها.
- هلَّا وصفتها؟
- كانت صغيرة نوعًا ما، وأظن أن لونها كان غامقًا. لكن أضواءها الأمامية كانت مظفأة، هذا السبب في ملاحظتي لها. ظننتُ أنه من الغريب أن تكون أضواؤها الأمامية مُظفأة.
- هل تمكَّنتِ من رؤية السائق؟
- لا.
- هل استطعتِ رؤية شخص ما في مقعد الأمامي؟
- لا أظن ذلك، لكنني لستُ متأكدة. لم أستطع الرؤية بشكل واضح. أظنها كانت سيارة كهربائية أو هجينة، لأنها كانت بالكاد تصدر أيَّ صوت.
- هل أنت واثقة؟

- لا، لست واثقة. لكن الصوت يصلنا من الممر عادةً، إلا أن تلك السيارة كانت هادئة للغاية. لكن من الممكن أن يكون ذلك بسبب سيرها البطيء جدًا.

- ومتى كان ذلك؟ هل تعرفين؟

- نظرتُ إلى الساعة حين نهضتُ. لدي ساعة رقمية على الطاولة بجانب سريري. كانت الثانية عشرة وخمسة وثلاثين دقيقة صباحًا.

- هل أنت متأكدة تمامًا بخصوص الوقت؟

- نعم، أنا واثقة.

- هل بإمكانك تذكُر أيِّ تفاصيل أخرى بخصوص السيارة؟ أي تفصيل مهما بلغ صغره؟ هل كانت تحوي بابين أم أربعة؟

- أنا آسفة، لا أستطيع أن أذكر. لم أنتبه، إلا أنها كانت صغيرة.

قال رازباك:

- أودُّ أن أتفقّد المشهد من خلال نافذة الحمام إن لم تمنعي ذلك.

- بالطبع.

قادتَهُما، فصعدوا السلم ووصلوا إلى الحمام الذي يقع في مؤخرة المنزل. نظر رازباك من خلال النافذة المفتوحة، ورأى الممر الخلفي بوضوح، ومرآب منزل عائلة (كونتي) في الجهة اليسرى، والشريط الأصفر الخاص بالشرطة الذي أحاط به. وكان باستطاعته أن يرى أن باب المرآب ما زال مفتوحًا. من المؤسف أنها لم تنهض مسبقًا، فقد كان من الممكن أن ترى السيارة ذات الأضواء الأمامية المُطفأة وهي تخرج من المرآب، لو أن ذلك ما حصل بالفعل. تمنى لو كان لديه شاهد يُثبت أن سيارة كانت في المرآب، أو خرجت منه عند الثانية عشرة والنصف.

إلا أنه من الممكن أن تكون تلك السيارة التي تتحدث عنها العجوز، قد خرجت من أي منزل يُطلُّ على ذلك الممر.

شكر رازباك (بولا) وزوجها، وأعطاهما بطاقته، ثم غادر منزلها برفقة جنينغز، وتوقفاً عند الرصيف المقابل للمنزل. بدأ الفجر يعلن ألوانه في السماء.

- ما رأيك بما قالته؟

- الأمر مثير للاهتمام، من ناحية التوقيت، وحقيقة أن أضواء السيارة الأمامية كانت مُطفأة.

أوماً جنينغز موافقاً. كان ماركو قد تفقّد الطفلة عند الثانية عشرة والنصف، وعبرت السيارة الممر مُبتعدةً عن مرآب عائلة (كونتي) عند الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة صباحاً، بأضوائها المطفأة. قد يكون شريكاً في الجريمة.

أصبح الوالدان المشتبهين الرئيسيين.

قال رازباك:

- اطلب من عناصر الشرطة أن يُكلموا كلَّ من يُطلُّ بيته على ذلك الممر. أريد أن أعرف من كان يقود سيّارة في ذلك الممر عند الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة صباحاً، وليسألوا جميع من في الحيّ إن كان أي شخص آخر ينظر إلى الممر من خلال نافذة في ذلك الوقت.

أوماً جنينغز قائلاً:

- حسناً.

تشبّثت أن بيد ماركو بإحكام، كادت رثتها تنفجران بسبب تسارع أنفاسها قبل مقابلة الصحافة. اضطرت إلى الجلوس ووضع رأسها بين ركبتيها. كانت الساعة السابعة صباحاً، أي بعد عدة ساعات فقط من

اختطاف كورا. انتظر الكثير من الصحفيين والمصورين في الشارع. شخصية آن انعزالية، ومواجهة كاميرات الإعلام تجربة سيئة بالنسبة لها. لم تعد يوماً جذب الانتباه، إلا أن حاجتهما لتدخل الإعلام كانت أهم، حاجتهما لأن يملأ وجه كورا الصحف، والتلفاز، والإنترنت. يستحيل أن يكون الخاطف قد خرج بالطفلة عند منتصف الليل دون أن يلاحظه أحد، فالحيُّ مزدحم، ولا بدَّ أن شخصاً يملك معلومة مفيدة سيتقدّم ويخبرهم بها. كان على آن وماركو أن يقوموا بذلك، على الرغم من معرفتهما بأنهما سيصبحان هدفاً لبعض الجهات الصحفية الدنيئة حالما ينتشر الخبر. سيُعرفان بأنهما الوالدان اللذان تركا طفلهما الرضيعة وحيدة في المنزل، مما أتى إلى اختطافها. ستصبح حياتهما محط أنظار العامة.

اتفقا على بيان مُعدَّ مسبقاً، صاغاه حين كانا جالسين على طاولة القهوة بمساعدة المحقق رازباك. لم يتضمَّن البيان أن الطفلة كانت وحيدة في المنزل عند اختطافها، إلا أن آن كانت واثقة تماماً بأن الحقيقة ستخرج للعلن. وحدثها أخبرها بأنه بمجرد غزو الإعلام لحياتهم، فلن يتوقف الأمر عندها، ولن ينعموا بالخصوصية، ستلاحقهما السمعة السيئة، وسيجدان وجهيهما في صحف الفضائح المحلية في السوبر ماركت. غلبها الشعور بالخوف والعار.

خرج آن وماركو من الباب الأمامي نحو العتبة الأمامية. وقف المحقق رازباك بجانب آن، بينما وقف المحقق جنينغز بجانب ماركو. تعلقت آن بذراع زوجها ليُسندها كأنها على وشك أن تقع. اتفق الجميع على أن يقرأ ماركو البيان، فقد كان من الواضح أن آن غير قادرة على ذلك. بدت كأن نسمه كانت كفيلة بإيقاعها أرضاً. حدّق ماركو إلى حشد المراسلين، ثم انكمش على نفسه، وأخفض بصره نحو الورقة التي اهتزت بوضوح بين يديه، بينما تتألى وميض الكاميرات.

رفعت آن نظرها مشدوهة. كان الشارع مليئاً بالمراسلين، والشاحنات الصغيرة، وكاميرات التلفاز، والتقنيّين، والمعدّات والأسلاك، وأناس يمسكون ميكروفونات قريباً من وجوههم المغطّاة بمساحيق التجميل. كانت قد رأت المشهد ذاته على التلفاز، إلا أنها وجدت نفسها في قلبه. شكّت بواقعية الأمر لوهلة كأنها ليست من يعيشه، وغلبها شعورٌ بأنها غريبة ومنفصلة عن الحدث، كأن جزءاً منها يقف على العتبة الأمامية، والجزء الآخر يراقب المشهد من زاوية علويّة.

رفع ماركو يداً مشيراً إلى أنه يأخذ الإذن في بدء الكلام، فهدأ الحشد فجأة. تتمم:

- أودُّ أن أقرأ بياناً.

بصوتٍ أعلى! صاح صوتٌ قادم من الرصيف:

- سأقرأ بياناً.

قال ماركو ذلك بصوت أعلى وأوضح. ثم باشر القراءة بقوة متزايدة:

- في وقت باكر من صباح هذا اليوم، ما بين الثانية والنصف والواحدة والنصف، اختطف شخصٌ أو مجموعة أشخاص مجهولين طفلفتنا الجميلة كورا من مهدها.

توقّف لوهلة ليستجمع قواه، والتزم الجميع الصمت.

- تبلغ من العمر ستة أشهر، شعرها أشقر وعيناها زرقاوان، وتزن نحو سبعة كيلوغرامات. كانت ترتدي حفاضةً يُستعمل لمرة واحدة، ورداءً بلون وردّيّ شاحب. وقد أخذت بطاقتها البيضاء عن المهد أيضاً. كورا أغلى ما لدينا، ونتوق لعودتها إلينا، ونوجّه لخاطفيها خالص رجائنا بأن يُعيدوها سالمةً إلينا.

رفع ماركو نظره عن الورقة. كان قد غلبه البكاء، فاضطر إلى التوقف ومسح دموعه ليستطيع متابعة القراءة. انتحبت أن بصمت بجانبه وهي تنظر نحو بحر الوجوه أمامها.

- لا فكرة لدينا عن هوية خاطف طفلتنا البريئة الجميلة، لذا نطلب مساعدتكم. إن كنتم تملكون أي معلومات، أو إن رأيتم أي شيء، نرجو أن تتصلوا بالشرطة. سنقدم مكافأة مغرية مقابل أي معلومات قد تساعدنا على إيجاد طفلتنا. شكرًا.

التفت ماركو نحو آن، وتداعى جسدهما ليتعانقا بينما تزايد وميض الكاميرات.

صاح صوت:

- ما مقدار المكافأة؟

## الفصل السابع

كان من الغريب أن أحدًا لم يلحظ ذلك، لكن بعد المؤتمر الصحفي أمام منزل عائلة (كونتي) بفترة وجيزة، اقترب شرطي من المحقق رازباك في غرفة المعيشة، حاملاً قطعة ثياب وردية شاحبة بيديه المغطاتين بقفازات. وفي الحال، تركّزت أنظار جميع من في الغرفة؛ المحقق رازباك، وماركو، وأن، ووَالِدَا آن، وريتشارد وأليس، على قطعة الثياب تلك.

سأل رازباك بصراحة:

- أين وجدت هذا؟

تأوّهت آن مُلتاعة، فنقل الجميع أنظارهم من على الشرطي الذي يحمل الرداء الوردية، إلى آن التي شُحِبَ وجهها. سألت آن وهي تنهض:

- هل كان في سلة الغسيل في غرفة كورا؟

قال الشرطي الذي يحمل الرداء:

- لا، كان أسفل الوسادة على طاولة تغيير الحفاضات. لم نلحظه في المرة الأولى.

كان رازباك حانقاً للغاية، كيف لم يلاحظوا ذلك؟

احمرَّ وجه آن، وبدأ ارتباكها، وقالت:

- أنا آسفة، لا بد أنني نسيت، هذا ما كانت ترتديه كورا أوَّل المساء.  
بدَّلتُ لها ملابسها بعد أن أطعمتها آخر مرة، فقد بلَّت هذا  
برجيعها، سأريك مكان البقعة.

اقتربت آن من الشرطي ومدَّت يدها نحو الرداء، لكن الشرطي تراجع  
مانعاً إياها من الاقتراب. قال الشرطي:

- لا تلمسيه، رجاءً.

قالت آن مخاطبةً رازباك:

- بدَّلتُ هذا الرداء، وألبستُها آخر. ظننتُ أنني قد وضعته في سلة  
الغسيل بجانب طاولة تغيير الحفاضات.

سأل رازباك:

- وصفُ الطفلة غير دقيق إذا؟

أقرَّت آن والارتباك باءٍ على وجهها:

- نعم.

- ما الذي كانت ترتديه إذا؟

سأل رازباك ذلك، وحين تردَّدت آن، كرَّر سؤاله:

- ما الذي كانت ترتديه؟

قالت آن:

- أنا.. لستُ متأكدة.

سأل المحقق بصوت حادٍّ مصرًا على إيجاد إجابة:

- ما الذي تقصدينه بقولك هذا؟



- لا أعرف. كنت قد تناولت القليل من الكحول، وكنت متعبة، وكانت الغرفة مظلمة لأنني أُرضعها في الظلام آخرَ اليوم حتى لا تستيقظ تمامًا. بلَّلت لباسَها بلعابها، فبدَّلته حين غيَّرتُ حفاضها، وفعلتُ ذلك في الظلام أيضًا. وضعتُ الرداء الوردِيَّ في سلة الغسيل، أو ظننتُ أنني فعلت، وجلبتُ واحدًا آخر من الدُّرج، لديها الكثير منها، لا أعرف أيَّ لون أخذتُ.

شعرت بالذنب، لكن من الواضح أن ذلك الرجل لم يُغيِّر ثياب طفل ليلاً من قبل.

توجَّه رازباك بسؤاله إلى ماركو:

- هل تعرف أنت؟

بدأ ماركو كغزالٍ فاجأته الأضواء الأمامية لسيارة عابرة، هزَّ رأسه وقال:

- لم ألحظ أنها قد بدَّلت لها ثيابها؛ لم أنر الأضواء حين تفقدتها.

عرضت أن المساعدة والخجل يعترِيها:

- لعل باستطاعتي أن أعرف أيَّ رداءٍ هو إن بحثتُ في درجها.

- نعم، افعلي ذلك.

قال رازباك ذلك موافقًا وأضاف:

- نحتاج إلى وصف دقيق للطفلة.

أسرعت آن نحو الطابق العلويِّ، وسحبت درجًا من خزانة الطفلة حيث تضع كل أرديتها وثياب نومها، وستراتها الصغيرة، وجواربها الطويلة. وكلها كانت منقطة، ومليئة بالأزهار والنحل والأرانب الصغيرة. تبعها المحقق وماركو وراقباها تجلس على ركبتيها، وتُخرج كل شيء وهي تنتحب. إلا أنها لم تتذكَّر، ولم تحزر أيَّها المفقود. لم تعرف ما الذي كانت ترتديه طفلتها.

قالت مخاطبةً ماركو:

- هلاً جلبت الغسيل من الطابق السفلي؟

استدار ماركو ونزل إلى الطابق السفلي كما طلبت، وعاد بعدها بقليل ومعه سلّة من الثياب المتّسخة. ألقاها على أرضيّة غرفة الطفلة. أحدّ ما كان قد نظّفها من القياء. اختلطت ثياب الطفلة المتسخة بثيابهما، إلا أن آن انتقت كل حاجيات الطفلة ووضعتها جانباً.

ثم قالت أخيراً:

- إنها تلبس رداءها الأخضر المُطرّز على مقدمته أرنب.

سأل رازباك:

- هل أنت متأكّدة؟

أجابت آن بنبرة حزينة:

- يجب أن يكون الرداء الأخضر، فهو الوحيد المفقود.

\*\*\*\*

لم يُظهر التحقيق الجنائي الكثير من المعلومات منذ اختُطفت كورا. لم تجد الشرطة أي دليل على وجود شخص غريب في غرفتها أو في منزل عائلة (كونتي)، لم يجدوا أدنى دليل، لم يجدوا أي بصمة، أو نسيج لا يعود لأصحاب المنزل. بدا أن أحدًا لم يدخل المنزل باستثناء الزوجين، ووالدي آن، ومدبرة المنزل. كان الجميع قد رضخ أمام الإهانة المتمثّلة في أخذ بصماتهم. لم يشك أحدٌ حقًا بأن مدبرة المنزل، السيدة الفلبينية العجوز، قد تكون الخاطفة، ومع ذلك فقد تم فحصها هي وأفراد عائلتها الكبيرة.

إلا أن دليلًا قد ظهر خارج المنزل. ظهرت آثار مسارٍ عجلاّ في المرآب، وقد أثبت التحقيق أنها لا تتطابق مع عجلاّ سيارة «أودي» الخاصّة بعائلة (كونتي). لم يُخبر رازباك والوالدين بتلك المعلومات.

فبالإضافة إلى الشاهدة التي رأت سيارة تعبر الممر عند الساعة الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة، كانت تلك المعلومة دليلهم القائم الوحيد في التحقيق حتى الآن.

- لا بد أنهم ارتدوا قفّازات.

قال ماركو ذلك مخاطبًا المحقق رازباك عندما أخبرهم بأنه ما من دليل على وجود أن أحدًا قد تسلّل إلى المنزل.

عند منتصف صباح ذلك اليوم، بدا ماركو وأن مُرهقين، وظهرت على ماركو آثار السكر أيضًا، لكنهما لم يفكّرًا بالراحة حتى. طُلب من والدي أن أن يذهبا إلى المطبخ ويشربا القهوة بينما يستكمل المحقق طرح أسئلته على أن وماركو. كان عليه أن يُطمئنهما باستمرار أنهم يبذلون كل ما في وسعهم لاستعادة طفلتهم، وأنه لا يُضيع وقتها إطلاقًا.

- هذا محتملٌ جدًّا.

قال المحقق ذلك موافقًا على تخمين ماركو بخصوص القفّازات، لكنه أشار إلى حقيقة أخرى:

- ومع ذلك، من المتوقع أن نرى آثار أقدام أو طبعات لا تنتمي إليكما داخل المنزل، وبالطبع خارجه أيضًا، أو في المرآب.

- إلا إذا خرج من الباب الأمامي.

قالت أن ذلك وهي تسترجع ما رأته، فقد كان الباب الأمامي مفتوحًا. كانت الذكرى أوضح الآن، بعد أن عادت إلى صحتها كليًا. كانت ترى أن الخاطف أخرج الطفلة من الباب الأمامي، مرورًا بالسلم الأمامي، ونحو الرصيف، ولهذا لم يجدوا أي آثار أقدام غريبة.

قال رازباك:

- ومع ذلك كان من المتوقع أن نجد شيئًا ما.

ثم نظرَ إلى كليهما بتمعنٍ وأضاف:

- لقد استجوبنا كل شخص ممكن، ولم يذكر أحدُ رؤيةَ شخص يخرج من الباب الأمامي حاملاً الطفلة.

قال ماركو والإحباط بارٍ عليه:

- هذا لا يعني أن ذلك لم يحصل.

قالت آن بحدة:

- ولم تعثروا على شاهدٍ رآها تخرج برفقة الخاطف من الباب الخلفي أيضاً. لم تعثروا على أيِّ شيء.

ذَكَرهما المحقق:

- مصباحُ كاشف الحركة غير فعّال.

توقف لوهلة ثم أضاف:

- كما وجدنا دليلاً يُشير إلى مرور عجلات سيارة لا تتطابق مع سيّارتكما.

انتظر أن يستوعبا الخبرَ وأكمل:

- هل استخدم أحدٌ من معارفكما المرآب مؤخرًا؟ هل تركتما أحدًا يركن سيّارته هناك؟

نظر ماركو إلى المحقق ثم أشاح بنظره بسرعة وقال:

- لا، ليس على حدِّ علمي.

هزّت آن رأسها.

كان من الواضح أن آن وماركو متوتران، ولم يكن ذلك مُستغربًا، فقد أشار رازباك للتو إلى حقيقة أنه ما من دليل ملموسٍ على أن شخصًا غريبًا قد أخذ طفلهما خارج المنزل، وبالأخص عبر الفناء الخلفي ونحو المرآب لا بدّ أن أحدهما قد أخرجها من المنزل.

- أعتذر، إلا أنني مضطر إلى الاستفسار حول الدواء في خزانة حمامكما.

قال رازباك ملتفتاً إلى آن:

- السيرترالين.

سألت آن:

- ماذا بشأنه؟

سأل رازباك بلطف:

- هلأ أخبرتني عن سبب حاجتك إليه؟

قالت آن بطريقة دفاعية:

- أعاني اكتئاباً طفيفاً، وصفه لي الطبيب الخاص بي.

- طبيب العائلة؟

تردّدت، ونظرت إلى ماركو كأنها لا تعرف كيف من المفترض أن تُجيب، لكنها قالت مُعترفة:

- طبيبتي النفسية.

أردف رازباك قائلاً:

- حسناً. هلأ أخبرتني ما اسم طبيبتك؟

نظرت آن إلى ماركو مجدداً ثم قالت:

- ليزلي لامزِين.

- شكراً.

تمتم رازباك بذلك وهو يسجّل ملاحظةً في دفتره الصغير.

- تعاني الكثير من الأمهات اكتئاب ما بعد الولادة أيها المحقق.

تابعت آن كلامها بنبرتها الدفاعية:

- الأمر شائع للغاية.

أوماً رازباك برأسه دون أن يُعلّق بشيء على ذلك وقال:

- ومراة الحمام؟ هلأ أخبرتmani ما الذي جرى لها؟

احمرّت آن ونظرت نحو المحقق بصعوبة وقالت معترفةً:

- أنا فعلتُ ذلك. عندما عدنا إلى المنزل واكتشفنا اختفاء كورا،  
حطّمتُ المرأةَ بيدي.

رفعت يدها المضمّدة التي غسلتها أمها وعقمتها وضمّدتها لها.  
وأكملت:

- كنتُ مستاءة.

أوما رازباك برأسه مجددًا وسجّل ملاحظة أخرى.

بحسب ما قاله الوالدان للمحقق رازباك مسبقًا، فإن آخر مرة رأى  
أحدُ سواهما الطفلةَ على قيد الحياة، كانت عند الثانية ظهرًا تقريبًا يومَ  
تمّ اختطافها. كان ذلك حين طلبت أن القهوة من فرع «ستارباكس» في  
نهاية الشارع. وبحسب قول آن، فقد كانت الطفلة مستيقظةً في عربتها،  
وكانت تبتسم وتمصُّ أصابعها، وقد لوّحت النادلة للطفلة الصغيرة.

كان رازباك قد ذهب إلى فرع «ستارباكس» في الصباح الباكر من  
ذلك اليوم، وتحدّث إلى النادلة ذاتها، والتي كانت قد بدأت دوامها عندها  
لحسن الحظ. تذكّرت النادلة أن والعربة، لكن بدا أن أحدًا لم يستطع  
تأكيد أن الطفلة كانت على قيد الحياة بعد الساعة الثانية ظهرًا يومَ  
الجمعة، يوم اختفائها. سأل رازباك:

- ماذا فعلتِ بعد ذهابك إلى «ستارباكس» البارحة؟

أجابت أن:

- عدتُ إلى المنزل. كانت كورا في مزاج سيئ، عادةً ما تكون في  
مزاج سيئ بعد الظهر، لذا مشيتُ في أرجاء المنزل وأنا أحملها.  
حاولتُ أن أضعها في مهدها لتغفو قليلًا، لكنها لم تفعل، لذا  
حملتها مجددًا، ومشيتُ في أرجاء المنزل والفناء الخلفي.

- ثم ماذا؟

- بقيتُ أفعل ذلك حتى عاد ماركو إلى المنزل.

- ومتى كان ذلك؟

قال ماركو:

- عدتُ إلى المنزل عند الخامسة تقريبًا. أنهيتُ عملي مبكرًا قليلًا

لأنه كان يوم جمعة ولأننا خططنا للخروج من المنزل.

- ومن ثم؟

- أخذتُ كورا من آن وتركتُها تأخذ غفوة في الطابق العلوي.

قال ماركو ذلك ثم ارتخى على ظهر الأريكة وفرك فخذه بيديه، ثم

بدأ بهزُّ إحدى ساقيه. كان متوترًا.

سألت آن:

- هل لديك أطفال أيها المحقق؟

- لا.

- لا تعرف إذا كم هم مُرهقون أحيانًا.

- لا.

قال ذلك وغيرٍ وضعيَّة جلوسه على الكرسي. بدأ التعب ينالُ منهم

جميعًا. سأل رازباك:

- متى ذهبتما إلى أمسية الجيران؟

أجاب ماركو:

- عند ما يقرب الساعة.

- ماذا فعلتما ما بين الخامسة والسابعة إذا؟

قالت آن بحدة:

- لمَ تطرح علينا هذه الأسئلة؟ أليس هذا مضيعةً للوقت؟ ظننتُ

أنك ستساعدنا!

قال رازباك بهدوء:

- يجب أن أعرف كلَّ ما حدث. أرجوكمأ أجييا بأدقُّ ما يمكنكمأ.

وضع ماركو يده على فخذ زوجته ليهدهئها، وقال:

- لاعبتُ كورا في الوقت الذي كانت آن فيه نائمة. أطعمتها قليلاً من

حبوب الفطور. استيقظت آن عند السادسة تقريباً.

أخذت آن نفساً عميقاً وقالت:

- ثم تشاجرنا حول الذهاب إلى الأمسية.

ظهر التوترُ على ماركو بوضوح.

سأل رازباك وهو ينظر في عيني آن:

- لماذا تشاجرتما؟

- ألغت جليسةُ الأطفال الموعد. لو لم تُلغه لما حدث أيُّ من هذا.

قالت آن ذلك وكأنها لم تدرك الفكرة حتى تلك اللحظة.

كانت تلك معلومات جديدة. لم يعرف رازباك من قبل أنه كان من

المفترض أن تحضر جليسة أطفال، فلم يخبرانه بالأمر الآن؟ سألهما:

- لمَ لم تقولا ذلك مسبقاً؟

قالت آن متفاجئة:

- ألم نفعل!؟

سأل رازباك:

- من كانت جليسة الأطفال؟

أجاب ماركو:

- فتاة اسمها (كاترينا). إنها جليسة كورا المعتادة. إنها في الصف

الثالث الثانوي، وتعيش في الكتلة السكنية المجاورة.

- هل كَلِّمتماها؟



- ماذا؟

قال ماركو ذلك؛ بدا أنه لم يكن مُنصتًا للحديث. سأل رازباك:

- متى ألغت الموعد؟

قال ماركو:

- اتّصلت عند السادسة تقريبًا، لكن الوقت كان قد تأخّر حينها لإيجاد جليسة أطفال أخرى.

سأل رازباك وهو يسجّل ملاحظة في دفتره:

- من كلمتها؟

قال ماركو:

- أنا كلمتها.

قالت آن بمرارة:

- كان بإمكاننا أن نحاول إيجاد جليسة أطفال أخرى.

- لم نظن أن ذلك كان ضروريًا عندها. أما الآن، فبالطبع...

فقد ماركو تسلسل أفكاره وهو ينظر نحو الأرض. طلب رازباك:

- هلأ أعطيتماني عنوانها؟

- سأكتبه.

قالت آن ذلك وذهبت إلى المطبخ لجلبه. وبينما انتظرها، سمع

رازباك متممةً قادمة من المطبخ، أراد والدا آن معرفة ما يحدث.

- حول ماذا تشاجرتما تحديدًا؟

سأل رازباك ذلك بعد أن عادت آن وأعطته قطعة من الورق مكتوب

عليها اسم جليسة الأطفال وعنوانها.

قالت آن معترفةً:

- لم أشأ أن أذهب وأترك كورا وحيدة. قلتُ إنني سأبقى في المنزل معها. لم تشأ سنثيا أن نحضر الطفلة لأنها كثيرة الضجيج، أرادت سنثيا أمسية خاصةً بالبالغين، لهذا اتَّصلنا بجليسة الأطفال. لكن حين ألغت الموعد، ظنَّ ماركو أن اصطحابَ كورا سيكون غير لائق، بما أننا قلنا إننا لن نفعل، ولم أرغب بالذهاب وتركها وحيدة، لذا تشاجرنا حول الأمر.

التفت رازباك إلى ماركو الذي أوماً بأسى. قالت آن وهي تلتفت لترمق زوجها بحقد:

- ارتأى ماركو أننا إن أخذنا جهاز المراقبة إلى منزل الجيران المجاورين، وتفقدناها كل نصف ساعة، فسيكون كل شيء على ما يرام. قلت لي إن مكروهاً لن يحدث.  
قال ماركو مخاطباً زوجته:

- لقد أخطأت، أنا آسف! هذا خطئي! كم مرة عليّ أن أقولها؟  
راقب المحقق رازباك الشرخ في علاقتهما الزوجية يتَّسع، وأصبح التوتُّر الذي جسَّه على الفور بعد الإعلان عن اختطاف ابنتهما، قد تحوَّل إلى شيء آخر؛ ملامة. الجبهة الموحَّدة التي أظهرها في الدقائق والساعات الأولى من التحقيق، بدأت تتآكل. كيف لا وقد اختُطفَت ابنتهما؟ كانا تحت ضغط شديد، بوجود الشرطة في منزلهما، والصحافة تدقُّ بابهما. كان رازباك على ثقة من أنه إن كان هناك أمر مخفي، فسيجده.

## الفصل الثامن

خرج المحقق رازباك من منزل عائلة (كونتي)، وانطلق لمقابلة جليسة الأطفال في منزلها ليتأكد من صحة حكايتهما. كان وقتاً متأخراً من ذلك الصباح، وبينما كان يقطع المسافة القصيرة مشياً في الشوارع المغطاة بورق الشجر، قلب القضية في ذهنه. لم يكن هناك أي دليل على وجود دخيل على المنزل أو الفناء، لكنهم وجدوا أثراً لمسار عجلات على أرضية المرآب الإسمنتية. كان يوجّه أصابع الاتهام إلى الوالدين، إلا أنه سمع للتو عن جليسة الأطفال هذه.

حين وصل إلى العنوان الذي أعطته إياه آن، فتحت له الباب امرأة بدت عليها معالم الفاجعة، وكان من الواضح أنها كانت تبكي. رفع شارته لتراها.

- قيل لي إن (كاترينا ستافروس) تعيش هنا.

أومأت المرأة مشيرةً بالإيجاب، فسألها:

- أهي ابنتك؟

- نعم.

أجابت والدة الفتاة بذلك محاولةً استرجاع صوتها:

- أنا آسفة، هذا ليس وقتًا جيدًا، لكنني أعرف سبب قدومك. تفضّل بالدخول.

دخل رازباك إلى المنزل، الذي يُفضي مدخله إلى غرفة معيشة كانت مليئة بنساء يبكين. جلست ثلاث نساء في منتصف أعمارهن ومراهقةً حول طاولة صغيرة مغطاة بأطباق من الطعام. قالت السيدة «ستارفوس»:

- توفيت والدتنا البارحة، نحاول أنا وأخواتي أن نقوم بالترتيبات اللازمة.

قال المحقق رازباك:

- أتقدّم بخالص اعتذاري لإزعاجك، لكنني أخشى أن الأمر بالغ الأهمية. هل ابنتك موجودة؟

إلا أنه كان قد ميّزها تجلس على الأريكة مع خالاتها. فتاةً ممتلئة بعمر السادسة عشرة، كانت يدها فوق طبق من حلوى الشوكولا حين رفعت عينيها ورأت المحقق يدخل غرفة المعيشة.

- كاترينا، أتى شرطيّ ليقابلك.

التفتت كاترينا وكلُّ عمّاتها وحدّفن إلى المحقق.

أدمعت عينا الفتاة من جديد دموعًا صادقة وقالت وهي تضع يديها في حضنها ونسيت شأن الحلوى:

- لا أصدّق أن شخصًا قد اختطفها. أشعر بالسوء الشديد. توفيت جدّتي، كان عليّ أن ألغي الموعد.

تجمّعت كل عمّاتها حولها، بينما جلست أمها على ذراع الأريكة بجانبها. سأل رازباك بلطف:

- متى اتّصلتِ بعائلة (كونتي)؟ هل تذكرين؟

بدأت الفتاة بالنعيب وقالت:

- لا أعرف.

قالت والدتها مخاطبة المحقق رازباك:

- كان ذلك عند السادسة تقريبًا. تلقينا اتصالاً من المشفى في ذلك الوقت، وطلبوا منّا الحضور لأن النهاية كانت قد حانت. طلبتُ من كاترينا أن تتصل وتُلغي الموعد لتأتي إلى المشفى معنا.

وضعت يدها على كتف ابنتها وقالت:

- نشعر ببالغ الأسى بخصوص كورا. كاترينا تحبها للغاية، إلا أنه ليس خطأها.

أرادت الأم أن توضّح الأمر للجميع، فقال رازباك مؤكداً:

- بالطبع ليس كذلك.

قالت المرأة:

- لا أصدق أنهما تركاها وحيدة في المنزل، أي نوع من الآباء يفعل ذلك؟

هزت أخواتها رؤوسهنّ مستهجنات.

قال الأم وهي تنظر نحو ابنتها مهمومةً:

- أمل أن تجدها، وأن تكون سالمةً.

قال رازباك وهو يستدير ليرحل:

- سنبدل قصارى جهدنا، شكرًا لوقتكم.

تم التحقق من صحّة رواية الزّوجين. الطفلة كانت ما تزال على قيد الحياة غالبًا عند السادسة مساءً، وإلا فكيف كان الوالدان سيتعاملان مع جليسة الأطفال المتوقّع حضورها؟ أدرك رازباك أنه إن كان الوالدان قد قتلوا أو خبأوا الطفلة، فلا بدّ أنهما فعلها بعد ذلك الاتصال عند السادسة، إما قبل السابعة، أو حين ذهبوا إلى منزل الجيران، أو أثناء الأمسية. مما

يعني أنهما لم يملكا الوقت الكافي غالبًا للتخلص من الجثة. لعلهما يقولان الحقيقة (فكّر رازباك).

بخروج المحقق من المنزل، شعرت أنّ أنه صار بإمكانها التنفس بخفّة أكثر، وكأنه كان يراقبهما مرتقبًا أن يزلًا في الكلام، أو أن يخطئا. لكن أيّ خطأ قد يتربّب؟ كورا ليست معهما. لو أنهم وجدوا دليلًا ملموسًا على وجود دخيل، لما وجّه تركيزه عليهما دون حقّ، (فكّرت أنّ). لكن يبدو أنّ خاطف كورا كان حذرًا للغاية.

لعل الشرطة غير كفاء، دارت الأفكار في رأس أنّ. خافت من أنّ يُفسدوا كل شيء، فالتحقيق كان يسير ببطء شديد، والذعر يضيق قبضته عليها أكثر مع مرور كل ساعة.

همست أنّ مخاطبةً ماركو حين أصبحا لوحدهما:

- من قد يختطفها؟

أرسلت أنّ والديها إلى منزلهما مؤقتًا، على الرغم من أنّهما أرادا أن يستقرّا في الغرفة الإضافية في الطابق العلوي، فإنّ أنّ، وعلى الرغم من أنّها كثيرة الاعتماد على والديها، وبالأخص في أوقات الشدّة والمتاعب، ارتأت أنّ وجودهما يزيد من قلقها، وقد كانت قلقة بما يكفي، كما أنّ وجودهما يجعل التعامل مع ماركو أصعب دائمًا، وبدًا أنه على وشك الانفجار. كان شعره أشعث، ولم يخلق لحيته. لم يناما طوال الليل، وقد مضى نصف النهار. كانت أنّ منهكة، ومدركةً لأنّها تبدو بذات سوء ماركو غالبًا، لكنها لم تهتم، فالنوم مُستبعد كليًا.

- علينا أن نفكّر يا ماركو! من قد يختطفها؟

قال ماركو بعجز:

- ليس لديّ أدنى فكرة.

نهضت وشرعت بالمشي جيئةً وذهابًا في غرفة المعيشة.

- لا أفهم لماذا لم يجدوا أيَّ أثرٍ لدخيل. هذا غير منطقي. هل تفهم ما الذي يجري؟

توقفت عن المشي وأضافت:

- باستثناء المصباح المفكوك في كاشف الحركة، هذا دليل واضح على وجود دخيل.

رفع ماركو نظره نحوها وقال:

- يظنون أننا من فكّه.

حدّقت إليه وقالت بصوت لاحت فيه الهستيريا:

- هذا محض هراء!

- لسنا الفاعلين، نعرف ذلك.

قال ماركو ذلك بعنف، ومرّر يديه جيئةً وذهابًا على فخذه فوق بنطال الجينز، كأنها أصبحت عادةً جديدةً له.

- المحقق محقٌّ في أمرٍ وحيد؛ هذا يبدو مخطئًا له، فلم يمر أحد ببساطة ليرى الباب مفتوحًا ودخل ليأخذها. لكن إن كانت قد اختطفت من أجل فدية، فلمَ لم يترك الخاطف ملاحظةً؟ أما كان من المفترض أن نسمع منه خبرًا بحلول هذا الوقت؟  
تفقدّ ساعته وأكمل بصوت متألّم:

- كادت تصبح الساعة الثالثة! لقد فقدناها منذ أكثر من اثنتي عشرة ساعة.

كان ذلك رأي أن أيضًا. بالطبع كان من المفترض أن يكلمهم أحدٌ ما بحلول ذلك الوقت. كيف تجري الأمور عادةً في حالات الاختطاف؟ حين طرحت هذا السؤال على المحقق رازباك، أجابها:

- ما من أمور معتادة في حالات الخطف، كلُّها متفرّدة. إن أرادوا فدية، فقد يقولون ذلك خلال ساعات أو أيام، لكن الخاطفين

لا يرغبون غالبًا في الاحتفاظ بالضحية لفترة أطول من اللازم،  
فالمخاطر تتزايد مع مرور الوقت.

اضطرت الشرطة إلى وضع جهاز تنصت في هاتفهم لتسجيل أي  
محادثات محتملة مع الخاطف، إلا أن أحدًا لم يتصل ليقول إن كورا معه.  
سأل ماركو مقترحًا:

- ماذا إن كان شخصًا يعرف والديك؟ قد يكون أحد معارف والديك.  
- تودُّ إلقاء اللوم عليهما، أليس كذلك؟

قالت أن ذلك بانفعال وهي تعود للمشي جيئةً وذهابًا أمامه ويدها  
معقودتان أمامها. قال ماركو:

- مهلاً! لا ألقى اللوم عليهما، لكن فكّري للحظة! لا أحد يملك كمية  
نقود معتبرة سوى والديك من بيننا، لذا لا بُدَّ من أن يكون شخصًا  
يعرفهما ويعرف أنهما يملكان الكثير من النقود. من الواضح أننا  
لا نملك مقدار المال الذي قد يسعى إليه خاطف.

قالت آن:

- لعلّه من الأفضل أن تراقب الشرطة مكالمات والديّ.

رفع ماركو نظره نحوها وقال:

- لعله علينا أن نفكر بطريقة أذكى فيما يخص المكافأة.

- ما الذي تقصده؟ عرضنا مكافأة بالفعل. خمسون ألف دولار.

- نعم، لكن كيف سيساعدنا عرض خمسين ألف دولار مقابل

معلومات تقود لاسترجاع كورا، إن لم يكن أحدٌ قد رأى شيئًا؟

لو كان أحدٌ قد رأى شيئًا بالفعل، ألا تظنين أنهم كانوا ليخبروا

الشرطة الآن؟

انتظر ريثما فكّرت أن في ذلك، ثم أكمل مستعجلًا:



- علينا أن نبادر للوصول لشيء، كلما ظلَّت كورا معهم لوقت أطول،  
تزايد احتمال أن يؤذوها.

قالت آن فجأة بعينين وحشيَّتين:

- يظنون أنني الفاعلة! يظنون أنني قتلْتُها! هذا واضح من نظرات  
ذلك المحقق لي، لقد حكَم عليَّ مسبقًا. لعلَّ كل ما يفعله الآن هو  
محاولة معرفة مدى تورُّطك أنت في الأمر!

نهض ماركو مندفعًا عن الأريكة، وحاول معانقتها وقال:

- اهدئي، لا يظنون هذا.

لكنه كان قلقًا من أن هذا ما يظنونه تمامًا، نظرًا لاكتئاب ما بعد  
الولادة، ومضادات الاكتئاب، والطبيبة النفسية. لم يعرف ماذا يقول لها  
ليُطمئنها. شعر بذعرها يتراكم وأراد أن ينقذها قبل الانهيار. قالت آن:

- ماذا لو ذهبوا لمقابلة الطبيبة لامدزبن؟

بالطبع سيذهبون لمقابلة الطبيبة لامدزبن. (فكَّر ماركو). كيف  
استطاعت أن تتخيَّل للحظة أنهم لن يزوروا طبيبتها النفسية؟

- سيذهبون غالبًا.

قال ماركو ذلك بصوت تعمد أن يكون هادئًا، بل كاد يكون مجرد  
صياغة للحقائق.

- وماذا لو فعلوا؟ لا علاقة لكِ باختفاء كورا، كلانا نعرف ذلك.

قالت آن والدُّعر يتملَّكها:

- لكنها ستخبرهم بخصوص أشياء...

- لا، لن تفعل. إنها طبيبة، ليست مخوَّلة لتخبرهم بأي شيء قلته  
لها، بسبب الخصوصية بين المريض والطبيب. يستحيل أن  
يجعلوا طبيبتك تخبرهم بأي شيء قلته لها.

عادت آن للمشي جيئةً وذهابًا في غرفة المعيشة، وهي تفرك يديها، ثم توقفت وقالت:

- هذا صحيح، أنت مُحق.

تنفّست بعمق عدة مرات، ثم استدركت وقالت:

- سافرت الطيبة لامزدن إلى أوروبا لتقضي عدة أسابيع.

قال ماركو:

- هذا صحيح، لقد أخبرتني بذلك.

وضع كلتا يديه على كتفيها وضغط بإحكام، وثبّت عينيه عليها وقال مؤكّدًا:

- لا أريدك أن تقلقي بخصوص هذا يا آن. لا يوجد ما تقلقين بشأنه،

فأنت لا تخفين أي شيء. وماذا لو عرفوا أنك تعانين بعض المشكلات

بسبب الاكتئاب، حتى قبل ولادتك؟ معظم الناس مصابون بالاكتئاب، لا

بد أن ذلك المحقق اللعين مكتئب بدوره.

ثبّت نظراته نحوها حتى استرجعت انتظام أنفاسها، وأومات موافقةً.

أنزل ماركو ذراعيه وقال:

- علينا التركيز على استعادة كورا.

وارتمى منهكًا على الأريكة. فقالت آن وهي تعاود فرك يديها

ببعضهما:

- كيف؟

قال ماركو:

- ما كنتُ أحاول قوله سابقًا بخصوص المكافأة. لعلنا نتعامل

مع القضية بطريقة خاطئة. لعلّ علينا أن نحاول التعامل بشكل

مباشر مع الخاطف مهما كانت هويته، فلنحاول عرض مكافأة

مقابل استعادتها، ونرى إن كان سيَتصل.

فكرت أن لمدة دقيقة وقالت:

- لكن إن كان الخاطف يحتجزها، فلم لم يطلب فدية؟

- لا أعرف! ربما تملك الذعر منه، وهذا أكثر ما يخيفني، لأنه يعني

أنه قد يقتل كورا ويتخلص من جثتها في مكان ما!

سألته آن:

- كيف نبدأ بالتفاوض مع الخاطف إن لم يكن على تواصل معنا

حتى؟

نظر ماركو نحو الأعلى وقال:

- من خلال الإعلام.

أومأت آن برأسها وهي تفكر:

- كم تظن سيتطلب الأمر لاستعادتها؟

هز ماركو رأسه بيأس وقال:

- لا فكرة لدي، لكننا لا نملك سوى محاولة واحدة، علينا أن نجعل

المبلغ مغرياً. مليون أو اثنان ربما؟

لم ترمش آن حتى، وقالت:

- والداي يحبّان كورا للغاية، سيدفعان بالطبع. فلنطلب منهما أن

يعودا، والمحقق رازباك أيضاً.

عاد رازباك مسرعاً إلى منزل عائلة (كونتي)، بعد أن استدعاه ماركو

باتصال هاتفي.

وقف كل من آن وماركو في غرفة المعيشة، وكانت آثار بكاء ظاهر

على وجهيهما، لكن الراحة بدت عليهما. لوهلة، ظن رازباك أنهما

سيقومان بالاعتراف.

ترقبت آن قدوم والديها من خلال النافذة الأمامية، وأثناء ذلك، وصل

ريتشارد وأليس واجتازا السلم بجانب المراسلين مُسرعين، وبطريقة ما،

محافظة على رصانتها على الرغم من وميض الكاميرات من حولهم.  
فتحت أن الباب لهما، وتوارت خلف الباب بعيداً عن الأنظار.  
سأل ريتشارد ملتاغاً وهو ينظر نحو ابنته ونحو المحقق:

- ما الذي جرى؟ هل وجدتموها؟

حاولت عينا أن الحادّتان التعبير عن كل شيء دفعة واحدة، بدت أملةً  
ومتألّمة. قالت:

- لا، لكننا بحاجة إلى مساعدتكما.

راقبهم رازباك جميعاً بتمعن. اكتفى ماركو بالصمت.

قالت أن:

- نرى أنا وماركو أنه علينا عرض مبلغ مالي على الخاطف مباشرة.  
مبلغ مغرٍ. ومهما كان من يحتجزها، لعلّه يعيدها إن عرضنا  
المبلغ المناسب ووعدنا بالأ نقيم دعوى.

التفتت إلى والديها، بينما وقف ماركو بجانبها، وأضافت منفعة:

- علينا أن نتصرّف، لا نستطيع الاكتفاء بالجلوس هنا وانتظار أن  
يقتلها!

تفحّصت عيناها وجهي والديها وقالت:

- نحتاج إلى مساعدتكما.

تبادل كل من أليس وريتشارد النظرات للحظة، ثم قالت أليس:

- بالطبع يا آن، سنفعل أي شيء لنستعيد كورا.

قال ريتشارد وهو يهز رأسه مؤيداً:

- بالطبع.

سألت أليس:

- كم تحتاجون؟

مكتبة  
t.me/t\_pdf

توجّهت آن بالسؤال إلى المحقق رازباك:

- ما قولك؟ كم سيحتاج الأمر لنجعل الخاطف يُعيدها؟

درس رازباك السؤال بعناية قبل أن يُجيب. إن كانوا بريئين، فسيكون من الطبيعي أن يرغبوا في عرض النقود على الخاطف الذي يحتجز ابنتهم مهما يكن المبلغ. ويبدو أن هذه العائلة تملك أموالاً غير محدودة. الأمر يستحق المحاولة بالفعل. قد لا يكون الوالدان متورّطين إطلاقاً، والوقت ينفد. سأل رازباك:

- ما المبلغ الذي تفكّرون في عرضه؟

بدأ الإحراج على آن، أخجلها وضع قيمة مادية لابنتها. لم تكن تملك أدنى فكرة حقاً حول المبلغ، كم يُعدُّ أكثر من اللازم؟ وكم يُعدُّ أقل من اللازم؟ لكنها أجابت:

- كنا نفكّر أنا وماركو في عرض مليونين، أو أكثر ربما.

ظهر تردُّدها بوضوح، ونظرت إلى والديها بصعوبة، هل كانت تبالغ في مطالبها؟  
قالت أليس:

- بالطبع يا آن، مهما كان المبلغ الذي تحتاجون إليه.

قال ريتشارد:

- سيتطلّب جلبه القليل من الوقت، لكننا سنفعل أي شيء من أجل كورا ومن أجلك يا آن، تعرفين هذا.

أومأت آن دامعةً، وعانقت والدتها أولاً، ثم التفتت وأرخت ذراعيها حول والدها الذي عانقها بدوره. ضمَّها بينما اهتزت كتفاها وهي تنتحب.

ولوهلة، فكّر رازباك كم هي سهلة حياة الأثرياء. راقب رازباك ريتشارد وهو يرمق صهره بصمتٍ معانقاً ابنته.



## الفصل التاسع

استقروا على عرض ثلاثة ملايين دولار. كان مبلغًا كبيرًا، لكنه لن يؤثر على ثروة ريتشارد و«أليس درايز» التي بلغت أكثر بعدة ملايين. كان بإمكانهما تحمّل تلك التكلفة.

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من الإبلاغ عن اختفاء طفليهما لأول مرة، عند الصباح الباكر يوم السبت، واجه آن وماركو الإعلام مجددًا. لم يخاطبا الإعلام منذ السابعة من ذلك الصباح. وصاغا رسالةً بدقّةٍ مجددًا على طاولة القهوة، بمساعدة المحقق رازباك، ثم خرجا إلى العتبة الأمامية لمنزلهما ليُدلّيا بالبيان.

بدلت آن ثيابها هذه المرة، لبست فستانًا أسود بسيطًا، إنما أنيق. لم تضع مجوهرات باستثناء أقراط اللؤلؤ. كانت قد تحمّمت، وغسلت شعرها، ووضعت القليل من مساحيق التجميل أيضًا، في محاولة لإظهار الشجاعة على ملامح وجهها. واستحمّ ماركو بدوره، وحلق لحيته، وبدل ثيابه فارتدى سترة بيضاء وبنطالًا جينز نظيفًا. ظهرًا كزوجين وسيمين، ومميزين في الثلاثينيات من عمرهما، إلا أن نائبةً قد أصابتهما.

حين خرجا إلى الشرفة الصغيرة، قبل نشرة أخبار الساعة السادسة تمامًا، أومضت الكاميرات كما فعلت مسبقًا. كان الاهتمام في القضية قد تزايد خلال ذلك اليوم. انتظر ماركو ريثما تلاشى الصَّخب، وتوجَّه إلى المراسلين بالكلام بصوتٍ عالٍ:

- نودُّ الإدلاء ببيانٍ آخر.

لكنَّ أحدًا قاطعه قبل أن يبدأ حتى. قال صوتٌ قادم من الرصيف تحتها:

- كيف تفسِّران الخطأ في توصيف ملابس الطفلة؟

قال صوتٌ آخر مُطالبًا بتفسير:

- كيف قد ترتكبان خطأً مثل هذا؟

نظر ماركو نحو رازباك، ثم أجاب دون أن يكلف نفسه عناء إخفاء انزعاجه:

- أعتقد أن الشرطة قد أصدرت بيانًا بشأن الأمر مسبقًا، لكن سأخبرك مجددًا.

أخذ شهيقًا عميقًا وأكمل:

- ألبسنا كورا رداءها الوردِيَّ عند بداية المساء، وحين أطعمتها زوجتي عند الحادية عشرة، لوَّثت كورا ثيابها، فبدَّلت زوجتي ثيابها، وألبستها رداءً أخضر، وجرى ذلك في العتمة، لكن الأزمة الكامنة في اختطافها جعلتنا ننسى ذلك ببساطة.

صمت حشدُ المراسلين بعد هذا الجواب، حاولوا فهمه مُرتابين.

استغلَّ ماركو الصمت وقرأ النصَّ المُجهَّز أمامه:

- أنا وأنَّ نحبُّ كورا وسنعمل أي شيء لاستعادتها. نتوسَّل لمن يحتجزها ليُعيدها إلينا. نحن مستعدُّون لتقديم مبلغ قدره ثلاثة ملايين دولار.



سُمِعَتْ شهقة من بين الحضور، فتأَنَّى ماركو ثم أكمل:

- مستعدُّون لتقديم ثلاثة ملايين دولار لمن يحتجز طفلتنا. أتوجَّه  
بحديثي إلى خاطف كورا أيًّا كان، اتصل بنا لنتفاهم. أعرف أنك  
تشاهد هذا غالبًا. أرجوك تواصل معنا، وسنجد طريقة لإيصال  
النقود إليك مقابل عودة ابنتنا سالمةً.

رفع ماركو رأسه وقال مواجهًا الكاميرات:

- أقول لخاطف ابنتنا، أعدك أننا لن نطالب بملاحقتك، كلُّ ما نريده  
هو عودتها.

كان قد خرج عن النص المُتَّفَق عليه في المقطع الأخير، ورفع  
المحقق رازباك حاجبه الأيمن قليلًا.

- هذا كل شيء.

تزايد وميض الكاميرات بشدَّة بينما أخفض ماركو الورقة في يده.  
انهال عليه المراسلون بالأسئلة، لكنه أدار ظهره لهم، وساعد آن في  
الدخول إلى المنزل، وتبعهما المحققان رازباك وجنينيغز نحو الداخل.

كان رازباك مُدركًا أنَّه بغض النظر عن كلام ماركو، فالخاطف أو  
الخاطفة، ليسوا محصَّنين ضد المقاضاة، والقرار ليس في يد الوالدين.  
لا بدَّ أن الخاطف يعرف ذلك أيضًا. إن كان الهدف من الاختطاف هو  
الفدية بالفعل، فالحلُّ يكمن في إيصال النقود إلى الخاطف، واستعادة  
الطفلة سالمةً دون أن يقوم أحدٌ بتصرُّفٍ أحرق نابع عن الذعر. إلا أن  
جريمة الاختطاف خطيرةٌ، لذا إن لم تجرِ الأمور كما خطَّط الخاطف لها،  
فسيكون من الصعب أن يقاوم إغراء قتل الضحية والتخلص من جثَّتها  
خوفًا من أن يُقبض عليه.

قال رازباك حين صاروا في الداخل جميعًا:

- والآن لننتظر.

تمكّن ماركو أخيراً من إقناع آن بالصعود إلى الطابق العلويّ لترتاح قليلاً. تناولت القليل من الكعك، ولم تكن قد تناولت سواها طوال اليوم. اضطرّرت إلى ضخّ حليب ثدييها بشكلٍ دوريّ، فكانت تذهب إلى غرفة الطفلة لتجد الخصوصية لفعل ذلك. لكن الضخّ ليس بمثل فعالية الإرضاع، لذا عانت احتقاناً وتورّماً في ثدييها، فأصبحت ساخنين ومؤلمين.

قبل أن تحاول النوم، كان عليها أن تضحّ مجدداً. جلست على كرسي الإرضاع وأدمعت عاطفتها عينيها. لم تفهم كيف وجدت نفسها تجلس في الكرسي، وبدلاً من أن تُكحلّ ناظريها بابتنتها في حضنها، تفتح وتضمّ أصابعها الصغيرة وتحدّق نحو الأعلى بعينيها الزرقاوين الواسعتين، ورموشها الطويلة، لتجد أمها أمامها -ها هي الآن تضحّ حليبها بيديها في حاوية بلاستيكية، لتتخلّص منه في الحمام. يستغرق الضخّ وقتاً طويلاً، تبدأ بثدي، ثم تنتقل إلى الآخر.

كيف لم تتذكّر أنها بدّلت الرداء الورديّ الذي كانت ترتديه طفلتها؟ ما الذي نسيته أيضاً بخصوص تلك الليلة؟ حالة الصدمة كانت السبب في ذلك، بالتأكيد لا يتعدّى الأمر ذلك.

بعد أن انتهت أخيراً، أعادت ترتيب ثيابها، ونهضت عن كرسيّ الإرضاع، ثم مشت إلى الحمام عند نهاية السّلم، وبينما كانت تتخلّص من حليب ثدييها في الحوض، حدّقت إلى صورتها على المرآة المكسورة.

مشى رازباك متجاوزاً عدّة مبانٍ بعيداً عن منزل عائلة (كونتي)، ليصل إلى شارع يحوي متاجر، ومعارض، ومطاعم عصريّة. كان مساءً صيفياً اعتيادياً ارتفعت فيه درجات الحرارة والرطوبة. توقف ليتناول وجبة سريعة، وراجع ما يعرفه: ألغت جليسة الأطفال موعدها عند السادسة مساءً، ولزّمت افتراضاً أن الطفلة كانت ما تزال على قيد الحياة عندها. كان الزوجان لدى الجيران بحلول السابعة، ولعلمهما لم يملكا

الوقت الكافي لقتل الطفلة والتخلص من جثتها ما بين اتصال جليسة الأطفال، والذهاب إلى منزل الجيران.

كما إن أحدًا من الجيران لم يَرِ أيًا منهما يغادر المنزل ما بين السادسة والسابعة مساءً من اليوم السابق، مع أو بدون الطفلة.

قال كلُّ من ماركو وأن إن ماركو قد تفقّد الطفلة، مستخدمًا الباب الخلفي، عند الثانية عشرة والنصف. ادّعى ماركو أن كاشف الحركة كان فعّالًا عندها. كشف التحليل الجنائي عن وجود آثار إطارات لا تتطابق مع سيارة عائلة (كونتي) في المرآب. شاهدت (بولا ديمبسي) سيارةً مُطفأةً أضواؤها الأمامية تسير غير مُحدثةٍ أيّ ضجيج، في الممر الخلفي، مُبتعدةً عن منزل عائلة (كونتي) عند الثانية عشرة وخمسٍ وثلاثين دقيقة. ومن الواضح أنه قد تمّ فكّ مصباح كاشف الحركة.

مما يعني أن الخاطف قام بجريمته بعد الثانية عشرة والنصف، ما بين تفقّد ماركو للطفلة، وعودة الزوجين إلى المنزل. والسيارة التي رأتها (بولا ديمبسي) قد تكون غير مرتبطة بما حدث، أو أن ماركو كان يكذب، وهو من فكّ مصباح كاشف الحركة، وأخذ الطفلة إلى السيارة التي كانت بانتظاره. لم تحلّق الطفلة إلى المرآب، شخصٌ ما قد حملها، وآثار الأقدام الوحيدة في الفناء الخلفي، تعود لماركو وأن. السائق، أو الشريك في الجريمة، إن كان هناك شريك، فالغالب أنه لم يخرج من السيارة حتى. ثم عاد ماركو إلى الأمسية وجلس بعفوية في الفناء الخلفي ودخّن سيجارة وهو يغازل زوجة جاره.

ثمة مشكلة وحيدة: جليسة الأطفال. كان يستحيل أن يعرف ماركو أن جليسة الأطفال لن تأتي. حقيقة أنه كان من المفترض أن تحضر جليسة الأطفال إلى المنزل، تتعارض مع كون الحادثة قضيةً اختطاف مخطط لها بعنايةٍ من أجل الحصول على فدية.

لكن قد تكون الحادثة عفوية. هل قتل أحد الزوجين الطفلة دون قصد، في نوبة غضب مثلاً؟ إما بين السادسة والسابعة، لعل الطفلة تأذت أثناء شجارهما، أو حين كانا يتفقدانها خلال الليل. وإن جرى شيء من هذا القبيل، فهل سارعا للاتفاق مع شخص ما ليساعدهما في التخلص من جثة الطفلة في الصباح الباكر؟

عَكَرَ أمرُ اللباسِ الوردِيِّ صفوه. قالت الأم إنها رمته في سلة الغسيل بالقرب من طاولة تغيير الحفاضات، لكنهم عثروا عليه مخبأً تحت وسادة الطاولة. فما سبب ذلك؟ لعلها كانت ثملةً لدرجة جعلتها تدفع بقطعة الملابس المتسخة تحت الوسادة بدلاً من وضعها في سلة الغسيل. إن كانت ثملةً بما يكفي لتظن أنها وضعت لباس الطفلة في سلة الغسيل في حين أنها لم تفعل، فهل كانت ثملةً بما يكفي لتوقع الطفلة؟ لعلها أوقعتها، فارتطم رأس الطفلة أرضاً وتوقّيت، أو لعلّ الأم خنقتها. إن كان هذا ما حدث، فكيف وجد الوالدان شخصاً يأخذ ابنتهما بهذه السرعة؟ بمن قد يتصلان؟

توجّب عليه إيجاد هوية الشريك المحتمل. سيحصل على سجلات هاتف المنزل والهواتف الخلوية للزوجين، ليكتشف إن كان أيٌّ منهما قد أجرى اتصالاً بين السادسة والثانية عشرة والنصف من تلك الليلة.

إن لم يكن أحد الوالدين قد قتل الطفلة، قصداً أو دون قصد، فهل كانا ليُرتباً لعملية اختطاف لها؟ كان لدى رازباك تفسير يُرجح ذلك. تمّ عرض ثلاثة ملايين دولار، أو أكثر، وهو دافع كافٍ لأي شخص. الأريحية التي عرض فيها جداً الطفلة النقود للوالدين المنكوبين تشي بالكثير. سيجمع رازباك قدر ما يستطيع من معلومات حول آن و(ماركو كونتي). إلا أنه كان وقت استجواب الجيران.

## الفصل العاشر

توقف رازباك عند منزل عائلة (كونتي) ليصطحب جنينغز. عندما وصل المحققان، تحت أنظار المراقبين، اكتشفا أن الزوج، غراهام ستلويل، لم يكن موجودًا في منزله.

كان رازباك قد قابل الزوجين لفترة قصيرة عند منتصف الليلة السابقة، بعد الإبلاغ عن فقدان الطفلة. أُصيب كلٌّ من سنثيا وغراهام ستلويل بصدمة أبكمت لسانهما عن الكلام حين سمعا بخبر اختطاف طفلة جيرانهما. وعندها كان تركيز رازباك موجَّهًا نحو الفناء الخلفي، والسُّور، والممرِّ ما بين المنزلين، إلا أنه أراد التحدُّث مع سنثيا هذه المرة، مُضيفة الحفلة، ليرى إن كانت ستوضِّح له المزيد حول جيرانها.

كانت امرأة جميلة في أوائل الثلاثين، بشعر أسود طويل، وعينين زرقاوين واسعتين. تمتلك قوامًا من النوع الذي يُسبب أزمة سير. وكانت مُدركةً تمامًا لجاذبيَّتها، مما يجعل مَنْ حولها غير قادرين على إنكار ذلك. كانت ترتدي سُترةً بالكاد مُزرَّرة، وبنطالًا كتَّان جدَّابًا، وحذاءً مفتوحًا بكعب عالٍ. وقد وضعت على وجهها كمِّيَّة لا بأس بها من مساحيق التجميل، على الرغم من أن شخصًا ما قد اختطف طفلة جارِيها بينما

كانا في منزلها الليلة السابقة. إلا أن تعبها كان واضحًا على الرغم من مساحيق التجميل، كأنها لم تحظْ بكفايتها من النوم، أو لم تنم إطلاقًا.

سألت سنثيا ستلويل بعد أن دعتهما للدخول:

- هل اكتشفتُم أيَّ أدلَّة؟

صَعِقَ تشابهُ المنزلين المتجاورين المحقَّق، فالتصميم كان ذاته، والسلم الخشبي المنقوش والمُنحني وصولًا إلى الطابق العلويِّ، والمدفأة الرُّخامية، والنافذة الأمامية، كلها كانت متطابقة. إلا أن كلَّ منزل حملَ طابعًا واضحًا خاصًّا بسكَّانه، فبينما تمحور تصميم منزل عائلة (كونتي) على الألوان الخافتة والقطع الأثرية والفنِّ، سادَ تصميمَ منزل عائلة (ستلويل) طابعٌ عصريٌّ بأثاثه الجلديِّ، وطاولاته البيضاء المصنوعة من الزجاج ومعدن الكروم، ولاحت ألوانٌ زاهية في كل مكان. سحبت سنثيا الكرسي أمام المدفأة، وجلست بأناقة، واضعةً ساقًا فوق الأخرى، وأرخت قدمها التي أحاط بها حذاءً مفتوح يُظهر أصابعها المطلية باللون القرمزيِّ بمهارة.

تبسَّم رازباك مُعتذرًا بينما كان يجلس هو وجنينيغز على الأريكة الجلديَّة الأنيقة، وقال:

- لسنا مخوَّلين لمناقشة التفاصيل للأسف.

بدت سنثيا متوتِّرة، وأراد أن يُطمئنَّها، فسألها:

- ماذا تعملين يا سيدة (ستلويل)؟

- أعمل مصوِّرة محترفة، بشكلٌ مستقلٌّ غالبًا.

- حسنًا.

قال رازباك ذلك وهو يحرك عينيه على الجدران المُعلَّق عليها صورٌ بالأبيض والأسود مُحاطة بإطارات أنيقة.

- أنتِ من قام بتصويرها؟

قالت مع ابتسامة خفيفة:

- نعم، بالفعل.

قال رازباك:

- من الرهيب أن تُخطف الطفلة. لا بد أن هذا كان مُقلِّقًا بالنسبة لك.

- لا أستطيع التوقف عن التفكير في الأمر.

قالت ذلك والقلق بادٍ عليها. قَطَّبَت جبينها وأكملت:

- أقصد، كانا هنا عندما كان الأمر يحصل. كنا جميعًا هنا نحظى

بوقتٍ طيّب، غافلين عمًّا حولنا. أشعر بالسوء الشديد. (لَعَقَت

شفتيها).

طلب رازباك:

- هَلَّا أخبرتني عن تلك الأمسية؟ أخبريني عن مجرياتها من

منظورك.

قالت وهي تأخذ نفسًا عميقًا:

- كنتُ قد خططتُ لإقامة حفلٍ بمناسبة عيد ميلاد غراهام الأربعين.

أراد احتفالًا بسيطًا، لذا دعوتُ ماركو وأن إلى العشاء لأننا أصدقاء

مقرَّبون. اعتدنا أن نتناول العشاء معًا في كثير من الأوقات قبل

قدوم الطفلة، وما عُدنا نفعل ذلك بعد ولادتها. لم نكن قد رأيناها

منذ فترة.

سأل رازباك:

- هل اقترحتِ أن يتركوا الطفلة في المنزل؟

احمرَّ وجهها وقالت:

- لم أكن أعرف أنهما لم يجدا جليسة أطفال.

- كان لديهما موعد مع جليسة أطفال حَسَبَما فهمت، إلا أنها ألغته

متأخرًا.

أومأت موافقة وقالت:

- هذا صحيح، لكنني ما كنتُ لأقول إنه ليس باستطاعتها اصطحابها إن لم يجدا جليسة أطفال. أتياً ومعهما جهاز مراقبة الطفلة، وقالوا إن الجليسة قد ألغَت الموعد، وإنهما سيشحنان جهاز المراقبة ويتفقّدانها كثيراً.

- وماذا كان رأيك في ذلك؟

سألت مندهشةً وحاجبها مرفوعان:

- ماذا كان رأيي أنا في ذلك؟

أوماً رازباك برأسه منتظراً جواباً.

- لم يكن لي رأي في الموضوع، فأنا لستُ أمًّا. افترضتُ أنهما يعرفان ما يفعلانه، وبدا أنهما لا يمانعان الأمر. كنتُ مشغولةً في تحضير العشاء لدرجةٍ منعتني من التفكير في الأمر. (أضافت) بصراحةٍ، بعدُ أن أحداً منهما كان ينهض كل نصف ساعة ليتفقّدها، فلعلّه كان من الأجدى أن يُحضرا الطفلة. (توقفت ثم أكملت) ومن ناحيةٍ أخرى فهي طفلة كثيرة الضجيج بالفعل.

- هل قلتِ إن أن وماركو ذهبا إلى منزلهما ليتفقّدا الطفلة كل نصف ساعة؟

- نعم، كانا صارمين في ذلك. والدان مثاليان.

سأل رازباك:

- كم كانا يستغرقان من الوقت حين يذهبان لتفقّدها؟

- استغرقا أوقاتاً متفاوتة.

- كيف؟

دفعَت شعرها الأسود خلف كتفها وقومت وضعية ظهرها، وقالت:



- حين كان ماركو يذهب، كان يعود بسرعة، مستغرقاً خمس دقائق أو أقل. لكن آن كانت تستغرق وقتاً أطول. أذكر أنني قلتُ مماًزحةً ماركو إنها قد لا تعود.

- متى كان هذا؟

قال رازباك ذلك مُنحنيًا نحو الأمام، ومُثبِتًا نظراته مع نظراتها.

- عند الحادية عشرة على ما أظن. كانت قد غابت لوقت طويل، وحين عادت، سألتها إن كان كل شيء على ما يرام، فقالت إن كل شيء جيّد وإنها أطعمت الطفلة وحسب. (أومأت سنثيا مؤكّدة وقالت) أجل، كانت الساعة الحادية عشرة، لأنها قالت إنها تُطعمها عند الحادية عشرة دائماً، وإنها تنام بعدها حتى الخامسة تقريبًا. (بدأ الشكُّ على سنثيا فجأةً وأضافت) حين عادت بعد الحادية عشرة، بدأ أنها كانت تبكي.

- تبكي؟ هل أنت واثقة؟

- هكذا بدت لي. أظن أنها غسلت وجهها بعدها، ونظر ماركو إليها قلقًا. أذكر أنني فكّرتُ بأنه لا بد من أن يكون القلق بخصوص آن طوال الوقت أمرًا منهكًا.

- ما سبب قلق ماركو برأيك؟

هزّت سنثيا كتفيها لا مبالية وقالت:

- آن مزاجية أحيانًا. أظنها تعاني في أمومتها أكثر مما توقّعت أنها ستفعل.

احمرّت حين أدركتُ غرابة ما تقوله نظرًا إلى الظرف الحالي، فاستدركت:

- أقصد أن الأمومة قد غيرتها.

- كيف غيرتها؟

أخذت سنثيا نفسًا عميقًا وغيّرت وضعية جلوسها على الكرسي، ثم قالت:

- كنت أنا وأن صديقتين مقرّبتين أكثر من قبل. اعتدنا أن نتناول القهوة معًا، ونذهب للتسوق، ونحدث. نتشارك الكثير فيما بيننا بالفعل، فأنا مصوّرة، وهي تعمل في معرض فنون وسط المدينة. والفرُّ التجريدي يُعجبها للغاية، أو كان يعجبها على الأقل. كانت رائعةً في ذلك المعرض، كانت رائعةً في التنسيق والمبيعات. لديها عين ثاقبة فيما يخص الأنواع وما سيُعجب المُشترين.

توقفت عن الكلام لتسترجع ذكرياتها، فقال رازباك ليحثّها على الكلام:

- أجل.

تابعت سنثيا:

- ثم حملت، وصار الأطفال جُلّ ما يشغل تفكيرها. أرادت أن تتسوق حاجيات الأطفال وحسب. (ضحكت سنثيا قليلاً وأكملت) أعتذر، لكنني وجدتُ ذلك مُنهكًا بعد مدّة. أظنها تضايقت من أنني غير مهتمة بحملها. قلّت اهتماماتنا المشتركة، ثم حين أنجبت الطفلة، شغلّتها طيلة الوقت. أتفهم أنها كانت منهكة، لكنها أصبحت أقلّ إثارةً للاهتمام. (توقّفت سنثيا عن الكلام، وشابكت ساقيها الطويلتين وقالت) أظنه كان عليها أن تعود إلى العمل بعد أن صار عمر الطفلة عدة أشهر، لكنها لم ترغب في ذلك. أظنّها وجدت نفسها عالقةً في صورة الأم المثالية.

سأل رازباك:

- هل تغيّر ماركو كثيرًا منذ ولادة الطفلة؟

أمالت رأسها وهي تفكّر، ثم قالت:

- لا، لا أظن ذلك. إلا أننا لم نره كثيرًا مؤخرًا. يبدو على حاله بالنسبة لي، لكن أظن أن آن تُحبطه قليلًا، فهو ما يزال يحب أن يقضي وقتًا ممتعًا.

سأل رازباك:

- هل تحدّث ماركو وأن حديثًا خاصًا بعد أن تفقدت الطفلة؟

- ماذا تقصد؟

- هل ذهبت مع زوجك إلى المطبخ لتقوموا بالتنظيف أو سواه، وتركتماهما وحيدين معًا خلال الأمسية؟ هل انعزلا في زاويةٍ أو أيّ شيء من هذا القبيل؟

- لا أعرف. لا أظن ذلك. قضى ماركو أغلب الوقت برفقتي، لأنه كان من الواضح أن آن لم تكن في مزاج ملائم للاحتفال.

- لا تذكرين أنهما تناقشا بعيدًا عنكما خلال الأمسية إذا؟

هزّت رأسها وقالت:

- لا، لماذا؟

تجاهل رازباك سؤالها وقال:

- صفي لي مجريات الأمسية بعدها من فضلك.

- جلسنا في غرفة الطعام أغلب الوقت لأنها مُكيّفة، وقد كانت ليلةً حارّةً للغاية. قمنا أنا وماركو بإجراء أغلب الأحاديث، فزوجي هادئ بطبعه، كعادة المُثقفين. يتشارك هو وأن هذه الصفة، لذا ينسجمان معًا.

- وتنسجمين أنت مع ماركو؟

- أنا وماركو اجتماعيَّان أكثر بالتأكيد. أنا أحيي روح زوجي الاجتماعية، وماركو يقوم بالمثل مع آن. أظن أن الأضداد تتجاذب.

تأنّى رازباك تاركًا الصمت يعمُّ في الغرفة، ثم سأل:

- حين أطعمت آن طفلتها وعادت بعد الساعة الحادية عشرة، هل بدت مختلفة بطريقة ما؟ عدا أنه من المحتمل أنها كانت تبكي.
- لم ألحظ شيئاً من هذا القبيل. بدت متعبة وحسب، لكن الحال كانت هكذا بالنسبة لها مؤخراً.

- من تفقدت الطفلة بعدها؟

قالت سنثيا مُسترجعةً ذكرياتها:

- عادت آن عند الحادية عشرة والنصف تقريباً على ما أظن، لذا لم يذهب ماركو. كان دوره عند أنصاف الساعات، ودورها عند اكتمال الساعة، هذا ما اتفقا عليه. لذا ذهبت آن مجدداً عند منتصف الليل، ثم ذهب ماركو عند الثانية عشرة والنصف.
- كم غابت آن عندما ذهبت لتفقد الطفلة عند منتصف الليل؟
- لم تتأخر، غابت بضع دقائق.

سأل رازباك:

- ثم ذهب ماركو عند الثانية عشرة والنصف؟
- نعم، كنت في المطبخ أرتب قليلاً. خرج من الباب الخلفي قائلاً إنه سيغيب قليلاً ليتفقد الطفلة وإنه سيعود حالاً. وغمز لي بعينه.
- غمز لك؟

- نعم، كان قد أكثر من الشرب. كلنا فعلنا.

- كم غاب؟

- ليس طويلاً، دقيقتان أو ثلاث. خمسٌ ربما.

عدلت سنثيا وضعيّة جلوسها ووضعت ساقاً على أخرى مجدداً،

وأكملت:

- حين عاد، خرجنا إلى الفناء الخلفي لندخن السجائر.

- أنتما الاثنان فقط؟

- نعم.

- عمّ تحدثتما؟

سأل رازباك ذلك لأنه تذكّر أن ماركو احمرّ حين ذكر أنه دخّن سيجارة برفقة سنثيا، وتذكّر كم كانت آن غاضبة من مُلاطفة زوجها لهذه المرأة الجالسة أمامه الآن.

قالت سنثيا:

- لا شيء مُهم. أشعل لي سيجارة.

انتظر رازباك دون أن يقول شيئاً. أكملت:

- اقترب مني كثيراً.

بدت غير مرتاحة، وقالت:

- لا أظن أن أيّاً من هذا متعلّق بالقضية، صحيح؟ ما علاقةُ هذا باختطاف الطفلة؟

- أخبرينا بما حدث وحسب، إن لم يكن هناك مانع.

- سحبني إلى حضنه وقبّلني.

قال رازباك:

- تابعي.

- حسناً، انجرف كثيراً، وغلب الاندفاعُ علينا. كنا في الظلام، ثمّلين.

- كم استمرّ ذلك؟

- لا أعرف، بضع دقائق.

- ألم يقلقك احتمال أن تخرج آن أو زوجك ليجداك أنت وماركو

وأنتما.. تتعانقان؟

- لا أظن أن تفكيرنا كان سليمًا بصراحةٍ. فقد كنا ثملين كما أخبرتك مسبقًا.
- لم يركما أحدٌ إذا.
- لا، وأبعدته عني في النهاية، لكنني كنتُ لطيفة في فعل ذلك. ولم يكن الأمر سهلًا، فقد كان مُصرًّا في رغبته تجاهي.
- هل أنت وماركو على علاقة؟
- سأل رازباك عن ذلك بكلِّ وضوح.
- ماذا؟ لا، لسنا على علاقة. رأيتُ أنها مجرد مداعبة لا تؤذي أحدًا. لم يلمسني من قبل. كنا قد أكثرنا من تناول الشراب.
- ما الذي حصل بعد أن دفعته عنك؟
- ربّنا نفسينا وُعدنا إلى الداخل.
- كم كانت الساعة عندها؟
- أظنها كانت الواحدة تقريبًا. أرادت أن الذهاب، لم يُعجبها أن ماركو خرج برفقتي إلى الفناء الخلفي.
- بالطبع لم تفعل، (قال رازباك ذلك لنفسه). ثم قال:
- هل ذهبتِ إلى الفناء الخلفي في أي وقت مُسبقًا في ذلك المساء؟
- هزّت رأسها قائلةً:
- لا، لم؟
- أتساءل إن كانت الفرصة قد سنحت لك لمعرفة فيما إذا كان كاشف الحركة يعمل حين دخل إلى المنزل في أي وقت من ذلك المساء.
- لا أعرف، لم أره يذهب إلى هناك.

- هل كان أحدٌ على معرفة بأن الطفلة وحيدة في المنزل المجاور، باستثنائك أنت وزوجك، وأن وماركو بالطبع؟

- ليس على حدِّ علمي. (أومأت بكتفيها الأنيقتين) أقصد، من سوانا قد يعرف؟

- هل توذِّين إضافة شيء آخر، سيدة «ستلويل»؟  
هزّت رأسها بالنفي وقالت:

- لا، للأسف. بدت ليلة اعتيادية بالنسبة لي. كيف للمخيلة استيعاب شيء كهذا؟ ليتهما جلبًا الطفلة معهما وحسب.  
- شكرًا لوقتك.

قال رازباك ذلك وهو ينهض مستعدًّا للذهاب، ووقف جنينغز خلفه. أعطاهما رازباك بطاقته وقال:

- إن تذكرت شيئًا، أيّ شيء، أرجو أن تتّصلي بي.  
- بالطبع.

نظر رازباك من خلال المرآة الأمامية، ورأى المراسلين يتجوّلون في الأرجاء، بانتظار خروجهما، فسألها:

- هل تمانعين أن ننسحب من الباب الخلفي؟  
قالت سنثيا:

- إطلاقًا، باب المرآب مفتوح.

خرج المحققان من الباب الزجاجي المنزلق في المطبخ، مرورًا بالفناء الخلفي ومرآب منزل عائلة ستلويل. وقفا في الممر الخلفي، بعيدًا عن أنظار الناس في الشارع.

نظر جنينغز نحو رازباك نظرةً جانبية، ورفع حاجبيه.  
سأله رازباك:

- هل تصدّقها؟

سأل جنينغز بدوره:

- بخصوص ماذا تحديداً؟

تجاوز المحققان بصوت منخفض.

- بخصوص كل ما ادّعت أنه حصل في الفناء الخلفي.

- لا أعرف. لماذا قد تكذب؟ كما إنها مُغرية بالفعل.

قال رازباك:

- حسب تجربتي، يكذب الناس طوال الوقت.

- هل تظن أنها كانت تكذب؟

- لا، لكنّ ثمة شيئاً مُريب بخصوصها، ولا أعرف ما هو. بدت

متوترة كأنها تُضمر أو تُخفي شيئاً. والسؤال، على فرض أنها

تقول الحقيقة: لماذا حاول مُلاطفتها بعد الثانية عشرة والنصف

بقليل؟ هل استطاع فعل ذلك لأنه لم يكن يعرف أن ابنته تُختطف

في تلك الأثناء؟ أم أنه فعل ذلك لأنه كان قد سلّم الطفلة للتو إلى

شريك الجريمة، وكان عليه أن يبدو خالي البال كلياً؟

قال جنينغز:

- أو لعلّه معتلٌ نفسياً (وأضاف) لعلّه سلّم الطفلة إلى شريكه، ولم

يعكّر ذلك من صفوه على الإطلاق.

هزّ رازباك رأسه وقال:

- لا أظن ذلك.

كل المعتلين الذين صادفهم رازباك - وكان قد صادف العديد منهم

خلال عمله - أحاطوا أنفسهم بهالة من الثقة، لا بل بهالة من العظمة.

بينما بدأ ماركو وكأنه على وشك أن ينهار تحت الضغط.



## الفصل الحادي عشر

جلست آن وماركو بالقرب من الهاتف منتظرين في غرفة المعيشة. في حال اتصال الخاطف، اتَّفَقوا على أن يحضر رازباك، أو أي شخص سواه من الشرطة إن لم يكن موجودًا، ليُملي على ماركو ما يفعله خلال المكالمة. لكن الخاطف لم يتَّصل. اتَّصل أفراد من العائلة، وأصدقاء، وصحفيون، ومدمنو مخدَّرات، لكن أحدًا لم يتَّصل مُدَّعيًا أنه الخاطف.

تم الاتفاق على أن يجيب ماركو على الهاتف، وأن يتحدَّث مع الخاطف إن اتَّصل. لم تظن أن أنه بإمكانها التماسك، لم يظن أحد أنها قادرة على فعل ذلك. لم يثق عناصر الشرطة بأنها قد تحافظ على هدوئها وتتَّبع التعليمات. غلبتها العاطفة، ومرَّت عليها لحظات كادت تؤدي بها إلى الهستيريا. كان ماركو عقلاً أكثر، على الرغم من اندفاعه الواضح.

رن الهاتف عند نحو العاشرة مساءً. مدَّ ماركو يده نحوه، وكانت رجفة يده واضحةً للجميع. قال:

- ألو.

لم يُسمع على الطرف المقابل سوى صوت تنفُّس.

قال ماركو «ألو» بصوتٍ أعلى، وتوجَّهت عيناه نحو رازباك بسرعة.  
سأل:

- من المتَّصل؟

أنهى المتَّصل المكالمة. قال ماركو مذعورًا:

- ما الخطأ الذي ارتكبته؟

وقف رازباك إلى جانبه مُسرِّعًا وقال:

- لم ترتكب أيَّ خطأ.

نهض ماركو وشرع بالمشي في أرجاء غرفة المعيشة. قال رازباك  
بهدهوء:

- إن كان المتَّصل هو الخاطف، فسُيعاود الاتصال، إنه متوتِّر أيضًا.  
أمعَن المحقق رازباك في مراقبة ماركو الذي بدأ انفعاله المشروع، إذ  
كان يتعرَّض لضغط هائل. فكَّر رازباك بأنه إن كان هذا محضَ تمثيلية،  
فماركو ممثِّلٌ موهوب بالفعل. بَكَت آن بصمتٍ على الأريكة، ومسحت  
عينها بمنديل بين الحين والآخر.

أبحاث الشرطة الدقيقة توصلت إلى أن أحدًا من أصحاب المرائب  
المُفضية إلى الممر، لم يعبره عند الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة  
صباحَ الليلة السابقة. ويتم استخدام الممرِّ من قِبَل آخرين بالطبع،  
وليس فقط من قِبَل الذين يُطلُّ مرآبهم عليه، فهو يُفضي إلى شارعين  
جانبيين من كلتا نهايتيه، ويستخدمه السائقون كحلٍّ لمشكلة الشوارع  
ذات الاتجاه الواحد. حاولت الشرطة جاهدةً إيجاد سائق تلك السيارة.  
كانت (بولا ديمبسي) الوحيدة التي رأت السيارة في ذلك التوقيت.

فكَّر رازباك أنه لو كان هناك خاطف، لكانوا سمعوا خبرًا عنه بحلول  
ذلك الوقت. قد لا يأتي اتصال من الخاطف، ربما قتل الوالدان الطفلة،  
وتلقَّيا مساعدة في التخلص من جثتها، وكل هذا تمثيليةٌ مُتقنة لإبعاد

الشكوك بأنهما القاتلان. لكن المشكلة تكمن في أن رازباك قد سحب سجلات هاتفيهما، وسجلات هاتف المنزل، ولم يجد فيها مكالماتٍ قد أجراها أيٌّ منهما لأي شخص بعد السادسة مساءً من الليلة السابقة، باستثناء اتصالهم لطلب الطوارئ.

مما يعني أنهما إن ارتكبا الجريمة، فقد لا تكون عفوية. ربما خططا لها منذ البداية، ورتبًا لينتظرهما شخص ما في المرآب، أو ربما استخدما هاتفًا غير قابلٍ للتعبُّب، بفاتورة مسبقة الدفع. لم تجد الشرطة هاتفًا بهذه المواصفات، لكن هذا لا يعني أنه ليس موجودًا. إن تلقياً مساعدة في التخلص من الجثة، فلا بدَّ أنهما اتَّصلا بشخص ما.

رَنَّ الهاتف مرات عديدة بعدها. طالبهما المتَّصلون بالتوقف عن العبث مع الشرطة، وآخرون بأن يصلِّيا، وقد عُرضت عليهما خدمات مساعدة نفسية، مقابل أجر. لكن أحدًا لم يتَّصل مُدعيًا أنه الخاطف.

صعد كل من آن وماركو إلى الطابق العلويِّ في النهاية لينالا قسطًا من النوم. لم يناما في الساعات الأربعة وعشرين الماضية، أو قبلها بيوم. كانت آن قد حاولت أن تستلقي، لكنها لم تستطع أن تغفو، بل كانت ترى كورا بعين مخيَّلتها، ولا تصدِّق أنها لا تستطيع لمسها ولا تعرف مكان ابنتها أو إن كانت على ما يرام.

استلقى ماركو وآن على السرير معًا مرتدين ثيابهما، وجاهزين للاندفاع إن رَنَّ الهاتف. تعانقا، وتحَدَّثا همسًا. قالت آن:

- أتمنى لو كان بإمكانني مقابلة الطبيبة لامزدن.

شدَّها ماركو إليه، ولم يعرف ماذا يقول. سافرت الطبيبة لامزدن إلى مكان ما في أوروبا، وستبقى هناك لعدة أسابيع، لذا ألغَت مواعيد آن.

همس ماركو:

- أعرف.

رَدَّتْ آن هَامَسَةً بِدَوْرَهَا:

- قَالَتْ إِنَّهُ بِإِمْكَانِي مُقَابِلَةَ الطَّبِيبَةِ الَّتِي تَغْطِي مَكَانَهَا إِنْ احْتَجَجْتُ إِلَى ذَلِكَ، لَعَلَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَزْهَبَ.

قَلْبَ مَارِكُو الْفِكْرَةَ فِي زَهْنِهِ، كَانَ قَلْقًا عَلَيْهَا. أَقْلَقَهُ أَنَّهَا قَدْ تَتَأَذَى بِالْبَالِغِ الْأَذَى إِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْأَمْرُ عَلَى مَا يِرَامُ. لَطَالَمَا غَلَبَتْهَا الْهَشَاشَةُ حِينَ تَتَعَرَّضُ لِلضَّغْطِ. قَالَ لَهَا:

- لَا أَعْرِفُ يَا حَبِيبَتِي. كَيْفَ سَتُزْهِبِينَ إِلَى الطَّبِيبَةِ بِوُجُودِ كُلِّ هَؤُلَاءِ الصَّحْفِيِّينَ فِي الْخَارِجِ؟

هَمَسَتْ أَنْ يَأْتِسَةً:

- لَا أَعْرِفُ.

لَمْ تَشَأْ أَنْ يَتْبِعَهَا الصَّحْفِيُّونَ إِلَى مَكْتَبِ طَبِيبَتِهَا النَّفْسِيَّةِ، فَقَدْ كَانَتْ قَلْقَةً بِخُصُوصِ مَعْرِفَةِ الصَّحَافَةِ بِمَعَانَاتِهَا مَعَ اكْتِنَابِ مَا بَعْدَ الْوِلَادَةِ. رَأَتْ كَيْفَ كَانَتْ رِدَةً فَعَلَهُمْ حِينَ ارْتَكَبَتْ ذَلِكَ الْخَطَأَ بِخُصُوصِ رِءَاءِ ابْنَتِهَا. لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ حَتَّى ذَلِكَ الْحَيْنِ بِأَنَّهَا مَكْتَتِبَةٌ سِوَى مَارِكُو وَوَالِدَتِهَا، وَطَبِيبَتِهَا، وَالصَّيْدِلَانِيَّ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الشَّرْطَةِ بِالطَّبِيعِ، فَقَدْ فَتَّشُوا مَنَزْلَهُمْ بَعْدَ اخْتِطَافِ الطِّفْلِ مُبَاشَرَةً وَعَثَرُوا عَلَى دَوَائِهَا.

لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَخْضَعُ لِعِلَاجِ مُوصُوفٍ مِنْ قَبْلِ طَبِيبَتِهَا النَّفْسِيَّةِ، هَلْ كَانَتْ الشَّرْطَةُ لَتَحَاوِطَهُمْ كَالذَّنَابِ الْآنَ؟ رُبِمَا لَا. حَمَلَتْ نَفْسَهَا ذَنْبَ اشْتِبَاهِ الشَّرْطَةِ بِهِمْ. لَا تَمْلِكُ الشَّرْطَةُ سَبَبًا لِلشُّكِّ بِهِمَا لَوْلَا ذَلِكَ. إِلا فِي حَالِ كَانُوا يَشْتَبِهُونَ بِهِمَا لِأَنَّهُمَا تَرَكَمَا الطِّفْلَةَ وَحِيدَةً فِي الْمَنْزَلِ، فَذَلِكَ خَطَأَ مَارِكُو. يَقَعُ اللُّومُ عَلَى كِلَيْهِمَا إِذَا.

اسْتَلْقَتْ فِي السَّرِيرِ وَهِيَ تَسْتَرْجِعُ كَيْفَ كَانَ إِحْسَاسُ احْتِضَانِهَا لِابْنَتِهَا لِتَشْعُرَ بِجَسَدِيهِمَا يَتَلَامَسَانِ، بِحَرَارَةِ طِفْلَتِهَا الرُّضِيعَةِ الْمَمْتَلِئَةِ بَيْنَ يَدَيْهَا، وَهِيَ تَرْتَدِي حَفَاضًا فَقَطْ، وَتَعْبِقُ رَائِحَةً بِشَرَّتِهَا بِرَائِحَةِ الطِّفْلَةِ وَمَوَادِّ الاسْتِحْمَامِ الْعَطِرَةِ. تَذَكَّرَتْ ابْتِسَامَةَ كُورَا الْعَذْبَةِ، وَخَصْلَةَ

الشعر المجعّدة عند منتصف جبينها، مثل تلك الطفلة في أغنية الأطفال.  
لطالما أضحكها ذلك هي وماركو.

الطفلة الصغيرة، ذات الخصلة الصغيرة

عند منتصف جبينها تمامًا

حين تتصرّف بلطف، تكون بالغة الروعة

وحين تتقصّد الأذى، لا تعيرنا اهتمامًا

على الرغم من أنها شعرت أنها مهزومة -أَيُّ أُمّ تصيبها الكآبة  
بعد هبة طفلة بكامل صحتها؟- أحببت أن طفلتها بكل جوارحها. إلا  
أن الإنهاك تمكّن منها، فقد كانت كورا طفلة كثيرة البكاء والشكوى،  
ومتطلبة أكثر من سواها. وحين عاد ماركو إلى عمله، بدت الأيام طويلةً  
لا تُطاق. ملأت أن وقتها قدر الإمكان، لكنها شعرت بالوحدة مع ذلك.  
بدت أيامها متماثلة، ولم تستطع تخيل حال أخرى. وفي ذهنها الذي  
شوّشته قلة النوم، لم تستطع تذكر كيف كانت أيام عملها في معرض  
الفنون، بالكاد تذكرت كيف كان شعورها حين كانت تساعد الزبائن في  
إضافة قطع إلى مجموعاتهم، وحماسها حين تكتشف فنّانًا جديدًا واعدًا.  
بل بالكاد تذكر كيف كانت حياتها قبل أن تلد الطفلة وتبقى في المنزل  
للاعتناء بها.

لم ترغب أن في دعوة والدتها لمساعدتها، فقد كانت مشغولة مع  
أصدقائها في النادي الريفي والجمعيات الخيرية. ولم يكن أيّ من  
أصدقاء أن يلتزم المنزل للعناية بالأطفال في ذات الوقت. عانت أن،  
وشعرت بالعار لأنها لم تتمكّن من التأقلم. اقترح ماركو توظيف شخص  
ليُساعدها، لكن ذلك جعلها تشعر بعدم الكفاءة.

متنفسها الوحيد كان في مجموعة الأمهات اللواتي يجتمعن لمدة ثلاث ساعات مرة في الأسبوع، صباح كل أربعاء. لكنها لم تتواصل مع أي من الأمهات لدرجة تسمح لها بمشاركة مشاعرها. بدأ أن جميعهن سعيدات بالفعل، و متمكنات في أمومتهم أكثر منها، على الرغم من أنها كانت الولادة الأولى لكل منهن.

كما كانت الجلسة الأسبوعية الصباحية مع الطبيبة لامزدن متنفسًا، وكان ماركو يعتني بكورا.

جل ما أرادته آن في ذلك الوقت، كان أن يعود بها الزمن أربعًا وعشرين ساعة. نظرت إلى الساعة الرقمية على الطاولة بجانب السرير، كانت الحادية عشرة والنصف. قبل أربع وعشرين ساعة، كانت قد تركت كورا في مهدها للتو، وعادت إلى الأمسية. لم يكن أي من هذا قد حدث، كل شيء كان مثاليًا. ليت بإمكانها العودة بالزمن، ليت كان بإمكانها أن تستعيد طفلتها، لكأنت شعرت بالامتنان البالغ والسعادة العارمة، ولما شعرت بالكآبة مجددًا. كانت لتقدر كل دقيقة مع ابنتها، دون أي تذمر حول أي تفصيل على الإطلاق.

مستلقية على السرير، عقدت آن صفقة مع الله، على الرغم من أنها لا تؤمن به، وانتحبت على وسادتها.

غفت في النهاية، بينما ظل ماركو مستيقظًا بجانبها لفترة طويلة، لم يستطع إيقاف الطنين في رأسه.

نظر إلى زوجته النائمة بقلق على جنبها وظهرها نحوه. لم تنم منذ ست وثلاثين ساعة، ويعرف أنها بحاجة إلى النوم لتستطيع التأقلم مع كل ما يجري.

حدق إلى ظهرها وفكر بأنها تغيرت كثيرًا منذ ولادة ابنتهما، لم يكن الأمر متوقعًا على الإطلاق، فقد ترقبا معًا ولادة الطفلة بفارغ الصبر، زينا غرفتها، وتسوقًا لجلب حاجياتها، وحضرا دروس تحضير للولادة،

وتلمّسا ركلات الطفلة في بطنها. كانت تلك أحد أسعد الأشهر في حياته، ولم يخطر على باله أن الأمور ستصبح بهذه الصعوبة بعدها. لم يتوقّع حدوث ذلك.

كان مخاضها طويلاً وصعباً، لم يتجهّزا لذلك أيضاً، إذ لم يخبرهما أحدٌ عنه في دروس التّحضير للولادة تلك - لا أحد يقول كيف قد تسوء الأمور-. وُلدت كورا في النهاية عبر عملية قيصرية طارئة، لكنها كانت بخير، بكامل صحّتها. كانت الأم والطفلة على ما يرام، وعادوا من المشفى ليجدوا حياةً جديدةً بانتظارهم.

وفوقها، استغرق شفاء آن وقتاً طويلاً وكان أصعب من سواه بسبب العملية القيصرية. شعرت بخيبة الأمل لأنها لم تحظَ بولادة طبيعية. حاول ماركو أن يُحدّثها ليُخرجها من كآبتها، فلم تجرِ الولادة كما تخيل هو أيضاً، لكن يبدو الأمر ذا أهمية بالنسبة له. كانت كورا بكامل صحّتها، وأن أيضاً، وهذا كل ما يهمّه.

واجهت آن صعوبة في الإرضاع الطبيعيّ بدايةً، لم تتقبّله الطفلة، فاضطرا إلى طلب مساعدةٍ احترافية. لم تكن والدة آن مفيدة في هذا الشأن، فقد أرضعت ابنتها بواسطة زجاجة.

أراد ماركو أن يمدّ يده نحو ظهرها ليمسّده بخفة، لكنه خاف أن يوقظها.

لطالما كانت عاطفيّة وحساسة، وقليلات هنّ النساء اللواتي يماثلنها في رهاقتها. كان يحبُّ القدوم بلا موعد إلى معرضها. أحياناً كان يفاجئها وقت الغداء، أو بعد دوامها، لأنه يرغب في رؤيتها وحسب. كان يتحمّس لرؤيتها تتعامل مع زبائنها، لرؤية ملامح وجهها تُشرق وهي تتحدّث عن لوحة أو عن فنان جديد. كان يقول لنفسه: لا أصدق أنها زوجتي.

وكُلّما أعلن عن افتتاح لعرض جديد، كانت تدعوّه. الحدث كان يتضمّن شمبانيا ومقبّلات، ونساءً في فساتين أنيقة ورجالاً في بذلات

رسمية فاخرة. كانت آن تجوبُ الغرفة، وتتوقف للحديث مع الناس المتجمّعين أمام اللوحات التي كانت أحياناً برّية في عفويتها، بومضات لونية تجريدية، وأحياناً أخرى كان يسودها طيفٌ من ألوانٍ قاتمة. لم يفهم ماركو أيّاً من ذلك. لطالما كانت آن الجمال الذي يشغله، ويستحوذ على تأثيره من بين كل ما يحويه معرض الفنون. كان يقف بعيداً عن طريقها، كأن يقف عند البار ويأكل الجبنة، أو عند جانبٍ من المعرض، ويراقبها تقوم بعملها. كانت مُدربة لتقوم بذلك، فقد كانت حاصلةً على شهادةٍ في تاريخ الفنّ والفن المعاصر، لكن الأهمّ كان ما تملكه من موهبة وشغف. لم يكن الفنُّ جزءاً من طفولة ماركو، إلا أنه كان جزءاً من حياتها، وأحبّها لذلك.

بمناسبة زواجهما، أهداها لوحةً من المعرض كانت تتمنى الحصول عليها بشدة، وقالت إنهما لن يستطيعا تحمّل تكلفتها يوماً، كانت لوحة ضخمة جداً تمثّل عملاً تجريدياً متفرداً، لرسام صاعدٍ كانت معجبةً به للغاية. اللوحة مُعلّقة فوق رفٍّ في غرفة المعيشة الآن، لكنها ما عادت تنظر إليها حتى.

استلقى ماركو على ظهره وحدّق إلى السقف، وأحرقته عيناه. كان بحاجةٍ إلى تماسكها، لن يترك الشرطة تشكُّ بها أكثر مما يفعلون الآن. أزعجه ما قالته بخصوص الطبيبة لامزدن. الخوف الذي شعّ من عينيها. هل قالت للطبيبة شيئاً حول تمنّي الأذى لابنتها؟ هذا ما تُفكّر به النساء اللواتي يعانين اكتئاب ما بعد الولادة.

تَبَا. تَبَا. يا للهول!

حاسوبه في المكتب. لقد قام بالبحث عن «اكتئاب ما بعد الولادة» وفتح روابط قاداته إلى عناوين مثل «نُهان ما بعد الولادة»، وقرأ قصصاً فظيعة عن أمّهات أنهين حياة أطفالهن. إحدى القصص كانت حول امرأة خنقت طفلها، وأخرى حول امرأة قتلت أطفالها الخمس غرقاً، وأخرى



قادت أطفالها نحو بحيرة. يا للهول! إن بحثت الشرطة في حاسوبه في المكتب، فسيجدون كل هذا.

بدأ ماركو يتعرق على الرغم من أنه يستلقي في السرير وحسب. أحس بعرقه وسقمه. ما الذي ستظنه الشرطة بأن إن وجدوه؟ هل يعتقدون فعلاً أنها قتلت كورا؟ هل يظنون أنه ساهم في إخفاء الجريمة؟ إن رأوا تاريخ البحث في المتصفح، فهل سيعرفون أن قلقه حول زوجته دام لأسابيع؟

استلقى على ظهره وعيناه مفتوحتان. هل عليه أن يخبر الشرطة بالأمر؟ لم يشأ أن يبدو وكأنه يُخفي شيئاً.

بدأت نبضات قلبه تتسارع وهو ينهض. شقَّ طريقه في الظلام ونزل السلم إلى الطابق السفلي، تاركاً أن وراءه تشخر بصوت خافت. كان المحقق رازباك جالساً على كُرسيّ في غرفة المعيشة، يبدو أنه فضّلها على البقية، يقضي عملاً ما باستخدام حاسوبه المحمول. تساءل ماركو إن كان المحقق ينام، تساءل متى سيخرج من منزلهما. لا يستطيع هو وأن طرده، على الرغم من أنهما يرغبان في ذلك.

رفع المحقق رازباك نظره نحو الأعلى حين دخل ماركو الغرفة.

- لم أستطع أن أنام.

تمتم ماركو بذلك، وجلس على الأريكة محاولاً التفكير في طريقة لبدء الحديث. شعر بعيني المحقق تنظران إليه. هل عليه أن يخبره أم لا؟ هل ذهبوا إلى مكتبه بعد؟ هل فتشوا حاسوبه؟ هل عرفوا أن عمله يتدهور، وأنه من المحتمل أن يخسر شركته؟ إن لم يعرفوا بعد، فسيفعلون قريباً. كان يعرف أنهم يشكون به، وأنهم يبحثون في خلفيته، لكن المعاناة من المشكلات المادية لا تعني ميولاً إجرامية.

قال ماركو متوتراً:

- لديّ ما أودُّ إخبارك به.

نظر رازباك إليه بهدوء ووضع حاسوبه المحمول جانبًا. قال ماركو:

- لا أريدك أن تسيء فهم هذا.

قال المحقق رازباك:

- حسنًا.

أخذ ماركو نفسًا عميقًا قبل أن يبدأ حديثه:

- حين تم تشخيص أن باكتئاب ما بعد الولادة منذ عدة أشهر، خفتُ

كثيرًا.

قال رازباك:

- هذا مفهوم.

- أقصد أنني لم أتعامل مع حالات كهذه من قبل، كانت غارقةً في

الكآبة وكثيرة البكاء. بدت مُستنزفةً وكنتُ قلقًا حيالها، لكنني

ظننتُ أنها كانت منهكة وحسب، وأن الأمر مؤقت. ظننتُ أنها

ستجاوز محنتها حين تبدأ الطفلة بالنوم خلال الليل. حتى إنني

اقترحتُ عودتها إلى العمل بدوام جزئي، لأنها تحبُّ عملها في

المعرض، ورأيتُ أن ذلك سيساعدها في الاسترخاء، لكنها لم

ترغب في ذلك. نظرتُ إليّ كما لو أنني أرى أنها أمٌ فاشلة. (هزُّ

ماركو رأسه وأكمل) بالطبع لم أفعل! اقترحتُ أن توظِّف شخصًا

ما ليساعدها قليلًا خلال اليوم، فتاة ربما لتساعدنا فتستطيع أن

تأخذ غفوة، لكنها لم ترغب في أخذ أي شيء بعين الحسبان.

أومأ رازباك مجددًا برأسه، منصتًا. أكمل ماركو وهو يشعر بتوتره

يتزايد:

- حين أخبرتني بأن الطيبة شخّصت حالتها باكتئاب ما بعد

الولادة، لم أرغب في تهويل الأمر، وأردتُ أن أكون داعمًا، لكنني

كنتُ قلقًا، ولم تكن تشاركني الكثير عنها.

بدأ يفرك فخذيهِ بيديه وقال:

- لذا بحثتُ عن الأمر في الإنترنت، لكن لم أفعل ذلك هنا في المنزل، لأنني لم أشأ أن تعرف كم كنتُ قلقًا، لذا استخدمتُ حاسوبي في المكتب.

شعر بالدم يجري في عروقه وفكر في أنه أساء التعبير عن الأمر، فقد بدا كأنه يشكُّ بأن، كأنه لا يثق بها، وكأنهما يُخفيان أسرارًا عن بعضهما.

حدَّق إليه رازباك دون أن يُظهر أيَّ تعبير على وجهه، فلم يفهم ماركو ما الذي يدور في ذهنه، كان ذلك مقلقًا.

- كلُّ ما أردته كان إخبارك، في حال تفقدتَ حاسوبي في المكتب، عن سبب بحثي في تلك المواقع عن اكتئاب ما بعد الولادة. كنتُ أحاول فهم ما تعانيه، أردتُ المساعدة.

- أرى ذلك.

قال رازباك ذلك وأوماً برأسه كأنه يتفهَّم الأمر كليًا. لكن ماركو لم يعرف ما الذي يدور في ذهنه فعلاً. قال رازباك:

- لماذا تخبرني أنك بحثت حول اكتئاب ما بعد الولادة في مكتبك؟ يبدو هذا التصرف طبيعيًا في وضعك.

شعر ماركو بلسعة باردة، هل جعل الأمور أسوأ؟ هل جعلهم يرغبون في تفتيش حاسوب مكتبه للتو؟ هل عليه أن يتابع التبرير بخصوص روابط جرائم القتل، أم عليه أن يترك الأشياء كما هي؟ أصابه الذعر لوهلة، ولم يعرف ماذا يفعل، فقرر أنه قد أخفق بما يكفي في الحديث، فقال دون تكلف:

- ظننتُ أنه عليَّ أن أخبرك، هذا كل ما في الأمر.

ثم وقف مستعدًا للذهاب، وغاضبًا من نفسه.

قال المحقق:

- مهلاً، هل تمانع أن أطرح عليك سؤالاً؟
- عاودَ ماركو الجلوس، وقال: «تفضّل..» وشابكَ ذراعيه أمامه.
- الأمر بخصوص الليلة الماضية، حين عدتَ إلى منزل الجيران بعد أن تفتّدتَ الطفلة عند الثانية عشرة والنصف.
- ماذا بخصوص ذلك؟
- ما الذي تحدّثتما حوله أنت وسنثيا في الخارج؟
- أخرج السؤالُ ماركو. ما الذي تحدّثا عنه بالفعل؟ ولماذا يسأله؟ قال ماركو:

- لماذا تريد معرفة موضوع حديثنا؟

سأل رازباك:

- هل تتذكّر؟

لم يستطع ماركو أن يتذكّر، بالكاد تحدّثا، بحسب ذاكرته.

- لا أعرف. أشياء سخيّة، ثرثرة. لا شيء مهم.

- إنها امرأة جذّابة للغاية، ألا تتفق معي في ذلك؟

لم يقل ماركو شيئاً. أعاد رازباك طرح سؤاله:

- ألا تتفق؟

قال ماركو:

- أظن ذلك.

- تقول إنك لا تتذكّر رؤية أو سماع أي شيء عندما كنت في الخارج

الليلة الماضية ما بعد الثانية عشرة والنصف بقليل وحتى قبل

الواحدة، حين عدتما إلى الداخل.

أخفض ماركو رأسه متجنبًا النظر إلى المحقق، فقد كان يعرف نهاية ذلك الحديث. بدأ يتعرق.

- قلت... (وقلب المحقق عندها في دفتره قليلاً ثم أكمل) قلت إنك لم تكن منتبهاً. ما سبب تشتت انتباهك؟

ما الذي كان عليه أن يفعله؟ كان يعرف مقصد المحقق، ولجبنه، لم يقل شيئاً، لكنه شعر بالنبض في الوريد عند صدغه، وتساءل إن لاحظته المحقق.

- قالت سنثيا إنك حاولت التقرب منها، حين كنتما في الفناء الخلفي.

- ماذا؟ لا لم أفعل. (رفع ماركو رأسه ونظر بحدة إلى المحقق).

راجع المحقق ملاحظاته مجدداً، قلب عدة صفحات، وقال:

- قالت إنك سحبتها إلى حضنك، وقبّلتها. وقالت إنك كنت مُصرّاً للغاية، وإنك انجرفت.

- هذا ليس صحيحاً!

- ليس صحيحاً؟ لم تقبّلها؟ ولم تنجرف؟

- لا! أقصد، لستُ أنا من بادر تجاهها، هي من بادرت تجاهي.

شعر ماركو بوجهه يحمراً بشدة، كان حانقاً على نفسه. اكتفى المحقق بالصمت. احتار ماركو محاولاً إيجاد كلماتٍ يدافع بها عن نفسه بسرعة، وهو يردّد في رأسه، تلك الشيطانة الكاذبة.

- هذا ليس ما جرى، (قال ماركو مصراً) هي من بدأ الأمر.

تقرّز مما قاله، فقد بدا صبيانياً للغاية، فأخذ شهيقاً ليطماسك وأكمل:

- هي من حاولت التودّد إليّ. أتذكّر ما جرى، أتت وارتمت في حضني. قلت لها إنه ليس من المفترض أن يحدث هذا، وحاولت إبعادها.

ازداد تعرُّق ماركو وهو يفكر كيف يبدو كلامه. حاول أن يسترخي، وقال لنفسه إنه مهما رآه المحقق ضيقًا، فما من سبب ليربط الأمر باختفاء كورا، ثم قال:

- هي قبِّلتنِي.

توقَّف ماركو عن الكلام واحمرَّ مجددًا. كان بإمكانه رؤية أن المحقق لا يصدِّق كلمة مما يقوله، لكنه أكمل:

- ظللتُ أعترض، وقلتُ لها لا ينبغي أن نفعل مثل هذا، لكنها لم تتوقف، وكنت خائفًا أن يرانا أحد.

قال رازباك:

- تناولت الكثير من الشراب، ما مدى موثوقيَّة تذكرك لما حدث؟  
- نعم كنتُ ثملاً، لكنني لم أكن ثملاً لدرجة نسيان ما حدث. أعرف ما جرى. لم أبادر بأيِّ شيء معها. كانت ترمي نفسها عليَّ عملياً.  
سأل رازباك ببساطة:

- لماذا قد تكذب؟

لماذا قد تكذب؟ (تساءل ماركو بدوره).

لماذا قد تفعل هذا به؟ هل أغاظها رفضه لها؟ قال ماركو:

- لعلها غضبت لأنني رفضتها.

زَمَّ المحقق شفطيه وهو ينظر إلى ماركو.

قال ماركو يائساً:

- إنها تكذب.

قال رازباك:

- أحدكما يكذب.

- لماذا قد أكذب بخصوص شيء كهذا؟ (قال ماركو بغباء) لا تستطيع اعتقالي لأنني قبَلْتُ امرأةً أخرى.

- لا. (قال المحقق ذلك وتأتى قبل أن يسأل) كُن صادقاً معي يا ماركو، هل أنت على علاقةٍ مع سنثيا؟

- لا! بالطبع لا. أحب زوجتي. أقسم أنني ما كنت لأقوم بشيء كهذا. حدِّق ماركو إلى المحقق وقال:

- هل هذا ما ادَّعته سنثيا؟ هل أخبرتك بأننا على علاقة؟ هذا محض هراء.

- لا، لم تقل هذا.

كانت آن جالسةً في الظلام أعلى السلم. سمعت كل شيء، وبرُد جسدها. باتت تعرف أن زوجها كان يقبُّل ويلطف سنثيا في المنزل المجاور بينما كانت ابنتهما تُختطف الليلة السابقة. لم تعرف من الذي بادر، من الممكن أن يكون أيٌّ منهما اعتماداً على ما شاهدته الليلة السابقة. كلاهما مذنبان. شعرت بالتقرُّز؛ تمَّت خيانتها.

سأل ماركو:

- هل هذا كل شيء؟

أجاب المحقق:

- نعم، بالطبع.

نهضت آن مُسرعةً على قدميها الحافيتين أعلى السلم، وخطت بسرعة متَّجهةً إلى غرفة النوم. تمكَّنت الرَّجفة من جسدها. صعَدت إلى السرير، وانسلت تحت اللحاف مُتظاهرةً بالنوم، لكنها خافت أن يفضحها تنفُّسها المُحتاج.

دخل ماركو إلى غرفة النوم، ثقيل الخطي. جلس على طرف السرير ووجهه بعيدٌ عنها، ناظرًا نحو الجدار. فتحت عينيها قليلاً وحدَّقت إلى

ظهره. تخيلته يقبل سنثيا على الكرسي في الفناء، بينما كانت تخذّر دماغها من الملل برفقة غراهام في غرفة الطعام. وبينما كان هو يلاطف سنثيا، وأدعت هي الاستماع إلى حديث غراهام، شخص ما كان يختطف كورا.

لن تستطيع الوثوق به مجددًا، على الإطلاق. استدارت وسحبت الأغطية نحو الأعلى، وبكت بصمتٍ بينما سألت دموعها على خدّها، وتجمّعت في بركة قريبة من رقبتها.

في غرفة نوم المنزل المجاور، خاض سنثيا وغراهام نقاشًا محتدًا، إلا أنهما توخّيا الحذر فأبقيا صوتهما منخفضًا. لم يُريدا أن يسمعهما أحد، وقد وُضِعَ حاسوب محمول على سريرهما الكبير.

قال غراهام:

- لا، علينا أن نخبر الشرطة وحسب.

سألته سنثيا:

- وماذا سنقول؟ فات أوان ذلك، ألا ترى؟ كانوا هنا مسبقًا واستجوبوني حين كنت خارج المنزل.

- لم يتأخر الوقت لهذه الدرجة، فلنخبرهم أن لدينا كاميرا في الفناء الخلفي، لسنا مضطرين إلى قول أكثر من ذلك. ليس من الواجب أن يعرفوا سبب وضعنا لها هناك.

- صحيح، وكيف تحديدًا ستشرح سبب عدم ذكرنا للأمر حتى الآن؟

- بإمكاننا قول إننا نسينا وجودها.

اتكأ غراهام إلى مسند السرير والقلق بادٍ عليه.

ضحكت سنثيا، دون أن تقصد الفكاهة، وقالت:

- حقًا؟ المكان يعج بالشرطة لأن طفلة قد اختطفت، ونحن نسينا

أننا نملك كاميرا مُخبّأة في ثقب وموجّهة نحو فنائنا الخلفي؟



نهضت وهي تخلع قرطبيها، وأكملت:

- لن يصدّقوا ذلك بالتأكيد.

- لم لا؟ بإمكاننا قولُ إننا لا نتفقُدها، أو إننا ظنناها غير فعّالة، أو إن البطارية قد نفدت. بإمكاننا قولُ إننا ظنناها معطّلة وتركناها هناك لتبدو للعيان فقط.

- لتبدو للعيان وتُخيف اللصوص؟ وهي مُخبّأة بعناية لدرجة أن الشرطة لم يروها حتى.

رمّت قرطاً في صندوق مجوهرات على طاولة زينتها، ثم رمقته بنظرة منزعجة وقالت:

- أنت وكاميراتك اللعينة.

- أنتِ أيضاً تستمتعين بمشاهدة التسجيلات.

لم تعترض سنثيا على ذلك، فقد كانت تستمتع بالفعل بمشاهدة التسجيلات بدورها، تستمتع بعلاقتها مع رجالٍ آخرين وبأن رؤية زوجها لذلك تُثيره. وما تستمتع به أكثر أن زوجها يسمح لها بمغازلة رجال آخرين وإقامة علاقات معهم. رجال أكثر جاذبيةً وإثارةً للاهتمام منه، بالأخص بعدما أثبت أنه مخيّب للأمال مؤخرًا. إلا أنها لم تتماد كثيرًا مع ماركو، أمل غراهام أن تقوم بأكثر مما فعلت. كانت سنثيا على درايةٍ بكيفية وضع الكاميرا وتُظهر المشهد من أفضل زاويةٍ.

تمثّل دور غراهام في إبقاء الزوجة مشغولة، لطالما كان ذلك دوره. وقد كان يراه مُضجرًا للغاية، إنما مثمرًا.

إلا أنهما يواجهان مشكلة الآن.

مكتبة

t.me/t\_pdf



## الفصل الثاني عشر

بعدَ ظهرِ يومِ الأحد، لم يكونوا قد وجدوا أي أدلّة، ولم يتَّصل أحدٌ ويَدَّعي أن كورا لديه، وبدّا أن القضية قد وصلت إلى طريق مسدود. لا بُدَّ أن كورا موجودة في مكان ما، فأين هي؟

مشّت آن نحو نافذة غرفة المعيشة، كانت الستائر مُسدلة حفاظًا على الخصوصية، مما أدى لتغيير ألوان الضوء القادم إلى الغرفة. وقفت عند جانب النافذة، وأمسكت الستارة لتفتحها قليلًا فيمكنها أن تتلصص من خلالها. كان هناك الكثير من المراسلين على الرصيف، والبعض منهم كان في الشارع.

باتت تعيش في حوض سمكٍ ينقر الجميع على زجاجه. لا يتعامل الإعلام مع عائلة (كونتي) باللطف الذي أملوه على ما يبدو، فلم يرحّب ماركو وأن بوسائل الإعلام، ومن الواضح أنهم ينظرون إلى المراسلين على أنهم متطفّلون، وشرًّا لا بُدَّ منه. كما أنهما لم يظهرًا بمظهر رائع في الصور، فعلى الرغم من وسامة ماركو، وجمال آن المتواضع، فعادةً على الواقف أمام الكاميرا أن يمتلك شخصيةً ساحرة أو دفنًا على الأقل. ولم يملك ماركو أيَّ سحرٍ في شخصيته عندها، بل بدأ كشيح يتلاشى. أوحى

مظهرهما بالذنب، وباح بأن الشعور بالعار يستنزفهما. تفاعل ماركو مع الصحافة تفاعلاً بارداً، بينما لم تقل أن أي شيء. لم يتودداً للصحافة، فلم تتودد الصحافة لهما. أدركت أن ذلك كان خطأً تكتيكياً، خطأً سيندماً عليه طيلة حياتهما.

المشكلة تكمن في أنهما لم يكونا في المنزل، تسرب خبر أنهما كانا لدى الجيران في المنزل المجاور حين اختطفت كورا من سريرها. ارتاعت أن حين رأت عناوين أخبار ذلك الصباح: «اختطفت طفلةً ووالداها خارج المنزل»، و«طفلة تُركت لوحدها فاختطفت». لو كانا غارقين في النوم في منزلهما حين اختطفت ابنتهما من غرفتها، لكان الحصول على دفع التعاطف أسهل بكثير، سواء من الإعلام أو من العامة. حقيقة أنهما كانا في أمسية في المنزل المجاور كانت تدينهما. وبالطبع انتشر خبر اكتئاب ما بعد الولادة بين الناس أيضاً. لم تعرف أن كيف حدث ذلك، فهي بالتأكيد لم تخبر الصحافة. شكّت بأن سنثيا مصدرُ تسريب خبر تركهما لطفلتها وحيدة في المنزل، لكنها لم تعرف كيف توصلت الصحافة إلى خبر اكتئابها. بالطبع لم تسرب الشرطة معلوماتها الشخصية. حتى إنها سألتهم، وأخبروها بأنهم ليسوا الفاعلين. لكن أن لم تثق بالشرطة. أيًا كان المسؤول عن تسريب الخبر، فقد شوّه نظرة الجميع إليها؛ العامة، والصحافة، ووالديها، وأصدقائها، الجميع. وُصمت بالعار علناً.

التفتت أن نحو كومة يتزايد حجمها من الألعاب والأشياء الملونة الأخرى المتجمعة على الرصيف عند نهاية سلّم منزلها الأمامي. كان هناك باقات من الزهور الذابلة، وحيوانات محشوة بالألوان والأحجام كافة، ميّزت دبة، وزرافة كبيرة الحجم، مُرفقة بملاحظات وبطاقات مُلصقة عليها. كانت تلةً من الكلام المكرر. بعضه تعبير عن التعاطف، وبعضه الآخر عن الكراهية. كان ماركو قد خرج من المنزل وجلب لها مجموعةً من الألعاب والملاحظات، أملاً في الترويح عنها. كان ذلك خطأً لن يرتكبه مجدداً.

العديد من تلك الرسائل كانت حاقدةً، بل صادمة. قرأت بعضها، وشهقت، وكوّرتها، ثم رمتها أرضاً.

شدّت الستارة بأصابعها، ونظرت نحو الخارج مجدداً. لكنها شعرت برعشة رُعبٍ باردة تمسح ظهرها من أعلاه حتى أسفله. تعرّفت على نساء يمشين تِباعاً على الرصيف متّجهات نحو المنزل، وهنّ يدفعن عربات أطفالهن. ثلاث، بل أربع نساءٍ من مجموعة الأمهات. أفسح المراسلون مجالاً لهن، مستشعرين المشهد الدرامي الوشيك. راقبتهن آن غير مصدّقة عينيها. بالتأكيد لم يأتين لزيارتها برفقة أطفالهن، (قالت ذلك لنفسها).

رأت المرأة في المقدّمة، (أماليا)، والدّة الطفل الظريف ذي العينين البنيّتين (ثيو)، وهي تمدُّ يدها أسفل العربة وتمسك ما يبدو أنه علبة كبيرة من الطعام المطبوخ. قامت النساء خلفها بالمثل، ضغطن مكابح عرباتهن، وجلبن طعاماً مطبوخاً مغطّى من السّلال أسفل مقاعد العربات.

يا لها من مبادرة لطيفة، ووحشيّة في انعدام المراعاة! لم تستطع تحمّل الأمر، فانتحبت رغماً عنها وهي تشيح بنظرها عن النافذة فجأة. قال ماركو فزعاً وهو يقترب منها.

- ماذا جرى؟

دفع ماركو الستارة جانباً، ونظر من خلال النافذة نحو الرصيف.

همست آن:

- تخلّص منهن! أرجوك.

عند التاسعة من صباح يوم الاثنين، طلب المحقق رازباك قدوم ماركو وأن إلى مخفر الشرطة من أجل استجوابٍ رسميٍّ. «لستما رهن الاعتقال» طمأنهما عندما حدّقا إليه مصعوقين.

- نوذُ أن نأخذ بياناً من كل منكما، ونطرح بعض الأسئلة الإضافية.  
- لم لا تستطيع فعل ذلك هنا؟ (سألت أن بجزع واضح) مثلما فعلت مسبقاً؟

- لم علينا الذهاب إلى المخفر؟ (ردّ ماركو هلياً).  
قال رازباك:

- إنها إجراءات روتينية، هل تودّان أن أمهلكما بعض الوقت لتتجهّزا قبل زهابنا؟ (قال مقترحاً).

هزّت أن رأسها مُشيرةً بالنفي، فلم يههما كيف تبدو. لم يتحرّك ماركو، واكتفى بالتحديق في قدميه.

- حسناً، هيّا بنا. (قال رازباك ذلك ومشى قبلهما).

حين فتح الباب الأمامي، حدثت بلبلّة وجِراك. تجمّع المراسلون حول السلم الأمامي، وومضت الكاميرات. صاح شخص ما:

- هل هما قيد الاعتقال؟

لم يُجب رازباك عن أي أسئلة، وحافظ على صمته متحرّجاً بينما قاد ماركو وأن من خلال الحشد، ونحو سيارة الشرطة المركونة أمام المنزل. فتح الباب الخلفي، فدخلت أن أولاً وانسحبت نحو المقعد الخلفي، ودخل ماركو بعدها. لم يتحدّث أحدٌ باستثناء المراسلين الذين لاحقوهم صارخين بأسئلتهم. جلس رازباك في المقعد الأمامي، وتحركت السيارة مُبتعدة. ركض المصورّون خلفهم وهم يلتقطون الصور.

حدّقت أن من خلال النافذة. حاول ماركو أن يمسك يدها، لكنها سحبتها. راقبت المدينة المألوفة تتتالي مشاهدها في النافذة. المنتجات المعروضة على حاملٍ عند الزاوية، الحديقة حيث تجلس مع كورا على بطانية في الظلّ ويراقبان الأطفال يلعبون في حوض السباحة الصغير. اجتازوا المدينة، وصاروا قريبين من المعرض حيث كانت تعمل، قريباً

من النهر. ثم مرُّوا بجانب بناء «آرت ديكو» حيث يملك ماركو مكتبًا، ثم ابتعدوا عن مركز المدينة فجأة. بدا كل شيء مختلفًا من المقعد الخلفي لسيارة الشرطة، في الطريق للاستجواب بشأن اختفاء طفليهما.

حين وصلوا إلى مخفر الشرطة -بناءً تصميمه قائمٌ على الإسمنت والزجاج والحدائث- توقفت سيارة الشرطة عند الأبواب الأمامية، وقادهم رازباك نحو الداخل. لم يجدوا المراسلين باستقبالهم، إذ لم يكن هناك إشعار مسبق بأنه سيتم استجواب آن وماركو.

حين دخلوا إلى المخفر، رفع شرطي بلباسه الرسمي نظره مهتمًا. سلّم رازباك آن إلى شرطيّة وقال لها:

- خذيها إلى غرفة الاستجواب رقم ثلاثة.

نظرت آن إلى ماركو مذعورة وقالت:

- مهلاً. أريد أن أكون مع ماركو. ألا نستطيع البقاء معًا؟ لم تفصل بيننا؟

قال ماركو:

- لا بأس يا آن، لا تقلقي. سيكون كل شيء على ما يرام. لم نرتكب أيّ جريمة. يريدون طرح بعض الأسئلة وحسب، ثم سيتركوننا نذهب، أليس كذلك؟ (قال ذلك مخاطبًا رازباك ولاحت في صوته نبرة تحدّ).

- هذا صحيح. (قال المحقق ذلك بلطف) كما قلتُ، لستما قيد الاعتقال. أنتما هنا طواعية، وباستطاعتكما الذهاب في أي لحظة. وقف ماركو ساكنًا وهو يراقب آن تبتعد في البهو برفقة الشرطيّة. التفتت ونظرت إليه، كانت مذعورة.

قال رازباك:

- تعال معي.

وأخذ ماركو إلى غرفة استجواب في نهاية البهو. كان المحقق جنينغز بانتظارهما. كان في الغرفة طاولة معدنية وكرسي واحد على أحد أطرافها، وكرسيان للمحققين في الطرف المقابل.

لم يكن ماركو واثقاً من أنه سيحافظ على ترابط أفكاره وانسجامها، وشعر بالتعب يتمكن منه. قرّر أن يتحدث ببطء، وأن يفكر قبل أن يجيب. ارتدى رازباك بذلةً نظيفة وقميصاً وربطة عنق جديدين، وحلق لحيته. وكان الحال ذاته بالنسبة لجنينغز. بينما ارتدى ماركو بنطالاً جينز قديماً وسترةً متجعدة سحبها من درجه ذلك الصباح. لم يكن يعرف أنه سيُجلب إلى المخفر. أدرك حينها أنه كان عليه قبول عرض المحقق ليستحم، ويحلق لحيته، ويغيّر ملابسه. كان ليتيقظ أكثر، ويسيطر على نفسه أكثر، كان ليبدو أقلّ شبهاً بالمجرمين في التسجيل الدائم لهذا الاستجواب؛ أدرك فجأة أن الاستجواب يوثق بواسطة تسجيل فيديو غالباً.

جلس ماركو وراقب المحققين الواقفين عند طرف الطاولة الآخر متوتراً. وجوده هناك كان مختلفاً عن وجوده في بيته، فقد كان متوتراً، وشعر بكفة السيطرة ترجح نحو الطرف الآخر.

- سنسجل هذا الاستجواب إن كنت لا تمانع ذلك.

قال رازباك ذلك وأشار إلى كاميرا مثبتة تحت السقف تماماً، موجّهة نحو الطاولة.

لم يعرف ماركو إن كان مُخيّراً بالفعل، فتردّد لوهلة ثم قال:

- أجل، بالطبع، لا مشكلة.

سأل رازباك:

- هل ترغب في بعض القهوة؟

قال ماركو:



- نعم، شكرًا.

حاول أن يسترخي، وذكّر نفسه بأنه هنا لمساعدة الشرطة في إيجاد خاطف ابنته.

خرج رازباك وجنينيغز ليجلبا القهوة، تاركين ماركو وحيدًا ينهشه القلق.

حين عاد المحققان، وضع رازباك كوب ماركو الورقيّ أمامه على الطاولة. لاحظ ماركو أنه قد جلب قهوةً بظرفي سكر وملعقة قشدة؛ تذكّر رازباك كيف يفضّل ماركو قهوته. ارتجفت يدا ماركو بينما كان يمسك ظرفي السكر. لاحظ الجميع ذلك.

- اذكّر اسمك وتاريخ اليوم من فضلك.

قال رازباك ذلك وبدؤوا الاستجواب.

قاد المحقق الحديث من خلال سلسلة من الأسئلة المباشرة التي توضح منظور ماركو لأحداث ليلة الاختطاف، مجرد إعادة صياغة لما حدث من قبل، لا شيء جديد. شعر ماركو بنفسه يسترخي مع تقدم المقابلة. ظنّ أنهما أنهما الاستجواب أخيرًا، وأنهما على وشك إعطائه الإذن للرحيل. شعر براحةٍ عارمة، لكنه حاذر من إفشائها. سمح له الوقت بالتساؤل حول ما يجري مع آن في الغرفة الأخرى.

- جيّد، شكرًا لك. (قال رازباك ذلك عندما سجّلا إفادته.) والآن لدينا بعض الأسئلة الإضافية إن كنت لا تمانع.

عاد ماركو للجلوس بعدما كان يستعدّ للقيام عن كرسيّه المعدني.

- أخبرنا عن شركتك، شركة (كونتي) لتصميم البرامج.

- لماذا؟ ما علاقة شركتي بأيّ من هذا؟

حدّق إلى رازباك محاولاً إخفاء فزعه، لكنه كان يعرف مقصدهما.

لقد كانا يتحرّيان عن حياته، وهذا بدّهيّ. سأل رازباك:

- أنشأت شركتك منذ خمس سنوات تقريباً؟

- نعم، أملك شهادات في إدارة الأعمال وعلم الحاسوب. لطالما رغبتُ في الخوض في مجال الأعمال بنفسِي، ووجدتُ الفرصةَ سانحةً في مجال تصميم البرامج، وبالتحديد، تصميم واجهات المستخدم للبرامج الطبية. لذا أنشأتُ شركتي الخاصة. لدي بعض الزبائن الرئيسيين، وطاقم عمل صغير من محترفي تصميم البرامج، ويعملون جميعاً عن بعد. نزور الزبائن في أماكن عملهم، لذا أسافر كثيراً بغرض العمل. لديّ مكتبٌ في مركز المدينة. العمل ناجحٌ حقاً.

- نعم، قمتَ بعمل رائع بالفعل، (وافقه رازباك) هذا مثير للإعجاب. لا بدُّ أنك عانيت صعوبات كثيرة. هل من المُكلف إنشاء شركة كهذه؟

- هذا يعتمد على العديد من النقاط. بدأتُ شركتي على نطاق ضيق جداً، كنتُ أعمل وحيداً لصالح القليل من الزبائن. كنتُ المصمم الوحيد في البداية، عملتُ في منزلي لساعات طوال. خططتُ لبناء العمل تدريجياً.

قال رازباك:

- تابع.

- صارت الشركة ناجحة للغاية، وبسرعة بالغة. ازدهرت بسرعة، فكان عليّ توظيف المزيد من المصممين لتلبية طلبات الزبائن، وللارتقاء بالعمل إلى مستوى أعلى. لذا قمتُ بتوسيع أعمالِي، كان الوقت ملائماً لذلك، وعندها ازدادت التكاليف بسبب المعدّات وطاقم العمل والمكتب، فالأعمالُ دوماً تحتاج إلى المال حتى تزدهر.

سأل المحقق:

- ومن أين جلبت المال الذي احتجت إليه لتوسيع عملك؟

رمقه ماركو منزعجًا وقال:

- لا أعرف لماذا يهْمُك الأمر، لكنني اقترضتُ مبلغًا من حَمَوِيّ،  
والدِّي آن.

- فهمتُك.

- ما الذي فهمته؟

قال ماركو ذلك مغتاظًا. كان عليه أن يحافظ على هدوئه؛ لن يستطيع  
مجاراة الحديث إن غضب، والغالب أن رازباك يفعل هذا بهدف إغضابه  
وحسب.

- لم أقصد شيئًا بقولي. (قال رازباك بنبرة حياديّة) ما مقدار المبلغ  
الذي حصلت عليه من والدي زوجتك؟

قال ماركو:

- هل تسألني أم أنك تعرف مسبقًا؟

- لا أعرف، أسألك.

- خمسمئة ألف.

- هذا مبلغ ضخم.

- نعم، بالفعل.

وافقه ماركو. كان رازباك يعبث به، ولم يستطع ماركو مجاراته.

- وهل كان العمل مُنتجًا مؤخرًا؟

- نعم، على العموم. مررنا بسنوات جيدة، وسنواتٍ غير جيّدة، كما  
هو حال الجميع.

- ماذا عن هذه السنة؟ هل تظن أنها كانت جيّدة أم غير جيدة؟

- كانت سيئة جدًا.

- يؤسفني سماع ذلك. (قال رازباك، وتأتى).

- مررنا ببعض الانتكاسات (قال ماركو ذلك بعد صمتٍ)، لكنني واثق من أن الأمور ستعود إلى نصابها. الأعمال التجارية كثيرة التقلبات، ولا نستطيع الانسحاب حالما نواجه سنة سيئة. علينا أن نحافظ على صمودنا.

هزَّ رازباك رأسه مُظهرًا تعاطفه، وقال:

- كيف تصف علاقتك بوالدي زوجتك؟

تذكر ماركو أن المحقق قد رآه هو وحماه في نفس الغرفة، فلم يجد فائدة تُرجى من الكذب.

- لا يُحبُّ بعضنا الآخر.

- وأقرضاك خمسمئة ألف دولار مع هذا؟! (قال رازباك ذلك رافعًا حاجبيه).

- أقرضنا المبلغ والداها معًا، فهما قادران على دفع مبلغ كهذا، ويحبَّان ابنتهما ويريدان حياةً رغيدةً لها، وأنا أملك خطة عملٍ مُحكمة. كان استثمارًا تجاريًا نافعًا لهما. استثمارًا في مستقبل ابنتهما، خطوة مرضية للجميع كيفما نظرت إليها.

سأل رازباك:

- لكن أليس عمك بحاجة ماسةً إلى تمويل؟

- كل الأعمال التجارية بحاجة ماسةً إلى التمويل هذه الأيام. (قال ماركو بمرارة غير خافية).

- هل أنت على وشك خسارة الشركة التي عملتَ جاهدًا لتأسيسها؟ (قال رازباك منحنياً قليلاً نحو الأمام).

- لا، لا أظن ذلك. (قال ماركو ذلك ولم يرضخ لمحاولات المحقق لإخافته).

- لا تظن ذلك؟

- لا.

تساءل ماركو كيف توصل المحقق إلى تلك المعلومات، فقد كان مهذبًا بخسارة عمله بالفعل. لكن على حد علمه، فلم يملكووا مذكرة للتحرري في أعماله وحساباته المصرفية. هل يخمن رازباك؟ مع من كان يتحدث؟

- هل تعرف زوجتك حول المشكلات في عملك؟

- ليس كليًا. (تلوى ماركو في كرسیه).

- ماذا تقصد؟

قال ماركو مُعترفًا:

- تعرف أن عملي لم يكن رائعًا مؤخرًا، لكنني لم أشأ إقبال كاهلها بالتفاصيل.

- لماذا؟

- لدينا طفلة حديثة الولادة بحق الله! (انفجر ماركو ورفع صوته) وتعاني الكآبة كما تعلم، فلماذا قد أخبرها بأن العمل يتدهور؟ مرر أصابعه في شعره الذي انساب عشوائيًا على عينيه.

- أتفهم ذلك. هل طلبت المساعدة من حمويك؟

تجاهل ماركو السؤال وقال:

- أظن أن الأمور ستتحسن.

لم يُعد رازباك سؤاله، وقال:

- فلنترك حول زوجتك قليلًا. تقول إنها مكتئبة، وأخبرتني سابقًا بأن طبيبتها قد شخّصت حالتها على أنها اكتئاب ما بعد الولادة. طبيبتها النفسية... (راجع ملاحظاته وأكمل) لامزدن. (رفع ناظريه قائلًا) وهي مسافرة حاليًا.

- نعم، تعرف ذلك، كم مرة علينا مناقشته؟

- هلاً وصفت لي أعراضها؟

تحركَ ماركو ممتعضاً في الكرسي المعدني غير المريح. شعر أنه مثل دودة مثبَّتة بدبُّوس على لوح. قال:

- كما أخبرتك مسبقاً، كانت حزينة، وكثيرة البكاء، ومستنزفة. بدت انفعاليَّة أحياناً. لم تكن تحصل على قسطٍ كافٍ من النوم، فكورا طفلة كثيرة البكاء.

حين قال ذلك، تذكَّر أنها مفقودة، وكان عليه أن يتأنَّى قليلاً ليتمالك نفسه.

- اقترحتُ أن تجلب أحداً لمساعدتها في الاعتناء بها، حتى يتسنَّى لها أن تنام خلال النهار، لكنها لم تفعل. أظنَّها رأت أنه بإمكانها تدبُّر أمرها لوحدها دون مساعدة.

- هل تملك زوجتك تاريخاً مع الأمراض العقلية؟

رفع ماركو نظره متفاجئاً وقال:

- ماذا؟ لا. تملك تاريخاً من المعاناة مع الاكتئاب، حالها حال الملايين سواها. (قال بصوت حاسم) لكنها لا تعاني أمراضاً عقلية.

لم يعجبه ما كان المحقق يلمِّح إليه. تماسك متجهِّزاً لما سيؤول إليه الحديث.

- يُعدُّ اكتئاب ما بعد الولادة مرضاً عقلياً، لكن دعنا لا نتجادل بشأن ذلك.

تراجع رازباك نحو الخلف في كرسيه ونظر إلى ماركو كما لو ليقول، «هلاً تكلمنا بكل وضوح» وسأله:

- هل أقلقك يوماً احتمال أن تؤذي آن الطفلة أو أن تؤذي نفسها؟

- لا، إطلاقاً.

- على الرغم من أنك بحثت في الإنترنت عن دُهان ما بعد الولادة؟  
فَتَشَّوْا حاسوبه بالفعل إِيَّادًا. رأوا ما بحث عنه، الحكايات بخصوص  
نساء يقتلن أطفالهن. شعر ماركو بالعرق يتجمَّع مشكَّلاً قطرات صغيرة  
على جبينه. تقلقل في كرسيه وقال:

- لا، أخبرتك بخصوص هذا.. حين تم تشخيص أن، أردتُ أن أعرف  
المزيد حول مشكلتها، لذا بحثت قليلاً حول اكتئاب ما بعد الولادة.  
تعرفُ كيف هو الحال على الإنترنت، تتتالي عمليات البحث، عبر  
تتبع الروابط. تملكني الفضول وحسب. لم أقرأ تلك الحكايات  
حول النساء اللواتي أصابهن الجنون وقتلن أطفالهن لأنني كنتُ  
قلقاً بشأن أن. هذا مستحيل.

حدَّق رازباك إليه دون أن يقول شيئاً.

- اسمع، لو كنتُ قلقاً من احتمال إيذاء أن لطفلتنا، هل كنتُ لأتركها  
وحيدة معها في المنزل طوال النهار؟

- لا أعرف، هل كنت لتفعل؟

ما عادت الاتهامات مبطَّنة. نظر رازباك إليه مترقِّباً.

حدَّق إليه ماركو بدوره وقال:

- هل ستتهمنا بشيء؟

- لا، ليس هذه المرة. بإمكانك الذهاب.

وقف ماركو ببطء، دافعاً كرسيه إلى الخلف. أراد أن يندفع راکضاً  
بعيداً عن ذلك المكان، لكنه تمهَّل ليبدو مسيطراً، ولو لم يكن كذلك فعلاً.

- أمرٌ أخير. (قال رازباك) هل تعرف أحداً يملك سيارة كهربائية أو  
هجيناً ربما؟

تردد ماركو ثم قال:

- لا، لا أظن.

- هذا كل شيء.

قال المحقق وهو ينهض عن كرسيه:

- شكرًا لقدمك.

أراد ماركو أن ينفجر في وجه رازباك ويزمجر «لماذا لا تقوم بعملك اللعين في إيجاد طفلتنا؟» لكنه خطأً مُسرِعاً خارج الغرفة. حالماً صار خارج الباب، أدرك أنها لا تعرف أين آن. لا يستطيع الرحيل دونها. لحق به رازباك.

- إن كنتَ تودُّ انتظار زوجتك، فلن يطول حديثنا معها.

قال ذلك ومشى إلى نهاية البهو، وفتح باباً إلى غرفة أخرى افترض ماركو أن زوجته تجلس منتظرةً فيها.



## الفصل الثالث عشر

جلست آن في غرفة الاستجواب الباردة مرتعشةً. كانت ترتدي بنطالاً جينز وسترة رقيقة فقط، وكانت الغرفة مُكَيِّفة أكثر من اللازم. وقفت الشرطة بجانب الباب وراقبتها بحذر. أخبروا آن بأنها هنا طواعيةً، وأن باستطاعتها الذهاب متى أرادت، لكنها شعرت أنها سجينه.

تساءلت آن عمّا يجري في الغرفة الأخرى حيث يستجوبون ماركو. فصلهما كان حيلةً جعلتها تتوتر وتفقد الثقة بنفسها. من الواضح أن الشرطة تشكُّ فيهما، وسيحاولون الإيقاع بينهما. أرادت أن تتجهَّز لما سيحصل، لكنها لم تعرف كيف.

فكَّرت في إخبارهم أنها تريد التحدُّث إلى محام، لكنها خافت من أن يجعلها ذلك تبدو مُذنبه. باستطاعة والديها تحمُّل تكاليف أفضل محام جنائيٍّ في المدينة، لكنها خشيت أن تطلب منهما فعل ذلك. ما الذي قد يظنانه إن طلبت منهما الاستعانة بمحام؟ وماذا عن ماركو؟ هل عليهما الاستعانة بمحاميين مختلفين؟ أثار الموقف حنقها لأنها تعرف أنهما لم يؤذيا طفلتهما، وأن الشرطة تضيع وقتهما بينما ما تزال كورا في مكانٍ ما، وحيدةً وخائفةً أو ربما.. شعرت أن بالغثيان. لمنع نفسها عن التقيؤ،

حاولت أن تفكر بماركو، لكنها استرجعت المشهد في ذاكرتها، كان يحتضن سنثيا ويقبلها. قالت لنفسها إنه كان ثملاً، والغالب أن سنثيا هي من بادرت، حسب ادّعائه، وليس العكس. ومع ذلك، فقد خرج ماركو معها إلى الفناء ليدخن سيجارة، يقع اللوم عليهما مناصفةً. كلاهما أنكر وجود علاقة بينهما، لكنها لم تعرف من تصدق.

فُتِحَ الباب، مما جعلها تجفل في مكانها. دخل المحقق رازباك.

سألت آن بصوتٍ مرتجف:

- أين ماركو؟

- إنه بانتظارك في الردهة. (قال رازباك ذلك وابتسم قليلاً، ثم قال بلطف) لن يطول بقاؤنا هنا، استرخي من فضلك.

ابتسمت بضعفٍ بدورها.

أشار رازباك إلى كاميرا مثبتة بالقرب من السقف وقال:

- سنقوم بتسجيل هذا الاستجواب.

نظرت آن إلى الكاميرا مستاءةً وقالت:

- هل علينا تسجيله؟

ثم نظرت قلقةً نحو المحققين. قال رازباك:

- نسجل كل الاستجابات لحماية كل المعنيين بالأمر.

رُتِبَ آن شعرها متوترةً وحاولت أن تستقيم في جلوسها على الكرسي. ظلت الشرطية متمركزة على الباب كما لو أنهم يخشون أن تهرب. سأل رازباك:

- هل تريدين أن أجلس لك أي شيء؟ قهوة أو ماء؟

- لا، شكرًا.

قال رازباك:

- حسنًا إذًا، فلنبدأ. اذكرني اسمك وتاريخ اليوم من فضلك.

سألها المحقق عن تفاصيل أحداث ليلة اختطاف الطفلة، ثم قال بصوتٍ لطيفٍ ومُشجّعٍ:

- ماذا فعلتِ حين رأيتِ أن الطفلة ليست في مهدها؟

- أخبرتك، أظنني صرختُ، ثم تقيأتُ، ثم اتّصلت بالطوارئ.

أوماً رازباك برأسه وقال:

- وماذا فعل زوجك؟

- تفقّد الطابق العلويّ بينما كنتُ أطلب النجدة.

نظر رازباك إليها بحدّة أكثر محافظًا على التواصل البصريّ بينهما

وقال:

- كيف بدأ؟

- بدأ مصدومًا ومذعورًا، حاله كحالي.

- ولم تجدا شيئًا في غير مكانه، ولم يكن هناك أيّ مشكلات باستثناء

اختفاء الطفلة؟

- نعم. فتّشنا المنزل قبل قدوم الشرطة. الشيء المختلف أو الغريب

- باستثناء أنها اختفت هي وبطّانيتها- كان أنني وجدتُ الباب

الأماميّ مفتوحًا.

- بماذا فكّرتِ حين رأيتِ المهد فارغًا؟

- فكّرتُ في أن أحدًا ما قد اختطفها. (همست أن وعيناها على

الطاولة).

- أخبرتينا بأنك حطّمتِ مرآة الحمّام بعد أن عرفتِ أن الطفلة

مفقودة، وقبل وصول الشرطة. لماذا حطّمتها؟ (سأل رازباك).

أخذت أن نفسًا عميقًا قبل أن تُجيب:

- كنتُ غاضبة. كنتُ غاضبة لأننا ذهبنا وتركناها وحيدةً. نحن المُلَمان.

وشى صوتُها بجفافِ حلقها، وارتجفت شفتُها السفلى، وسألت رافعةً نظرها:

- هل لي ببعض الماء من فضلك؟

- سأجلبه.

تطوَّع جنينغز، وغادر الغرفة ثم عاد بعد قليلٍ مع قارورة ماء، ووضعها على الطاولة أمام أن. فتحت غطاءها وشربت ممتنةً.

تابع رازباك الاستجواب قائلاً:

- قلتِ إنك شربتِ القليل من النبيذ، وتتناولين حبوبًا مضادةً للاكتئاب

تتضاعفُ آثارها عند شرب الكحول. هل تظنين أنه يمكن الاعتماد

على ذكرياتك حول ما حدث في تلك الليلة؟

قالت بصوتٍ حاسم:

- نعم. (بدأ أن الماء قد أنعشها).

- هل أنتِ واثقة من منظورك للأحداث؟ (سأل رازباك).

- نعم واثقة.

- كيف تفسِّرين أننا وجدنا رداء الطفلة الوردية تحت وسادة طاولة

تغيير الحفاضات؟

لم يكن صوت رازباك لطيفاً جداً عندها.

شعرت أن بتماسكها يخونها وقالت:

- أنا.. ظننتُ أنني وضعته في سلة الغسيل. لا بد أنها نُفعت هناك

بطريقةٍ ما.

- لكنك لا تستطيعين تفسير ذلك؟

عرفت أن مقصده، فكيف باستطاعته الوثوق بمنظورها للأحداث حين لا تستطيع تفسير أمرٍ بسيطٍ مثل أنهم وجدوا لباس الطفلة، الذي تقول إنها تذكر وضعه في سلة الغسيل، أسفل الوسادة على طاولة تغيير الحفاضات؟

- لا، لا أعرف.

بدأت تشدُّ أصابعها في حضانها تحت الطاولة.

- هل تظنّين أنه هناك أدنى احتمالٍ بأنك قد أوقعتِ الطفلة؟

- ماذا؟

حملت في عيني المحقق، وشعرت أنه باستطاعته سبرُ أغوار ذاتها.

- هل من المحتمل أنك أوقعتِ الطفلة دون قصدٍ، وأنها تأدّت

بطريقة ما؟

- لا، بالطبع لا. كنتُ لأتذكر ذلك.

لم يعد رازباك ودودًا. عاد نحو الخلف في كرسيه وأمال رأسه موحياً بأنه

لا يصدّقها وقال:

- لعلك أوقعتِها أولَ ذلك المساء فأصابتِ رأسها، أو لعلك هزرتِها،

وحين عدتِ لرؤيتها كان تنفسها قد توقف.

- لا! هذا ليس ما جرى (قالت آن يائسةً). كانت بخير عندما تركتها

عند منتصف الليل، وكانت بخير حين تفقّدها ماركو عند الثانية

عشرة والنصف.

- في الواقع، أنتِ لا تعرفين إن كانت بخير حين تفقّدها ماركو عند

الثانية عشرة والنصف. فلم تكوني هناك في غرفة الطفلة. الدليل

الوحيد الذي تملكينه هو أقوال زوجك (وضّح رازباك).

قالت أن متوتّرة متابعَةً فرك أصابعها تحت الطاولة:

- ما كان ليكذب.

ترك رازباك الصمتَ يملأ الغرفة، ثم قال منحنيًا نحو الأمام:

- ما مدى ثقتك بزوجك، سيدة (كونتي)؟

- أثقُ به، ما كان ليكذب بخصوص هذا.

- حقًا؟ ماذا لو ذهب ليتفقد الطفلة، فوجد أنها توقفت عن التنفس؟

ماذا لو ظن أنك قد أذيتها دون قصدٍ أو وضعتِ وسادةً على

وجهها، فتدبّر شخصًا ليأخذ جثتها لأنه كان يحاول حمايتك؟

- لا! ماذا تقصد؟ أنني قتلتها؟ هل هذا ما تظنُّه فعلًا؟

نقلت نظرها ما بين رازباك وجنينيغز والشرطيَّة، ثم إلى المحقق

مجددًا.

- جارتك، سنثيا، قالت إنك بعد عودتك إلى الأمسية وإطعامك للطفلة

عند الحادية عشرة، بدوتِ وكأنك قد بكيتِ ثم غسلتِ وجهك.

احمرَّ وجه أن، كانت قد نسيَت ذلك التفصيل، فقد بكت بالفعل.

أطعمت كورا عند الحادية عشرة والدموع تنهمر من عينيها لأنها كانت

مكتئبة، ولأنها سميئة وغير جذابة، ولأن سنثيا كانت تُغري زوجها

بطريقةٍ ما عادت هي قادرة على فعلها، وشعرت بأنه ما من نفعٍ يُرجى

منها ولا أمل. من غير المفاجئ أن لاحظت سنثيا ذلك وأخبرت الشرطة.

- أخبرتيني بأنك تخضعين للعلاج النفسي حاليًا، من قبل الطبيبة

لامزدن، أليس كذلك؟

عدَّل رازباك وضعيَّة جلوسه، وأخذ ملفًا عن الطاولة. فتحه ونظر

داخله.

- أخبرتك حول الطبيبة لامزدن؟ (قالت أن متسائلةً حول ما ينظر

إليه). أقابلها بسبب اكتئاب طفيف ما بعد الولادة، كما تعرف. وقد

وصفت لي مضادَّ اكتئابٍ آمنًا للمرضعات. لم أفكر يومًا في إيذاء

طفلتي. لم أهزها، ولم أخنقها أو أوذيها بأي طريقة. لم أوقعها

دون قصد. لم أكن ثملةً لتلك الدرجة. بكيْتُ حين أطعمتها لأنني كنتُ حزينةً لكوني سميئةً وغير جذابةً، ولأن سنثيا، التي تدَّعي أنها صديقتي، كانت تتوَدَّد إلى زوجي طوال الأمسية.

استمدتُ أن القوة من الغضب الذي تملكها وهي تتذكَّر الأمر. جلسَت باستقامة أكثر ونظرت في عيني المحقق وأكملت:

- ربما عليك أن تطلِّع أكثر على اكتئاب ما بعد الولادة أيها المحقق، فلا يُعدُّ اكتئاب ما بعد الولادة وذُهان ما بعد الولادة أمرًا واحدًا. ومن الواضح أنني لستُ ذهانيةً أيها المحقق.

- أوافقك الرأي (قال رازباك ذلك وتأتى، ثم أعاد الملف إلى الطاولة وقال) هل ترين أن زواجك سعيد؟

- نعم. لدينا بعض المشكلات، حاليًا حال أغلب الأزواج، لكننا نحلُّها. أي نوع من المشكلات؟

- هل هذا مُتعلِّق بالقضية حقًا؟ كيف يُساعد هذا في إيجاد كورا؟ (تقلقلت في جلوسها).

قال المحقق رازباك:

- كل موظف لدينا يعمل على إيجاد كورا. نبذل قصارى جهدنا للعثور عليها. (ثم أضاف) لعلَّ بإمكانك مساعدتنا.

قالت مترددةً بيأس:

- لا أرى كيف يمكنني ذلك.

- أي نوع من المشكلات تواجهكما في زواجكما؟ النقود؟ هذه مشكلة أساسية بالنسبة لأغلب الأزواج.

قالت أن مُتعبةً:

- لا، لا نتشاجر بخصوص النقود. كلُّ ما نتشاجر حوله هو والداي.

- والداك؟

- لا يتبادل والداي وماركو الود، فوالداي لم يتقبَّلاه يوماً. يعتقدان أنه لا يليق بي، لكن هذا غير صحيح، فهو مثاليٌّ لي. لا يريان أنه شخص جيّد لأنهما لا يرغبان في رؤية ذلك. لطالما كانا هكذا، لم يعجبهما أي شخص واعدته، كأن أحداً ليس جيّداً بما يكفي. لكنهما يكرهانه لأنني وقعتُ في حبه وتزوَّجته.

قال رازباك:

- بالطبع لا يكرهانه.
- أحياناً أشعر أنهما يفعلان، (قالت أن ذلك وأخفّضت بصرها نحو الطاولة) أمي ترى أنه لا يليق بي لمجرّد أنه لا ينحدر من عائلة غنيّة، إلا أن أبي يبدو وكأنه يكرهه فعلاً. يُضايقه طوال الوقت، لا أفهم سبب ذلك.
- أليس لديهما سببٌ معيّن يبرّر عدم محبّتهما له؟
- لا، إطلاقاً. ماركو لم يرتكب أيّ خطأ. (تنهّدت بأسى وأكملت) من الصعب إرضاء والديّ، كما أنهما متسلّطان للغاية. أعطيانا نقوداً عند بداية زواجنا، والآن يظنّان أنهما يملكاننا.
- أعطياكما نقوداً؟
- من أجل المنزل. (قالت ذلك واحمرّت وجنتاها).
- تقصدين، كهدية؟
- أومأت بالإيجاب وقالت:
- نعم، كانت هدية زفافنا، لنستطيع شراء منزل. لم يكن باستطاعتنا تحمّل تكلفة منزلٍ دون مساعدة. فالمنازل باهظة الثمن، المنازل التي تقع في أحياء جيّدة على الأقل.
- أرى ذلك.



- أحب منزلنا. (اعترفت أن) لكن ماركو يكره الشعور بأنه مدينٌ لهما. لم يكن يريد أن يقبل هدية الزفاف، كان يفضل أن يحقق ذلك بنفسه، فهو عزيزُ النفس. تركهما يساعداننا من أجلي، فقد كان يعرف أنني أريد المنزل. كان ليسره البدء في شقة صغيرة بائسة. أحياناً أعتقد أنني ارتكبتُ خطأً. (تابعتُ فرك أصابعها في حضنها) ربما كان علينا رفضُ هدية الزفاف، والعيش في مكان بسيط مؤقتاً مثل أغلب الأزواج. من المحتمل أننا كنا سنظل هناك حتى الآن، لكن لعلنا كنا أكثرَ سعادةً. (شرعتُ بالبكاء) والآن يظنُّان أنه الملام على فقدان كورا لأن تركها في المنزل وحيدةً كانت فكرته. لا ينفكَّان يذكرانني بهذا.

دفعَ رازباك علبة المناديل الورقية على الطاولة لتصبح في متناول يد أن. سحبتُ أن منديلاً ومسحتُ عينيها، وقالت:

- وما الذي بإمكانني قوله حقاً؟ أحاول أن أدافع عنه، لكن تركها في المنزل كان فكرته بالفعل. لم أؤيِّدها، وما زلتُ لا أصدِّق أنني وافقتُ عليها. لن أسامح نفسي يوماً.

- ما الذي تظنُّين أنه قد حصل لكورا يا أن؟ (سأل المحقق رازباك).  
أشاحت بنظرها عنه وحدقتُ إلى الجدار شاردةً وقالت:

- لا أعرف. أفكر في الأمر طيلة الوقت. كنت أمل أن أحداً ما قد اختطفها طمعاً بفدية لأن والدي غنيان، لكن أحداً لم يتواصل معنا، لذا... لا أعرف، من الصعب المحافظة على التفاؤل. هذا ما ظنَّه ماركو في البداية، لكنه يفقد الأمل بدوره. (نظرتُ إليه مجدداً بوجهها الشاحب وقالت) ماذا لو كانت ميتة؟ ماذا لو كانت طفلتنا قد ماتت بالفعل؟ (انهارت أن وانتحبت) ماذا لو لم نجدها قط؟



## الفصل الرابع عشر

كان رازباك قد فتش في حاسوب مكتب ماركو، ولا عجب أن ماركو كان قلقاً بشأن الأمر. مع أنه يمكن تفهّم أن يبحث رجل في حالة ماركو عن اكتئاب ما بعد الولادة، فقد كان سجل بحث متصفّحه يُظهر أنه قد حادَ كثيراً حتى وصل إلى نُهان ما بعد الولادة. قرأ حول امرأة أُدينَت بإغراق أولادها الخمس في حوض استحمام في ولاية «تكساس»، وأمّ قتلت أبنائها عبر قيادة سيارتها إلى قلب بحيرة، وحول نساء أخريات أغرقن، وطعنن، وخنقن أطفالهن بكم أنفاسهم أو بالضغط على حناجرهم. مما جعل المحقق يفكر في أنه من الممكن أن ماركو كان خائفاً من أن تصير زوجته زهانيّة، أو أنه كان مهتماً بتلك المعلومات لأسباب أخرى. خطر على بال رازباك أنه من المحتمل أن يكون هدف ماركو الإيقاع بأن ليتخلّص منها نهائياً. من المحتمل أن تكون قضية الطفلة مجرد ضرر جانبيّ. هل يريد إبعاد الشبهات عنه ببساطة؟ لكن تلك لم تكن النظرية التي رجحها، فكما نوّهت آن، ليست زهانيّة. من الواضح أن تلك النساء اللواتي قتلن أطفالهنّ كنّ زهانيّات. إن كانت قد قتلت الطفلة، فالغالب أن ذلك لم يحصل بقصدٍ منها.

رَجَّحَ رازباك نظريَّةَ تدبير ماركو للاختطاف ليحصل على نقود الفدية التي يحتاج إليها بشدَّة، فمن الواضح أن عمله يمرُّ بأزمة كبيرة، على الرغم مما قاله حول تحسُّن الأمور.

لم يتمكنوا من تحديد السيارة، ولم يتقدَّم أحدٌ للإقرار بقيادة سيارةٍ في الممر عند الساعة الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة ليلة الاختطاف. طلبت الشرطة مساعدة العمَّمة فيما يخصُّ لغز السيارة. إن كان أحد قد قاد سيارته ببراءةٍ في الممر عند الوقت المُعطى، فقد كان ليُقر بذلك نظرًا لكل التغطية الصحفية والتلفزيونية. كان المحقق رازباك واثقًا من أن سائق تلك السيارة هو من أخذ الطفلة.

خمنَ رازباك أن والدا الطفلة قد قتلها دون قصد، وتمَّ التخلص من الجثة بمساعدة شريك في الجريمة، أو أنه اختطاف مُدبرٌ وقد سلَّم ماركو الطفلة إلى شخصٍ فقدَ رباطة جأشِه، فلم يَقم بالترتيبات المُتفق عليها ليتلقَى نقود الفدية ويُعيد الطفلة. إن كان هذا ما جرى، فمن المحتمل أن تكون الزوجة جزءًا من عملية الاختطاف، أو قد لا تكون كذلك. توجَّب على رازباك مراقبتها من كثب. إن كانت ربيبةً رازباك في محلِّها، فلا بد أن ماركو ينهار.

لكن أمر جليسة الأطفال أكرَّبه، فهل كان ماركو ليُخطِّط لعملية اختطاف إن كانت جليسة الأطفال ستأتي إلى المنزل؟ لم يجد رازباك فائدةً تُرجى من وجود شرطيٍّ يجلس بلا عمل لدى عائلة (كونتي) بانتظار اتِّصالٍ مطالبةً بفديةٍ لن يتلقَّوه غالبًا. اتَّخذ قرارًا إستراتيجيًا بالانسحاب وإخراج عناصر الشرطة من المنزل ليرى ما الذي سيحصل إن تركهما وحيدين. إن كان محققًا في ظلِّه بأن خطبًا ما قد طرأ على خطةٍ مدبرة، ولمعرفة ماهيته، فعليه أن يتراجع خطوةً تاركًا حبلَ كذب ماركو يطول بما يكفي لشنق نفسه.

والطفلة؟ تساءل رازباك إن كان أي شخص حتى ماركو يعرف ما إذا كانت الطفلة المفقودة على قيد الحياة. تذكر رازباك حالة اختطاف «ليندبرغ» الشهيرة، التي بدأ فيها أن الطفل قد مات دون قصدٍ خلال أو بعد الاختطاف بقليل. قد يكون هذا ما جرى في هذه القضية. قارب شعورٌ بالشفقة تجاه ماركو يغلبه.

صباح يوم الثلاثاء، في اليوم الرابع بعد اختفاء كورا، غادر آخر شرطي المنزل. لم تصدق أن أنهما سيتركان وحيدَين. «ماذا إن اتصل الخاطف؟» قالت لرازباك مُحْتَجَّةً ومندهشة.

لم يقل ماركو شيئاً. بات واضحاً له أن الخاطف لن يتصل، كما بات من الواضح أن الشرطة لا يعتقدون أنه هنالك خاطفًا حتى.

قال رازباك:

- ستكونان بخير، باستطاعة ماركو التعامل مع الاتصال. (رمقته بنظرة يشوبها الشك، فأكمل) من المحتمل أن وجودنا هنا يُخيفه، قد يتصل إن غادرنا. (أكمل مخاطبًا ماركو) إن اتصل أحدٌ يدعي أن كورا لديه، فحافظ على هدوئك، وحاول الحصول على توجيهات، واجعله يتكلم قدر الإمكان. نحتاج إلى أكبر قدر من المعلومات التي يمكن أن يُفصح عنها. ما زال جهاز التنصت في الهاتف، لذا سيتم تسجيل المكالمة، إلا أنه من المستبعد أن نستطيع تتبع المكالمة، إذ يستخدم الجميع هذه الأيام هواتف خلوية لا يمكن تتبعها، مما يجعل عملنا أصعب بكثير.

غادر رازباك، وسرَّ ماركو زهابه. صار ماركو وأن وحيدَين في المنزل، وتضاءل عدد المراسلين أيضًا، فمع عدم وجود مستجدات، ما عاد لدى الإعلام الكثير ليقوله، وبدؤوا يفقدون حماسهم. لم تعد كومة الأزهار الذابلة والدببة تتزايد.

قالت آن:

- يظنون أنني قتلتها، وأنتك تسترت عليّ.

- بالطبع لا يظنون هذا.

قال ماركو ذلك محاولاً طمأننتها. لم يجد شيئاً آخر ليطمئنها به. ما الذي بإمكانه أن يقوله؟ إما يظنون أنك قتلتها أو أنني أخذتها وافتعلت عملية اختطاف طمعاً بنقود الفدية. لكنه لم يشأ إخبارها بمدى سوء حالتهم الماديّة.

صعد ماركو نحو الطابق العلويّ ليستلقي. كان منهكاً. تملكه الأسى والضيق فما عاد يحتمل النظر إلى زوجته.

مشت آن في أرجاء المنزل، مرتاحةً نوعاً ما لأنهما تخلصا من الشرطة، وربّبت المكان. تحرّكت وأحاطها الحرمان من النوم كهالة ضبابية وهي تضع الأشياء في مكانها، وتغسل أكواب القهوة. رنّ هاتف المطبخ، فتوقّفت. نظرت إلى رقم المتّصل، فميّزت رقم والدتها. تردّدت، فلم تكن متأكّدة من أنها تريد التحدّث إليها. وفي النهاية، عند الرنّة الثالثة، رفعت السماعه.

- آن.

قالت والدتها ذلك، فشعرت آن بقلبها يتلوّى. لماذا أجابت؟ لم تكن قادرةً على التعامل مع والدتها في تلك اللحظة. رأت ماركو ينزل على الدرج مسرعاً، بعينين متيقّظتين. حرّكت شفّتها دون صوتٍ لتقول له أمّي ولوّحت بيدها مُشيّرةً إليه بالابتعاد. استدار وعاد أدراجه نحو الطابق العلويّ.

- أهلاً أمي.

- أنا قلقةٌ بشأنك للغاية يا آن. كيف حالك؟

أمسكت آن الهاتف قريباً من أذنها، ومشّت نحو الجزء الخلفي من المطبخ، ونظرت إلى الفناء الخلفي من خلال النافذة.

صممت والدتها قليلاً ثم قالت:

- جلُّ ما أريده هو مساعدتك.

- أعرف يا أمي.

- لا أستطيع تخيُّل معاناتك. أنا ووالدك نتألَّم أيضًا، لكن لا بد أن  
ألمنا لا يُقارَن بما تشعرين به.

شرعت أن بالبكاء، انهمرت الدموع بصمتٍ على وجنتيها.

قالت والدتها:

- ما زال والدك مستاءً للغاية بسبب استجواب الشرطة لك البارحة.

- أعرف، أخبرتني بهذا البارحة. (قالت أن متململة).

- أعرف، لكنه ظلَّ يتحدَّث عن الأمر. يردُّ أنه عليهم التركيز على  
إيجاد كورا، والتوقف عن مضايقتك.

- يقولون إنهم يقومون بعملهم وحسب.

- لا يُعجبني ذلك المحقق. (قالت والدتها ذلك منزعجةً. ارتخت أن

على أحد كراسي المطبخ وقالت والدتها) أظنُّ أن عليَّ أن آتي إليك  
لنتناول الشاي ونتكلَّم لوحدها. نحن الاثنتان فقط، دون والدك.  
هل ماركو في المنزل؟

- لا يا أمي، (قالت أن ذك والقلقُ يجتاحها) لا أستطيع فعل ذلك  
اليوم، أنا متعبة للغاية.

تنهدت والدتها وقالت:

- تعرفين أن كلَّ ما يهتم والدك بشأنه هو حمايتك. (صممت قليلاً

ثم أضافت كما لو لتختبر ردة فعلها) أحيانًا أتساءل إن كان من  
الصواب إبقاء تفاصيل حول أيام مراهقتك خفيةً عنه.

تجمدت أن ثم قالت:

- عليَّ الذهاب.

وأنهت المكالمة. وقفت عند النافذة، ونظرت إلى الفناء الخلفي مرتعشة لفترة طويلة.

\*\*\*

جلس المحققان رازباك وجنينغز في سيارة الشرطة وتولى جنينغز القيادة. كانت الحرارة مرتفعة داخل السيارة، فضبط رازباك مكيف الهواء. سرعان ما وصلا إلى مدرسة «سان ملديرد»، مدرسة خاصة للفتيات من حضانة الأطفال حتى الصف الثالث الثانوي، تقع في الجزء الشمالي الغربي من المدينة. أمضت آن فيها مراحلها التعليمية بأكملها قبل الجامعة، لذا لا بد من أنهم يعرفون شيئاً عنها.

لسوء حظ المحققين، فقد قدما منتصف عطلة الصيف، إلا أن رازباك كان قد اتصل مسبقاً، وحجز موعداً مع المديرية (بيك)، والتي بدأ أنها مشغولة كثيراً حتى صيفاً.

ركن جنينغز السيارة في موقف السيارات الفارغ. صمم مبنى المدرسة المذهل من حجارة قديمة جعلتها تبدو شبيهة بقلعة، وأحاطت بها مساحات خضراء. كادت الجدران تفوح برائحة النقود. تخيل رازباك عدداً من السيارات الفارهة التي تحمل فتيات من طبقات مرفهة، فينزلن منها بزيهن الرسمي إلى الأبواب الأمامية. إلا أن الصمت عم المكان في ذلك الوقت، باستثناء صوت رجل يقود جازاة العشب.

صعد رازباك وجنينغز الأدراج الحجرية الواطئة، وضغطا على جرس لي دخلا. فُتح الباب الزجاجي مُصدراً صوتاً عالياً، ودخل المحققان متبعين لافتات في الردهة تشير إلى مكتب الإدارة، بينما أصدرت أحذيتهم صريراً لاحتكاكها بالأرضية اللامعة. نفذت رائحة الشمع والملمع إلى أنف رازباك. قال جنينغز:

- لا أفتقد المدرسة، هل تفتقدها أنت؟

- إطلاقاً.



وصلا إلى المكتب، حيث رَحِبَتْ بهما الأُنْسَة (بيك). خاب أمل رازباك على الفور حين رأى أنها صغيرةٌ في العمر نسبياً، في منتصف الأربعين، ومن المستبعد أنها كانت مديرة المدرسة حين كانت (آن كونتي) من طلابها. أمل رازباك أن يكون هناك بعض الأساتذة الذين يتذكرونها.

- كيف لي أن أساعدكما؟

سألت الأُنْسَة (بيك) عن ذلك وهي تقودهما إلى مكتبها الداخليّ الواسع.

جلس رازباك وجنينيغز على الكراسي المريحة أمام مكتبها، بينما جلسَتْ خلفه. قال رازباك:

- أتينا للسؤال عن إحدى طالباتك السابقات.

- من؟

- (آن كونتي)، لكن اسمها كان (آن درايز) حين كانت طالبةً هنا.

تأثت الأُنْسَة (بيك) ثم أومأت برأسها قليلاً وقالت:

- حسناً.

- أظن أنك لم تكوني حاضرةً حين كانت طالبةً هنا. (قال ذلك رازباك).

- لا، كان ذلك قبل توظيفي هنا، للأسف. يا لها من مسكينة! رأيتها على التلفاز. كم صار عمرها؟

- اثنان وثلاثون عاماً. كانت في «سان ملديرد» منذ طفولتها، حتى الثالث الثانوي بحسب ما عرفت.

ابتسمت الأُنْسَة (بيك) قائلة:

- تبدأ العديد من طالباتنا رحلتهم في روضة الأطفال هنا، ولا يخرجن إلا للالتحاق بكليةً جيّدة. نملك معدّل استبقاءٍ ممتازاً.

بادلها رازباك الابتسام وقال:

- نوذُ الأطلّاع على ملفّها، والتحدّث مع بعض الأشخاص الذين عرفوها أثناء ارتيادها لهذه المدرسة إن أمكن.
- دَعني أرى ما باستطاعتي فعله.

قالت الآنسة (بيك) ذلك وغادرت الغرفة. عادت بعد عدة دقائق حاملةً ملفًا بلونٍ فاتح.

- كانت هنا منذ الروضة حتى الثالث الثانوي كما قلت. كانت طالبةً متفوقةً، وارتادت جامعة «كورنيل».

يتضمّن عمل هذه المرأة العلاقات العامة بشكل أساسيٍّ، فكّر رازباك وهو يأخذ الملف. مالَ جنينغز نحوه لينظر إلى الملف هو الآخر. كان رازباك واثقًا من أنها تتمنى لو أن آن، التي من الممكن أن تلتطّخ سمعتهم، لم تطأ قدماها مدرسة «سان ملديرد» يومًا.

قرأ رازباك وجنينغز الملفَّ بصمتٍ، بينما تململت الآنسة (بيك) خلف مكتبها. لم يجدا سوى بطاقات تقارير ممتازة كلها، ولا شيء مثير للشكوك. سأل رازباك:

- هل ما يزال أيُّ من مدرّسيها السابقين جزءًا من طاقم المدرّسين هنا؟
- فكرت الآنسة (بيك) وقالت أخيرًا:

- معظمهم رحلوا، لكن الآنسة (بليكر) تقاعدت السنة الماضية. رأيتُ في ملفّها أنها درّستها اللغة الإنجليزية لعدّة سنوات في الصفوف النهائية. بإمكانك التحدّث إليها. تسكن قريبًا من هنا.

كتبت اسمها وعنوانها على قطعة من الورق. أخذ رازباك الورقة وقال:

- شكرًا على وقتك.

عاد برفقة جنينغز إلى السيارة. قال رازباك:

- فلنذهب لمقابلة (بليكر). سنشتري شطيرةً في طريقنا إليها.
- ماذا تتوقّع أن نجد؟ (سأل جنينغز).
- لا تترك التوقعات تحكّمك يا جنينغز.

## الفصل الخامس عشر

حين وصلا إلى منزل الأنسة المتقاعدة، قابلتهما امرأة بظهرٍ مستقيم وعينين حادّتين. فكّر رازباك في أنها تبدو تمامًا كما يُخيّل للمرء حين يفكّر في مُدرّسة لغة إنجليزية في مدرسة فتياتٍ خاصة. تفحصت الأنسة (بليكر) المحقّقين وشارتيهما بتمعّن قبل أن تفتح الباب قائلة:

- الحذرُ واجب.

نظرَ جنينغز إلى رازباك متوجّسًا بينما قادتُهُما إلى غرفة جلوسها مرورًا ببهو ضيق. قالت:

- تفضّلًا بالجلوس.

جلسا على الفور في كرسيّين منجّدين، بينما جلست ببطءٍ على الأريكة المقابلة. كانت هناك روايةٌ سميكة موضوعة من إصدارات كلاسيكيات دار «بنجوين» بعنوان أبراج بارشستر للكاتب (آنتوني ترولوب)، على الطاولة الصغيرة، وبجانبيها «آي باد».

- كيف أستطيع أن أخدمكما أيُّها السيدان؟ (سألته، ثم أضافت) على الرغم من أنني أستطيع تخمين سبب قدومكما.

ابتسم رازباك بقصد تجريدها من دفاعاتها وقال:

- ما سبب قدومنا برأيك، آنسة «بليكر»؟
- تريدان التحدُّث حول آن. تذكَّرْتُها، أخبارها في كل مكان.

تبادل رازباك وجنينيغز نظرةً سريعة. أكملت:

- كان اسمها (آن درايز) حين علَّمتها.
- نعم، نريد التحدُّث حول آن.
- إنه لأمرٌ فظيع، حزنتُ كثيرًا حين رأيتُ ذلك على التلفاز. (تنهَّدتْ بعمق) لا أعرف ما الذي باستطاعتي قوله حول ما جرى حينها، لأنني لا أعرف شيئًا، حاولتُ أن أعرف، لكن أحدًا لم يخبرني بأي شيء.
- شعر رازباك بالحماس يخزُّ رقبتَه وقال بأناة:

- أخبرينا بما جرى منذ البداية.

أومأت بالإيجاب وقالت:

- كنتُ أحبُّ آن. كانت طالبةً جيدة في اللغة الإنجليزية، لم تكن موهوبة، لكنها اجتهدت. وكانت هادئةً بطريقة تجعل معرفة ما يدور في ذهنها أمرًا صعبًا. أحببتُ الرسم. وكنتُ أعرف أن الفتيات الأخريات يضايقنها. حاولتُ منعهنَّ عن ذلك.

- كيف كُنَّ يضايقنها؟

- الأمور المعتادة لدى الفتيات الغنِّيَّات اللواتي أفسدهنَّ الدلال ويملكن من النقود أكثر مما يملكن من الوعى. كانوا يقولون إنها سميئة، ولم تكن كذلك بالطبع، بل كانت الفتيات الأخريات هزيلات بطريقة غير صحيَّة.

- متى كان هذا؟

- غالبًا عندما كانت في الصف العاشر أو الحادي عشر. كان هناك ثلاث فتيات يعتقدنَّ أنهنَّ أجملُ خلقِ الله، أجملُ ثلاث فتيات في

المدرسة، التقين وشكّلت نادياً خاصاً لم يسمحن لأحد بالانضمام إليه.

- هل تذكرين أسماءهن؟

- بالطبع؛ (ديبي رينزيتي)، و(جانيس فوغل)، و(سوزان غيفنز).

سجّل جنينغز الأسماء في دفتر ملاحظاته، وأكملت:

- لن أنسى هؤلاء الفتيات الثلاثة.

- وماذا جرى؟

- لا أعرف. كانت الفتيات الجميلات الثلاثة يضايقن أن يوماً ما

كعادتهنّ، وكل ما سمعنا به بعدها هو أن أحدهنّ دخلت إلى

المشفى، وتجنّبت الفتاتان الأخريان أن قدر استطاعتهما. غابت

(سوزان) عن المدرسة عدّة أسابيع. قيل إنها وقعت عن درّاجتها

وعانت ارتجاجاً.

مال رازباك نحو الأمام قليلاً وقال:

- لكنك لا تصدّقين ما قيل، أليس كذلك؟ ما الذي تظنين أنه قد

حصل فعلاً؟

- لا أعرف تحديداً. عُقدت اجتماعات سرّية مع الأهالي، وتم

إسكات كل الأقاويل. لكنني أراهن على أن آن كانت قد اكتفت من

المضايقات.

حين عادا إلى مخفر الشرطة، قام رازباك وجنينغز ببعض البحث

ووجدا أن اثنتين من الفتيات اللواتي ذكّرتهنّ مدرّسة اللغة الإنجليزية

المتقاعدة، (ديبي رينزيتي) و(سوزان غيفنز)، قد انتقلتا برفقة عائلتيهما

عندما تخرّجتا في المدرسة الثانوية. لكن لحسن الحظ، كانت (جانيس

فوغل) ما تزال تعيش في المدينة. حين اتّصل بها رازباك، حالفهم الحظ

مجددًا، وكانت في منزلها، وكانت مستعدةً للقدوم إلى المخفر للتحديث إليهما بعدَ ظُهرِ ذلك اليوم.

تم استدعاء رازباك إلى مكتب الاستقبال حين وصلت (جانيس فوغل) في موعدها تمامًا، ذهب لمقابلتها، وفي باله توقُّعٌ حولها، ومع ذلك، صدمه جمالها. تساءل رازباك كيف شعرت لامتلاكها هذا القدر من الجمال في الثانوية بينما عانى أغلب أقرانها للتصالح مع عدم رضاهم عن مظهرهم الخارجيِّ. تساءل كيف أثر ذلك عليها، وخطرت (سنثيا ستلويل) على باله.

- آنسة (فوغل)، أنا المحقق رازباك وهذا المحقق جنينغز. شكرًا لقدومك. لدينا بعض الأسئلة التي نودُّ طرحها عليك إن لم تمانعي ذلك.

عبست مستسلمةً وقالت:

- توقعْتُ أن أتلقَى اتصالاً بصراحة.

قادها إلى إحدى غرف الاستجواب. توتّرت حين ذكرا كاميرا تسجيل الفيديو، لكنها لم تتذمّر.

افتتح رازباك حديثه بعد أن تجاوزوا الكلام التمهيديّ:

- عرفتِ (آن كونتي) في المدرسة الثانوية، وكان اسمها (آن درايز) عندها، حين كنتما في مدرسة «سان ملديرد».

قالت بصوت خافت:

- نعم.

- كيف كانت طباعها؟

تأنت جانيس كأنها لا تعرف كيف تُجيب وقالت:

- كانت لطيفة.

قال رازباك منتظرًا المزيد:

- لطيفة؟

تغيّرت تعابير وجهها فجأة وأجهشت بالبكاء. دفع رازباك علبة المناديل الورقية بلطفٍ لتُصبح في متناول يدها وانتظر. قالت:

- الحقيقة هي أنها كانت فتاةً لطيفة بينما كنتُ لئيمةً جدًّا. كنا نحن الثلاثة، أنا و(سوزان) و(ديبي)، فتياتٍ شنيعات. أخجل من ذلك الآن، وحين أسترجع ذكرياتي، لا أستطيع تصديق أنني كنتُ أتصرّف بتلك الطريقة. عاملناها بلؤمٍ شديد دون سبب.

- كيف عاملتموها؟

أشاحت (جانيس) بنظرها ومسحت أنفها برقّة، ثم رفعت نظرها نحو السقف محاولَةً أن تتمالك نفسها، وقالت:

- كنا نضايقها بخصوص مظهرها وثيابها. كنا نظنُّ أننا أفضل منها، بل أفضل من الجميع حقيقةً. (نظرت إليه ساخرةً وأكملت) كان عمرنا خمسة عشر عامًا، ولا أقصد أن هذا عذرٌ لما كنا نفعله. ما الذي جرى إذًا؟

- استمررنا على هذا الحال لأشهر، وتحمّلته ببساطة. قابلت معاملتنا لها باللطف طوال الوقت، وتظاهرت أن ذلك لم يؤثّر بها، لكننا رأينا أنها مثيرة للشفقة وحسب. ظننتُ أنها كانت قوية بصراحةٍ، لقدرتها على التظاهر بأنها غير متضايقّة، يومًا بعد يوم، بينما كان العكس واضحًا، لكنني لم أقل هذا لأحد.

أومأ رازباك مُشجعًا إياها على المتابعة.

أخفضت بصرها نحو المنديل في يدها، وتنهدت مهمومةً ثم نظرت إلى رازباك مجددًا وقالت:

- يومًا ما، فقدت أعصابها وحسب. بقينا في المدرسة ثلاثتنا؛ أنا و(ديبي) و(سوزان)، حتى وقتٍ متأخر لسببٍ ما. كنا في حمّام

الفتيات حين دخلت آن. رأتنا وتجمّدت، ثم أَلَقَت السلام ولوّحت لنا قليلاً، ودخلت إلى أحد المراهيض لتقضي حاجتها. كانت شجاعةً بالفعل، عليّ أن أُقرَّ بذلك. (صمتت، ثم تابعت) ثم بدأنا نقول لها أشياءً. (وصمتت).

- ماذا قلتن؟ (سأل رازباك).

- أشعر بالخجل من البوح بذلك. أشياء من قبيل: كيف تبلين في حميتك الغذائية؟ لأنه من الواضح أنك قد سمّنت. وغير ذلك. عاملناها بطريقة فظيعة حقاً. خرجت من المرحاض واندفعت نحو سوزان. لم يتوقَّع أحدٌ منا الأمر. أطبقت آن قبضتها على حنجرة سوزان وصدّمتها بالجدار الإسمنتي المدهون بلون كريميٍّ لامع، اصطدمت به سوزان بقوة، ثم انهارت منزلقةً نحو الأرض. تلطّخ الجدار ببقعة دم حتى أسفله.

تجهّم وجه جانيس كأن ذكرياتها أعادتها إلى تلك اللحظة في حمّام المدرسة حين رأت صديقتها منهارة على الأرض، والجدار الملطّخ بالدم.

- ظننتُ أن آن قد قتلتها.

شجّعها رازباك:

- تابعي.

- غَلا صُراخنا أنا وديبي، بينما ظلّت آن صامتةً كلياً. كانت ديبي أقرب إلى الباب، لذا ركضت لتجلب النجدة. دُعرتُ لبقائي وحيدةً مع آن، لكنها كانت تقف بيني وبين الباب، وكنتُ خائفة لدرجة منعنتي من الحركة. نظرتُ آن إليّ بعينين خاليتين من أي تعبير، كأنها لم تكن واعية. لم أعرف حتى إن كانت تراني. كان الأمر مُخيفاً. أتت إحدى المدرّسات أخيراً، ثم أتت المديرية، واتّصلوا بالإسعاف. (صمتت جانيس).

- هل اتّصل أحدٌ ما بالشرطة؟



- هل تمزح؟ (رمقته متفاجئة) ليست هذه الطريقة التي يتم بها التعامل مع الأمور في المدارس الخاصة. كلُّ ما كان يهم المديرية هو التحكم بالأضرار. أعرف أنهم توصلوا إلى تسويةٍ ما، فقد حضرت والدة آن، وأهلنا، وكل شيء.. تم احتواؤه. أدرك الجميع أننا كنا نستحق ما جرى.

قال رازباك بلطف:

- ما الذي جرى بعد اتّصالهم لطلب سيارة إسعاف؟

- حين وصلت، وضعوا سوزان على نقالة وأدخلوها إلى سيارة الإسعاف. لحقنا أنا وديبي والمدرّسة بسوزان، بكينا أنا وديبي بطريقة هستيرية، ورافقت المديرية آن إلى مكتبها لتنتظر والدتها. أخذت سيارة الإسعاف سوزان، وانتظرنا أنا وديبي في موقف السيارات مع المدرّسة الأخرى ريثما أتى أهلنا.

سأل رازباك:

- هل تذكرين أي شيء آخر؟

أومأت مُشيرةً بالإيجاب وقالت:

- قبل أن تصطحب المديرية آن، نظرت آن إليّ كأنها كانت طبيعية تمامًا وقالت: ما الذي جرى؟

سألها رازباك:

- بماذا فكّرت حين قالت ذلك؟

- فكرتُ بأنها مجنونة.

\*\*\*\*

وقف ساعي البريد خارج الباب الأماميِّ محاولاً دفع أكوام البريد عبر الشقّ الموجود في الباب، بينما وقفت آن في المطبخ وراقبتّه. كان بإمكانها فتح الباب وأخذها منه، لجعل مهمّته أسهل، لكنها لم تشأ فعل

ذلك، فقد كانت تعرف أن كل رسائل الكراهية تلك موجَّهَةٌ لها. رفع نظره ورآها من خلال النافذة. تلاقَّت نظراتهما لثانيةٍ فقط، ثم أخفض نظره وعمل على دفع المزيد من الأظرف في الشقِّ. اعتادت أن تتبادل السلام مع ساعي البريد ذاته قبل أقل من أسبوع مضى، لكن كل شيء قد اختلف الآن. سقطت الرسائل أرضًا، مشكَّلةً كومة مبعثرة. عانى ساعي البريد محاولًا دفعَ ظرفٍ كبيرٍ وسميكٍ من خلال الشقِّ، لكنه لم يدخل. دفعه حتى منتصفه، ثم استدار وعاد أدراجه ومشى نحو المنزل التالي. وقفت آن محدَّقةً إلى الكومة على الأرض، والحزمة العالقة في الشق. مشت نحو الباب وحاولت سحبها. كانت إحدى تلك الحزم التي تحوي غلافًا منبعجًا، وكان عاليًا فلم تستطع زحزحته. كان عليها أن تفتح الباب وتسحبه من الخارج. نظرت عبر النافذة لترى إن كان هناك أحد في الخارج. المراسلون الذين كانوا هناك في الصباح الباكر بينما كان عناصر الشرطة يستعدون للرحيل، كانوا قد ذهبوا. فتحت أن الباب وسحبت الحزمة من الشق، ثم دخلت مُسرعةً وأغلقت الباب وأعدت قفله. فتحت الحزمة دون تفكير. كانت تحوي رداء طفلةٍ أخضر.

## الفصل السادس عشر

صرخت آن. سمع ماركو صرختها، واندفع من غرفة النوم متجهًا نحو الطابق السفلي. رآها واقفةً عند الباب الأمامي، تحت قدميها كومة من الرسائل غير المفتوحة، وببيدها حزمة. كان بإمكانه رؤية الرداء الأخضر بطرفه الخارج من الحزمة.

التفتت إليه بوجهٍ مخطوف اللون وقالت بصوت أجوف:

- وصلنا هذا عبر البريد للتو.

اقترب ماركو منها، فقرَّبَت الحزمة إليه. أخفض كلاهما بصره إليها، كأنهما خائفان من لمسها. ماذا لو كان مقلَّبًا؟ ماذا لو ظن أحدهم أنه سيكون من المضحك إرسال رداء طفلة أخضر للزوجين الشنيعين اللذين تركا طفلتها وحيدةً في المنزل؟

أخذ ماركو الحزمة من آن وفتحها أكثر برفق. سحب الرداء، وبدا هو ذاته. أداره، فوجد الأرنب الصغير المطرَّز في مقدَّمته.

- يا إلهي (شهقت آن، وانفجرت باكيةً، ويدها على وجهها).

- إنه رداؤها! (قال ماركو بصوت أجش) إنه رداء كورا.

أومات آن موافقةً، لكنها لم تستطع أن تتكلم.

كان هناك ملاحظة مُثَبِّتة داخل الرداء الصغير، مطبوعة بخط صغير:  
الطفلة بخير. الفدية خمسة ملايين دولار. لا تخبروا الشرطة.  
أحضروا النقود يوم الخميس عند الساعة الثانية بعد الظهر. ظهور أي  
أثر للشرطة سيحرمكم من رؤيتها إلى الأبد.

في نهاية الملاحظة كان هناك خريطة تفصيلية.

# مكتبة

هاتف ماركو:

t.me/t\_pdf

- سنستعيدها يا آن!

شعرت آن بأنه قد يُغمي عليها. بعد كل ما عانوه، بدا ذلك أروع من  
أن تستطيع تصديقه. أخذت الرداء من يده، وقربته من وجهها وتنشّقت  
رائحته، كانت رائحة طفلتها. تمكّنت من تمييز رائحتها. غمرها إحساس  
عارم وتنشّقت رائحة الرداء مجددًا، فتراخت ركبتاها. قال ماركو:

- سننّبع تعليماتهم بدقّة.

- أليس علينا إخبار الشرطة؟

- لا! يقولون إنه علينا ألا نفعل ذلك. لا نستطيع المخاطرة بإفساد  
الأمر. إخبار الشرطة مُخاطرة، إن ظنَّ الخاطف أنه سيُقبض  
عليه، قد يقتل كورا ويتخلّص من جثتها! علينا القيام بهذا متّبعين  
تعليماته، لا تعليمات الشرطة. لن نخبرهم.

أومات آن موافقةً. أخافها أن يقوموا بالأمر وحدهما، لكن ماركو كان  
محققًا، فما الذي فعلته الشرطة لمساعدتهم؟ لا شيء. كل ما فعلوه هو  
التشكيك بهما. الشرطة ليست إلى جانبهما، وعليهما استعادة كورا  
وحدهما.

قال ماركو متوتّرًا:

- خمسة ملايين؟

نظر إليها، واعتلاه همُّ فجأة وسألها:

- هل تظنين أن والديك لن يمانعا دفع خمسة ملايين؟

- لا أعرف. (عضت شفتها بقلق) عليهما فعل ذلك.

- لا نملك الكثير من الوقت؛ يومان. علينا أن نسأل والديك، فعليهما

البدء بتجميع النقود.

- سأتصل بهما.

قالت ذلك ومشت نحو الهاتف في المطبخ.

- استخدمني هاتفك الخلوي يا آن، واطلبي منهما مسبقاً ألا يخبرا

الشرطة أو أي أحد.

أومأت موافقةً وأمسكت هاتفها.

\*\*\*

جلس كل من ماركو وأن على الأريكة في غرفة المعيشة، جنباً إلى

جنب. وجلست والدة آن بأناقة على حافة كرسيٍّ بمسندين، بينما خطا

والد آن في غرفة المعيشة جيئةً وذهاباً ما بين النافذة الأمامية والأريكة.

راقبه الجميع.

- هل أنت متأكدة من أنه الرداء المفقود؟ (سأل مجدداً متوقفاً عن

المشي).

- نعم، (قالت آن محتدةً) لماذا لا تصدقني؟

- كل ما في الأمر أنه علينا التأكد، فخمسة ملايين دولار مبلغ هائل.

(بدا فظاً) علينا التأكد من أننا نتعامل مع الشخص الذي يحتفظ

بكورا بالفعل، فقد انتشر الخبر في كل مكان، ومن الممكن أن

يستغل أحد ما الموقف.

- إنه رداء كورا (قال ماركو بحزم)، لقد ميزناه.

- هل بإمكانك جلب النقود أم لا؟ (سألت آن بجديّة).

نظرت بقلق نحو والدتها. في اللحظة التي بدأت فيها باستعادة الأمل، ظهر احتمال بأن ينهار كل شيء. كيف لوالدها أن يفعل هذا بها؟  
- بالطبع يمكننا جلب النقود. (قالت والدتها بصرامة).

- لم أقل إنه ليس بإمكاننا جلبها (أجاب والدها)، قلت إنه من الممكن أن يكون جلبها صعبًا. لكنني سأقوم بالمستحيل إن كان المستحيل هو ما يلزم لاستعادتها.

راقب ماركو والد زوجته، محاولاً أن يخفي امتعاضه منه. يعرف الجميع أن والده أن تملك معظم النقود، لكنه يحب التصرف وكأنها ملكه بأكملها، وكأنه استحقها بعرق جبينه. يا له من مغفل!

- من الصعب جمع كل ذلك المبلغ خلال يومين فقط. علينا الاستفادة من بعض الاستثمارات. (قال ريتشارد ذلك مغترًا بذاته).

- هذه ليست مشكلة (قالت والدها آن، ثم نظرت إلى ابنتها وأكملت)، لا تقلقي بشأن النقود يا آن.

- هل بإمكانكما فعل ذلك بسرّية دون معرفة أحد؟ (سأل ماركو).  
أطلق ريتشارد شهيقًا مسموعًا وهو يفكر وقال:

- سنستشير محامينا حول كيفية فعل ذلك. سنندبر الأمر.  
- حمدًا لله (قالت آن مطمئنة).

- كيف ستتم العملية تمامًا؟ (سأل ريتشارد).

قال ماركو:

- بحسب توجيهات الملاحظة، لن نخبر الشرطة، وسأذهب حاملاً النقود، وأسلمها لهم، فيعطونني كورا.

قال والد آن:

- ربما عليّ أن أذهب معك لكيلا تفسد الأمر.

رمقه ماركو بنظرة تفضح ضغينته وقال:

- لا. إن رأوا شخصًا آخر فقد لا يوافقون على الالتزام بالاتفاق.

تبادلًا النظرات مطولًا حتى قال ريتشارد:

- أنا من سيدفع المبلغ الهائل.

قالت أليس محتدة:

- في الواقع، أنا من سيدفع المبلغ الهائل.

- أرجوك يا أبي.

قالت آن ذلك وتملكها زعرٌ من أن يفسد والدها كل شيء. نقلت نظرَها

متوترةً ما بينه وبين والدتها. قال ريتشارد:

- لا نملك دليلًا يثبت أن كورا على قيد الحياة حتى، قد تكون خدعة.

- إن لم تكن كورا هناك، فلن أسلمهم النقود. (قال ماركو ذلك مراقبًا

ريتشارد وهو يعاود الخطو أمام النافذة).

قال ريتشارد:

- لا يعجبني ما يجري، علينا إخبار الشرطة.

- لا!

قال ماركو ذلك، وحدق الرجلان إلى بعضها، وكان ريتشارد أوّل من

أشاح بنظره. سألت آن بصوتٍ مرتجف:

- هل بيدنا حيلة؟

قال ريتشارد:

- لا يعجبني الأمر على أي حال.

قالت والدة آن وهي ترمق زوجها بنظرة حادة:

- سنقوم بما تُمليه الملاحظة كما هو.

نظر والد آن إليها وقال:

- أنا آسف يا آن. أنت محقة، ليس لدينا خيار. من الأفضل أن نبدأ  
أنا ووالدتك في جمع النقود.

\*\*\*\*

راقب ماركو حمويه وهما يركبان سيّارتهما المرسيديس ويبتعدان.  
كان بالكاد قد أكل منذ بدأ كل هذا، وبدا بنطاله الجينز واسعاً على  
وسطه. كان عناد ريتشارد حول جمع النقود مزعجاً، إلا أنه كان يحاول  
لفت الأنظار وحسب. أراد أن يعرف الجميع مدى روعته، ويقدرّوا أهميته  
التي لا حدود لها.

قالت آن فجأة وهي تقف بجانب ماركو:

- كنت أعرف أنهما سيسانداننا.

كيف أمكنها قول الأشياء الخاطئة كلياً كل مرة؟ على الأقل فيما  
يخصّ والديها. كيف لم ترّ والدها على حقيقته؟ ألم ترّ كم كان متلاعباً؟  
لكن ماركو اكتفى بالصمت.

- سيكون كل شيء على ما يرام (قالت آن ذلك ممسكةً بيد ماركو).  
سنستعيدها، وسيرى الجميع عندها أننا كنا الضحايا في هذه  
القضية. (شدّت على يده). ثم علينا أن نجعل عناصر الشرطة  
اللعينين يعتذرون.

- سيستمرّ والدك في تذكيرنا بأنه دفع النقود.

- ليس هذا ما يهمّهم! ما يهمّهم هو إنقاذ كورا، أنا واثقة! لن يعايرانا  
بذلك.

زوجته ساذجة للغاية أحياناً. ضغط ماركو على يدها بدوره، وقال:

- لم لا تستلقين قليلاً وتحاولين الحصول على قسط من الراحة؟  
سأخرج من المنزل قليلاً.



- أشك بأنني سأتمكن من النوم، لكنني سأحاول. إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى المكتب لأتفقد الأوضاع قليلاً. لم أذهب منذ.. منذ فقدنا كورا.  
- حسناً.

أحاطها بذراعيه وضمَّها إليه وقال هامساً:

- لا أطيق صبراً حتى أراها مجدداً يا آن.  
هزَّت رأسها المتكئ على كتفه.

راقبها ماركو تصعد إلى الطابق العلويِّ، ثم أخذ مفاتيح سيَّارته من الوعاء على الطاولة في الصالة الأمامية، وخرج من المنزل.

حاولت أن الاستلقاء، لكنها كانت في كامل يقظتها، تركت الأمل باستعادة طفلتها قريباً يتملَّكها. إلا أن احتمال أن تجري الأمور بشكل سيئ أثار ذعرها، فكما قال والدها، ليس هناك أدنى دليلٍ على أن كورا ما زالت على قيد الحياة. لكنها رفضت تصديق أن كورا ميتة.

حملت الرداء الأخضر الصغير بيدها قريباً من وجهها، وتنشَّقت رائحة طفلتها. افتقدتها لدرجة جعلت آلام فراقها جسدية. ألمها صدرها. وقفت عند بهو الطابق العلويِّ، ومالت نحو الجدار، ثم انزلقت نحو الأرض خارج غرفة الطفلة. لو أغمضت عينيها وضغطت الرداء على وجهها، قد يصبح بإمكانها الشعور بأن كورا ما تزال هنا، في المنزل، عند نهاية البهو.

تركت نفسها تتظاهر بذلك للحظات، لكنها فتحت عينيها بعدها.

أياً كان من أرسل لهما هذا الرداء، فقد طلب خمسة ملايين دولار. أياً كان، فهو يعرف أنهما مستعدان لدفع خمسة ملايين دولار لاستعادة طفلتهما الصغيرة، ومن الواضح أنه يعرف تماماً أن باستطاعتها جلبُ النقود.

قد يكون شخصًا يعرفانه، ولو قليلًا. وقفت على قدميها ببطء، وتوقفت في طريقها إلى غرفة نومهما. وقد يكون شخصًا يعرفانه جيدًا، شخصًا يعرف أنه بإمكانهما تدبُّر النقود.

فكّرت في أنه عندما ينتهي كل هذا، بعد أن يستعيدوا كورا، فستكرّس حياتها لابنتها، ولمعرفة هوية من اختطفها. قد لا تتوقف عن النظر إلى أشخاص يعرفونهما، متسائلة إن كان ذلك الشخص هو من أخذ طفلتها، أو يعرف من فعلها.

أدركت فجأة أن عليها ألا تمسك الرداء هكذا، فإن جرى مكروه، ولم يستعيدوا كورا، سيكون عليهم تسليم الرداء، والملاحظة، إلى الشرطة بعدّهما جزءًا من الأدلة، وإقناعهم ببراءتهما. بالطبع ستتوقف الشرطة عن الشك بهما الآن. لكن أي دليل كان باستطاعة اللباس أن يقدمه قد أُفْسِدَ غالبًا بسبب طريقتها في لمسها والتنفُّس فيه ومسح دموعها بواسطته حتى. تركته ممددًا على طاولة زينتها في غرفة النوم. نظرت إليه وهو مهجورٌ هناك على طاولة الزينة. تركته ومعه الملاحظة التي تحوي التعليمات مثبتةً إليه. ما من مجال لارتكاب الأخطاء.

أدركت أنها كانت وحيدةً في المنزل لأول مرة منذ منتصف ليلة اختفاء كورا. لينه كان باستطاعتها العودة في الزمن. مرّت الأيام الأخيرة حاملةً معها ضبابًا من الخوف، والأسى، والذعر، واليأس و(الخيانة). قالت للشرطة إنها تثق بماركو، لكنها كذبت؛ لا تثق به مع سنثيا، وتعتقد أنه من الممكن أنه يخفي عنها أسرارًا أخرى. فهي تخفي عنه أسرارًا بدورها.

مشّت ببطء من طاولة زينتها إلى طاولة ماركو، ثم فتحت الدرج العلويّ، وفتّشت ما بين جواربه وثيابه الداخلية دون هدف محدد. حين أنهت تفتيش الدرج العلويّ، فتحت الثاني. لم تعرف عمّ كانت تبحث، لكنها ستعرف حين تجده.

## الفصل السابع عشر

ركب ماركو سيارة «الأودي» لكنه لم يتَّجه إلى مكتبه، بل اتَّخذ أقرب مخرَج من المدينة. ناوَر داخلًا في الزحام وخارجًا منه، وطاوعته سيَّارته. بعد نحو عشرين دقيقة، اتَّخذ طريقًا سريعًا أصغر، وصل بعدها بقليل إلى طريق ترابيٍّ مألوفٍ يؤدِّي إلى بحيرة منعزلة تمامًا.

ركن سيارته في موقفٍ أمام البحيرة ذات الشاطئ الصغير كثير الحصى. توزَّعت على الشاطئ طاولات قديمة ومهترئة، لم يَر أحدًا يستخدمها إلا نادرًا. اخترق البحيرة مرسى طويل، لكن ما عاد أحد يبحر بقارب منه. يأتي ماركو إلى هذا المكان منذ سنوات، وحيدًا، كلما احتاج إلى أن يفكِّر.

ركن سيارته تحت ظلِّ شجرة، في مواجهة البحيرة، وخرج منها. كان الجو حارًّا ومشمسًا، إلا أن نسماَتٍ قادمةً من البحيرة لطَّفَّته. جلس على غطاء السيارة، ونظر إلى المياه. كان وحيدًا في ذلك المكان المهجور.

قال لنفسه إن كل شيء سيكون على ما يرام. كورا بخير، لا بد أنها بخير. سيجلب والدا آن النقود. يستحيل أن يضيِّع حماهُ فرصة الظهور

كبطلٍ أو شخصيةٍ عظيمة حتى لو كلّفه ذلك ثروةً صغيرة. وبالأخصّ إن بدا أنه ينقذ كورا. لن يشعرأ بأن نقودهما قد قلّت حتى. (فكّر ماركو).

أخذ نفسًا عميقًا مالتًا رثتيه بهواء البحيرة، وزفره، محاولًا تهدئة نفسه. نفذت إلى أنفه رائحة سمك ميت، لكنه لم يهتم لذلك، كان عليه ملء رثتيه بهواء نقيّ، فقد كانت الأيام القليلة الماضية جحيماً حقيقياً. لم يمتلك ماركو ما يلزم لمواجهة كل هذا، كانت أعصابه منهارة.

راوده شعورٌ بالندم، لكن الأمر كان يستحق العناء. حين يستعيد كورا ويحصل على النقود، سيكون كل شيء على ما يرام. ستعود كورا إليهما، وسيملك مليونين ونصف لإعادة إنعاش عمله. فكرة أخذ النقود من حماه جعلت ماركو يبتسم، فهو يكره ذلك النذل.

باستخدام النقود، سيحل مشكلاته الماليّة، وسيطوّر عمله. سيتم تحويل النقود إلى عمله من خلال مستثمر مجهول صامت من خلال برمودا (اعتمادًا على قانون الاستثمار في الأعمال التجارية الذي تم تطبيقه بدءًا من عام 2004، والذي يوفرّ رخصة تجارية لأي شخص أو مؤسسة يودون الاستثمار في برمودا أو انطلاقًا منها). لن يعرف أحد بالأمر. شريكه، (بروس نيلاند)، سيحصل على نصف حصّته، ويرحل، دون أن يُفشي سره.

كان ماركو على وشك التراجع عن العملية لأنه ذعّر حين ألغت جليسة الأطفال موعدها في آخر لحظة. كاد يُلغي الأمر بأكمله. كان يعرف أن (كاترينا) تغفو دائمًا تاركَةً السماعات في أذنيها أثناء مجالستها للطفلة. فاجأها مرّتين بقدمهما إلى المنزل قبل منتصف الليل، ليجداها غافية على أريكة غرفة المعيشة. بالإضافة إلى أنه كان من الصعب إيقاظها. لم تكن آن راضية عن ذلك، فلم ترَ أن (كاترينا) جليسة أطفال جيدة، إلا أنه كان من الصعب إيجاد جليسة بسبب وجود الكثير من الأطفال في الحيّ.

تضمّنت الخطة أن يخرج ماركو ليدخّن سيجارة عند الثانية عشرة والنصف، ويتسلل إلى المنزل ليأخذ الطفلة النائمة، ويخرج بها من الباب

الخلفي بينما تغفو (كاترينا). ولو أنها استيقظت ورأته يدخل، فكان ليقول لها إنه أتى ليتفقد الطفلة، نظرًا إلى أنهما في المنزل المجاور، ولو استيقظت ورأته يخرج حاملاً الطفلة، كان ليقول إنه سيأخذ كورا إلى الجيران قليلاً ليتفاخر بها. وفي كلتا الحالتين، كان ليُلغى الأمر بأكمله. لو نجحت الخطة، لتضمّن الأخبار حكايةً عن طفلة تم اختطافها بينما كانت جليسة الأطفال في الطابق السفلي. لكنها ألغيت موعدها، وكان ماركو يائسًا، فاضطر إلى الارتجال. أقنع أن بترك كورا في المنزل شرط أن يتفقدوها كل نصف ساعة. وكان فعل ذلك مستحيلًا لو أن جهاز مراقبة الطفلة كان يُظهر الصورة، لكن بوجود الصوت وحده، ارتأى أن الخطة قد تنجح. أخرج كورا عبر الباب الخلفي إلى السيارة التي انتظرته بعد تفقده لها. كان يعرف أن تركهما للطفلة وحيدة في المنزل مُسيءٌ لهما، لكنه ظنَّ أنهما سيتدبران أمرهما.

لو شعر أنه سيعرض كورا لخطرٍ فعليًا، لما أقدم على أيٍّ من هذا مقابل أيِّ مبلغٍ نقديٍّ.

عانى الأمرين خلال الأيام القليلة الماضية لعدم قدرته على رؤية طفلته، أو ضمّها إليه، أو تقبيلها على جبينها وشمّ رائحتها، أو الاتصال لتفقدها والاطمئنان عليها، أو معرفة ما الذي يجري من حوله.

قال ماركو لنفسه إن كورا بخير، وإن عليه أن يصمد، فقريبًا ينتهي كل شيء. سيستعيذان كورا بالإضافة إلى النقود. اعتراه ندمٌ لأن الأمر كان صعبًا للغاية على أن بالتحديد، لكنه أخبر نفسه بأنها ستسعد كثيرًا لرؤية كورا، وقد تنضج عاطفيًا بسبب ذلك. كانت الشهور الأخيرة سيئة جدًا بسبب مشكلاته المالية، ولأن زوجته كانت تنفلق على نفسها فابتعدت عنه وضاعت في دوامة نفسية.

كان كل شيء أصعب بكثير من المتوقع. حين لم يتصل به «بروس نيلاند» خلال الساعات الاثنتي عشرة الأولى، فقد ماركو أعصابه.

كانا قد اتفقا على ألا يمر أكثر من ثلاث عشرة ساعة دون تواصل أولي، وحين لم يسمع خبراً من بروس بحلول بعد ظهر السبت، خشي ماركو من أن يكون بروس قد تخاذل، فقد حظيت القضية باهتمام الكثيرين. والأسوأ أن بروس لم يكن يُجيب على هاتفه المحمول الذي اتفقا على أن يتصل به ماركو في حال حدوث طارئ، ولم يملك ماركو طريقة أخرى للتواصل معه. كان ماركو قد سلم طفلة إلى شريك له في المؤامرة، شريك لم يتبع الخطة، ولم يستطع أن يتواصل معه. كاد يجنُّ لكثرة قلقه، بالطبع لن يؤذيها بروس.

فكّر ماركو في الاعتراف بكل شيء للشرطة، وإخبارهم بما يعرفه حول «بروس نيلاند» أملاً بأن يستطيعوا تتبّعه وجلب كورا، لكنه رأى أن الخطر على كورا كان كبيراً، لذا تَأَنَّى مُكرهاً.

وحين وصل رداء الطفلة عبر البريد، شعر براحة هائلة. وفكّر في أنه لا بد من أن بروس خشي الاتصال بالمنزل بحسب الخطة، ولو من خلال الهاتف المحمول غير القابل للتعبُّب. لا بدّ أنه كان قلقاً بشأن الشرطة، لذا وجد طريقة أخرى للتواصل معه.

سينتهي كل شيء بعد يومين. سيأخذ ماركو النقود إلى نقطة الالتقاء، وهو مكان انتقياه معاً مسبقاً، وسيستعيد كورا. وحين ينتهي الأمر، سيَتَّصل بالشرطة، وسيخبرهم بما جرى، وسيعطيهم وصفاً خاطئاً لبروس والسيارة التي يقودها.

لو كان هناك طريقة سريعة غير هذه للحصول على عدّة ملايين، لفعلاها، لكنه لم يستطع إيجادها، ويعلم الله كم حاول.

\*\*\*

أتى والدا آن ومعهما النقود صباح يوم الخميس. رُزم من فئة المئة دولار، خمسة ملايين دولار من الأوراق النقدية الجديدة كلياً. استخدمت البنوك عدة آلاتٍ لعدّها، وعانيا للحصول على مبلغ كهذا نقداً خلال وقت

قصير، كان الأمر صعبًا. حرص ريتشارد على إخبارهما بذلك. شغلت النقود مساحة مُفاجئة من الغرفة، وضَّبتها ريتشارد في ثلاث حقائب رياضية كبيرة.

راقب ماركو زوجته قلقًا. جلسَت آن ووالدتها على الأريكة معًا، احتَمَت آن تحت جناح والدتها الحنون، فبدت صغيرة وهشَّة. أَرادها ماركو أن تكون قوية، احتاج إلى أن تكون قوية.

ذَكَرَ نفسه أنها تعاني ضغطًا شديدًا، أكثر مما يعانيه، إن كان ذلك ممكنًا حتى. يكاد ينهار من كل هذا التوتر، وهو يعرف ما الذي يجري، بينما لا تعرف هي، لا تعرف أنهما سيستعيدان كورا اليوم؛ أملها هو كل ما تملك. وفي المقابل، يعرف هو أن كورا ستعود إلى منزلها خلال الساعتين أو الثلاثة المقبلة. قريبًا ينتهي كل هذا الأسى.

سيودع بروس حصَّة ماركو من النقود في حسابٍ خارجيٍّ كما خَطَّطا، ولن يتواصل أحدهما مع الآخر مجددًا، ولن يكون هناك ما يجمعهما، وسيكون ماركو بأمان. سيستعيد طفلته بالإضافة إلى النقود التي يحتاج إليها.

دفعَت آن يدَ والدتها عنها فجأة ونهضت قائلة:

- أريد أن أذهب معك.

نظر إليها ماركو متفاجئًا. لمعت عيناها وارتعش جسدها بأكمله. طريقتهما الغريبة في النظر إليه جعلته يتساءل لوهلة إن كانت قد اكتشفت ما يجري. هذا مستحيل!

- لا يا آن، سأذهب وحدي. (قال ذلك ثم أضاف بحزم) ناقشنا هذا مسبقًا، لا نستطيع تغيير الخطة الآن.

أَرادها أن تبقى في المنزل. قالت:

- بإمكانني البقاء في السيارة.

عانقها وهمس في أذنها:

- اهدئي، سيكون كل شيء على ما يرام. سأعود ومعك كورا، أعدك.
- لا تستطيع أن تعدني. لا تستطيع!
- صاحت بصوت حاد. نظر إليها ماركو وأليس وريتشارد متفاجئين.
- حضرها حتى هدأت، وللمرة الأولى، تنحى والداها وتركاه يمارس دوره كزوج. أرخى عنقه وقال مثبتاً نظره في عينيها:
- عليّ الذهاب الآن يا آن. سأصل إلى هناك بعد ساعة، وسأكلّمك بواسطة هاتفني المحمول حالما تصبح معي، اتفقنا؟
- كانت أن قد هدأت، فأومأت بالإيجاب، والتوتر يسيطر على ملامحها.
- خرج ريتشارد برفقة ماركو لتحميل النقود في السيارة المركونة في المرآب. أخرجها الحقائب من الباب الخلفي، ووضعها في صندوق السيارة الخاصة بماركو، وأقفلها.
- قال ريتشارد والقلق بادٍ عليه:
- حظاً موفقاً. (وأضاف) لا تسلّم النقود حتى تأخذ كورا؛ إنه نقطة قوتنا الوحيدة.
- أوماً ماركو موافقاً ودخل السيارة. رفع نظره نحو ريتشارد وقال:
- تذكر، لا تتصلوا بالشرطة حتى أتواصل معكم.
- لك ذلك.

لم يطمئن ماركو إلى ريتشارد، وخشي أن يتصل بالشرطة حالماً يذهب. طلب من آن أن تُراقب ريتشارد طوال الوقت. همس في أذنها ألا تدعه يتصل بالشرطة حتى يجلب كورا. حين يتصل بهم عندها، سيكون بروس قد ابتعد، إلا أن ماركو لم يطمئن، فلا تبدو أن بكامل قواها، ولا يمكن الاعتماد عليها. بإمكان ريتشارد الذهاب إلى المطبخ لإجراء



المكالمة بواسطة هاتفه، وقد لا تلاحظ الأمر حتى. أو قد يتصل بالشرطة عند خروجه من المنزل، ففكر ماركو قلقًا. لن تستطيع منعه.

خرج بسيارته من المرآب نحو الممر الخلفي وبدأ طريقه الطويل نحو نقطة اللقاء. كان بالقرب من منحدر الطريق السريع حين خطرت على باله فكرة فشعر كأن ماءً مثلجًا انسكب عليه. لقد تصرف بغباء بالغ.

من المحتمل أن ريتشارد قد أخبر الشرطة بالفعل حول المبادلة، من المحتمل أنهم يراقبون الأمر بأكمله. من المحتمل أن الجميع متورطون في ذلك باستثنائه هو وأن. هل كانت آليس لتسمح بذلك؟ هل كان ريتشارد ليخبرها حتى؟

بدأت يدا ماركو تتعرقان على عجلة القيادة، وتسارعت دقات قلبه بينما حاول أن يفكر. أراد ريتشارد إخبار الشرطة، وقد غلبوه. متى تنازل ريتشارد لأحد في حياته؟ أراد ريتشارد استعادة كورا، لكنه حذر عندما يتعلق الأمر بنقوده. كان ليود الحصول على فرصة لاستعادة نقوده أيضًا. شعر ماركو بالغثيان.

ما الذي كان عليه فعله؟ لم يستطع الاتصال ببروس، فما من طريقة لفعل ذلك بما أنه لا يجيب على هاتفه. لعلّه يقود بروس إلى فخ الآن. التصقت سترة ماركو بظهره بينما اتجه نحو الطريق السريع.



## الفصل الثامن عشر

حاول ماركو تهدئة نفسه وتنفس بعمق وهو يقود السيارة. بإمكانه اغتنام الفرصة والذهاب إلى عملية التبادل بحسب الخطة. لعل ريتشارد لم يخبر الشرطة، حينها ستكون كورا جالسةً داخل المرآب المهجور في السيارة في المقعد المخصص للأطفال، وسيأخذها ويترك المال، ويهرب.

لكن ماذا لو أخبر ريتشارد الشرطة بالفعل؟ ماذا سيحصل؟ بمجرد أن يأخذ ماركو كورا ويترك المال ويهرب، سيظهر بروس للحصول على المال وستقبض الشرطة عليه. وماذا لو تحدث بروس؟ سيُسجن ماركو لفترة طويلة جداً.

كان باستطاعته وضع حد لذلك، كان بإمكانه أن يعود أدراجه وألا يحضر التبادل على الإطلاق، وأن يأمل بأن يرسل له بروس رسالة أخرى عبر البريد الإلكتروني.

ولكن كيف يشرح ذلك للشرطة؟ كيف له ألا يحضر التبادل لاسترجاع طفله المختطفة حسب الخطة؟ من الممكن أن تتعطل سيارته، أو أن يصل إلى هناك بعد فوات الأوان، أو أن يفوته الموعد. وعندها إذا تواصل

معه بروس مرة أخرى، يستطيع ماركو المحاولة من جديد دون إخبار ريتشارد بالتفاصيل. لكن لم يكن هنالك طريقة لجعل ريتشارد يسمح لماركو بالاحتفاظ بكل ذلك المبلغ طيلة ذلك الوقت.

اللعة! لم يستطيع فعل أي شيء دون أن يعلم والد زوجته بذلك، لأن أليس تتركه يُدير شؤون الأموال.

لا، عليه أن يستعيد كورا اليوم. عليه أن يذهب ويأخذها. لا يمكنه أن يسمح لذلك بأن يطول، مهما كلف الأمر.

انقضت نصف ساعة بينما تنازعت الأفكار، كان قد اجتاز نصف الطريق، وصار عليه أن يقرّر.

تفقد الوقت وخرج من الطريق السريع متّخذًا أول مخرج. ركن سيارته عند جانب الطريق مشغلاً أضواءها، وأمسك هاتفه بيديه المرتعشتين واتصل بأن.

أجابت على الفور وسألت بقلق:

- هل استرجعتها؟

أجابها ماركو:

- لا، لم يجن الوقت بعد. أريدك أن تسألني والدك إن كان قد أخبر الشرطة عن الأمر.

أجابت أن:

- يستحيل أن يفعل ذلك.

رد ماركو:

- فلتسألني.

سمع ماركو أصواتًا في الخلفية ومن ثم عادت أن للخط:

- لا لم يخبر أحدًا، لم يخبر الشرطة. لماذا تسأل؟

هل عليه أن يصدّق ريتشارد؟ قال ماركو:

- دعيني أتحدّث مع والدك.

قال ريتشارد عبر الهاتف:

- ما الذي يجري؟

قال ماركو:

- أحتاج إلى أن أثق بك. أريد أن أعرف أنك لم تحذّر الشرطة.

- لم أفعل، قلت لك إنني لن أفعل.

- أخبرني الحقيقة. إذا كانت الشرطة تراقب، فلن أذهب. لا يمكنني المخاطرة بأن يشعر بوجود فخٍّ ويقتل كورا.

- أقسم أنني لم أخبرهم. اذهب وأحضرها فقط بحق الله!

بدا ريتشارد مذعورًا حاله حالُ ماركو. أنهى ماركو الاتّصال وأكمل طريقه.

مشى (ريتشارد درايز) في غرفة معيشة ابنته جيئةً وذهابًا، ودقَّ قلبه بقوةً بين أضلاعه.

ألقي نظرة خاطفة على زوجته وابنته المتعانقتين على الأريكة، ثم أشاح نظره بسرعة مجددًا. شعر بغضبٍ وإحباطٍ شديد تجاه صهره.

لم يحب ريتشارد ماركو قط. والآن -بحق الله- كيف يمكن لماركو التفكير في عدم الذهاب إلى الموعد حتى؟ بإمكانه أن يُفسد كل شيء!

ألقي ريتشارد نظرة قلقة أخرى على زوجته وابنته واستمر في المشي.

تفهّم لماذا قد يعتقد ماركو أنه اتصل بالشرطة. فمنذ البداية، عندما أصر ماركو على عدم إخبار رجال الشرطة، خالفه ريتشارد الرأي، كان

يفضّل إخبارهم عن التبادل، ولكن تم تجاوزه.

لقد أخبرهم بأن خمسة ملايين دولار مبلغٌ كبير، حتى بالنسبة لهم، وأنه غير مقتنع بأن كورا ما تزال على قيد الحياة. لكنه قال أيضًا إنه لن

يخبر الشرطة، ولم يفعل.

لم يتوقع أن يشكّ فيه ماركو في اللحظة الأخيرة ويعرّض كل شيء للخطر، وألا يذهب إلى التبادل.

من الأفضل أن يحضر ماركو التبادل، وألا يفقد أعصابه، فهناك الكثير على المحك.

بعد ثلاثين دقيقة، وصل ماركو إلى المكان المحدد الذي يبعد نصف ساعة خارج المدينة مرورًا بالطريق السريع، وما يقرب ثلاثين دقيقة أخرى في الشمال الغربي على طريق سريع أضيّق، ومن ثم خلال طريق ريفي مقفر.

كانا قد اختارا مزرعة مهجورةً بمرآب قديم في نهاية ممر السيارات الطويل. قاد ماركو السيارة إلى المرآب وركنها أمامه. كان باب المرآب موصدًا.

بدا المكان مهجورًا، ولكن لا بد أن بروس يراقب من مكان قريب. من المفترض أن تكون كورا في المرآب. شعر ماركو بصداق في رأسه، كان الكابوس قد قارب على الانتهاء.

خرج ماركو من السيارة وترك النقود في الصندوق وذهب إلى باب المرآب. أمسك بالمقبض، كان عالقًا لكنه شدّه بقوة. وفُتح الباب مُصدِرًا صوتًا قويًا. كان الداخل مظلمًا وخصوصًا بعد أن اعتادت عيناه ضوء الشمس الساطع في الخارج.

أصغى بتمعّن، لكنه لم يسمع شيئًا؛ لعل كورا نائمة. ثم رأى مقعد الرُّضع على الأرضية الترابية في الزاوية البعيدة وبطانية بيضاء ملفوفة فوق المقبض.

ميّز بطانية كورا، فاندفع إلى مقعد السيارة، ونزل للأسفل وسحب البطانية، لكن المقعد كان فارغًا. وقف مرتعبًا، وتهاوى إلى الخلف.

شعر أنه يختنق. مقعد السيارة هنا، بطانيتها هنا، لكن لم تكن كورا هناك.

هل هذه نكتة سخيفة؟ أم خدعة ما؟ استطاع ماركو سماع نبضات قلبه.

سمع صوتًا خلفه واستدار، لكن ليس بالسرعة الكافية. شعر بألم حاد في رأسه وهوى بشدة على أرضية المرآب.

عندما صحا ماركو بعد بضع دقائق لم يستطع تقديرها، نهض ببطء متكئًا على يديه وركبتيه، ثم وقف على قدميه.

تعتَّر في طريقه إلى الخارج، كان يمشي مترنخًا ومشوش الذهن وكاد رأسه ينفجر من الألم. وجد السيارة مركونة أمام المرآب كما تركها، ووجد صندوقها مفتوحًا.

نظر داخل الصندوق لكنه لم يجد النقود، كانت الخمسة ملايين دولار قد اختفت!

وجد ماركو نفسه دون كورا، مع بطاينتها ومقعد سيارة فارغ. كان هاتفه المحمول على المقعد الأمامي في السيارة، لكنه لم يكن قادرًا على الاتصال بآن. كان عليه أن يتَّصل بالشرطة ولكنه لم يشأ فعل ذلك أيضًا. إنه أحمق. تأوَّه، وسقط على الأرض.

انتظرت آن بنفاد صبر. أبعَدت أمَّها عنها وعصرت يديها بقلق. ما الذي يجري؟ ما الذي يؤخره؟ كان يجب أن يكلمهم ماركو قبل عشرين دقيقة. لا بدَّ أن هناك مشكلة ما.

كان والداها قلقين أيضًا. صاح ريتشارد:

- ماذا يفعل بحقَّ الجحيم؟ إن لم يذهب لإحضارها لأنه يخشى أن أرسل الشرطة، فسأخنقه بيدي.

قالت آن:

- هل نتصل به عبر هاتفه المحمول؟

أجاب ريتشارد:

- لا أعرف. فلنمهله بضع دقائق أخرى.

بعد خمس دقائق، ضاق الجميع ذرعاً. قالت آن:

- سأتصل به. كان من المفترض أن يأخذها قبل نصف ساعة.

ماذا لو حدث مكروه ما؟ كان سيتصل لو استطاع. ماذا لو قتلوه!

شيء فظيع قد حدث!

نهضت والدة آن مندفعَةً وحاولت أن تحتضن ابنتها، لكن آن دفعتها

بعيداً بعنف نوعاً ما قائلةً:

- سأتصل به.

وضغطت رقم ماركو مستخدمةً خاصية الاتصال السريع.

رَنَّ هاتف ماركو مطولاً، ومن ثم تم تحويل المكالمة إلى البريد

الصوتي. كانت آن مصدومة، فلم تستطع فعل شيء سوى التحديق نحو

الأمم.

قالت وجسدها بأكمله يرتجف:

- لا يجيب.

قال ريتشارد جزعاً:

- علينا الاتصال بالشرطة الآن. بغض النظر عما قاله ماركو، من

الممكن أن يكون في خطر.

أخرج هاتفه الخلوي واتَّصل بالمحقق رازباك من قائمة جهات

الاتصال في هاتفه.

ردَّ رازباك عند الرنة الثانية. قال ريتشارد:

- رازباك، معك ريتشارد درايز. لقد ذهب صهري ليعقد صفقة

تبادل مع الخاطفين. كان من المفترض أن يكلمنا منذ نصف

ساعة على الأقل، والآن لا يجيب على هاتفه. نخشى أن يكون هناك

خطبٌ ما.



رد رازباك:

- يا إلهي! لماذا لم تخبرونا بذلك؟ لا يهم. أطلعني على التفاصيل وحسب.

أخبره ريتشارد بسرعة وأعلمه بموقع التبادل. كانوا قد احتفظوا بالملاحظة الأصلية للفقيدة، بينما أخذ ماركو نسخة عنها لإرشاده.  
قال رازباك:

- أنا في طريقي إليكم. في هذه الأثناء، سنرسل رجال شرطة محليين إليه في أسرع وقت ممكن. سننزلُ على اتصال.  
ثم أغلق الخط. قال والد آن مخاطبًا إياها:  
- الشرطة في طريقها إلى هناك. كل ما يمكننا فعله هو الانتظار.  
أجابت آن:

- لن أنتظر، ستأخذنا في سيارتك.

\*\*\*

عندما وصلت سيارات الشرطة، كان ماركو ما يزال جالسًا على الأرض، متكئًا على إحدى العجلات الأمامية لسيارته، ولم يرفع رأسه حتى. لقد انتهى كل شيء الآن؛ كورا ميتة لا محالة. لقد تم خداعه. لم يعد هناك سبب للاحتفاظ بها على قيد الحياة الآن، من يحتفظ بكورا أصبح يملك النقود.

كيف استطاع أن يكون بهذا الغباء؟ ولماذا وثق بـ(بروس نيلاند)؟ لم يستطع أن يتذكر عندها سبب وثوقه به، تمكّن منه الحزن والخوف. لم يعد باستطاعته أن يفعل شيئًا سوى الاعتراف. سكرهه آن. اعتراه أسفٌ حيال كورا، وحيال آن، لما فعله بهما، لما فعله بأكثر شخصين أحببهما في العالم.

لقد كان جشعًا، وأقنع نفسه أنها لم تكن سرقة ما دامت أنها أموال والد آن، فعلى أي حال، كانت آن لتترث كل شيء في نهاية المطاف، لكنهم كانوا بحاجة إلى بعض المال الآن. لم يكن من المفترض أن يتأذى أحد. عندما خطط هو وبروس، لم يخطر على بال ماركو أن خطرًا حقيقيًا قد يحدث إلى كورا. كان من المفترض أن تكون جريمة بلا ضحايا، لكن كورا قد اختفت. ولا يدري ماذا فعل بها بروس أو كيف قد يجدها.

خرج شرطيان يرتديان زيَّهما ببطء من سيارة الشرطة ومشيا إلى المكان الذي هوى فيه ماركو بجانب سيَّارته. سأل أحد الضباط:

- ماركو كونتي؟

- هل أنت وحدك؟

تجاهله ماركو. قرَّب الضابط اللاسلكي إلى فمه، بينما جلس شريكه بجوار ماركو وسأله:

- هل تأذيت؟

لكن ماركو كان يعاني صدمة. لم يقل شيئًا. بدأ واضحًا أنه كان يبكي.

وضع الضابط الذي كان يقف بجانبه اللاسلكي جانبًا، سحب سلاحه، ودخل المرآب متأهبًا للأسوأ.

رأى مقعد سيارة الرضع، والبطانية البيضاء ملقاة على أرضية التراب أمامها، لكن لم يجد طفلًا. عاد للخارج مسرعًا.

ظلَّ ماركو صامتًا.

سرعان ما تجمَّعت سيارات شرطة أخرى بأضوائها الساطعة. وصلت سيارة إسعاف إلى مكان الحادث، وعالج الأطباء ماركو من صدمته.

بعد وقت قصير وصلت سيارة المحقق رازباك من الطريق الطويل. خرج مسرعًا وخاطب الضابط المسؤول قائلاً:

- ماذا حدث؟

- لسنا متأكدين، يأبى أن يتكلم. ولكن هناك مقعد سيارة للرضع في المرآب ولا أثر لطفل. كما وجدنا صندوق السيارة مفتوحًا وفارغًا.

عائِنَ رازباك الموقع وتمتم: «يا إلهي». تبع الضابط الآخر إلى المرآب ورأى مقعد السيارة والبطانية الصغيرة على الأرض. ردة فعله الأولى كانت شعورًا بالغًا بالأسف حيال الرجل الجالس على الأرض في الخارج، سواء كان مذنبًا أم لا. من الواضح أنه توقَّع استعادة طفله. إذا كان هذا الرجل مجرمًا، فهو مبتدئ.

خرج رازباك إلى ضوء الشمس، وجلس القرفصاء، وحاول أن ينظر إلى وجه ماركو، لكن ماركو لم يرفع عينيه.

قال رازباك بإلحاح:

- ماركو، ماذا حدث؟

لكن ماركو لم ينظر إليه حتى عرف رازباك ما حدث على أي حال. بدا أن ماركو خرج من سيارته، ودخل المرآب منتظرًا أن يستعيد الطفلة، ولكن الخاطف، الذي لم يكن لديه أي نية في إعادة الطفلة، ضربه حتى فقد وعيه وأخذ المال تاركًا ماركو وحيدًا غارقًا بحزنه. على الأرجح أن الطفلة قد ماتت.

نهض رازباك، أمسك بهاتفه واتَّصل بآن على مضض:

- أنا آسف، زوجك بخير، لكن الطفلة ليست هنا.

سمع شهقتها، على الجانب الآخر من الخط، تتحول إلى نحيب هستيري. قال لها:

- انتظرينا في المخفر.

لقد كره عمله أحيانًا.



## الفصل التاسع عشر

جلس ماركو في مخفر الشرطة، في غرفة الاستجواب ذاتها التي جلس فيها المرة السابقة. وجلس رازباك قبالته وبجانبه جنينغز، تمامًا كما جلس عندما أدلى ماركو بشهادته قبل بضعة أيام. وكانت كاميرا الفيديو تسجّل أقواله كما في المرة السابقة.

كان الإعلام قد عرف بطريقة ما حول عملية التبادل الفاشلة. وجدوا حشدًا من المراسلين بانتظارهم خارج المخفر عندما أحضرت الشرطة ماركو، وحاصرته الكاميرات والميكروفونات.

تفاجأ ماركو أنهم لم يقيدوه، شعر أنه قد اعترف بكل شيء دون أن يتفوه بحرف. اعتراه شعورٌ هائل بالذنب، فلم يعرف كيف لم يروا أنه مذنب. ظنّ أنهم لم يقيدوه كنوع من اللباقة، أو أنهم لم يجدوا داعيًا لذلك ببساطة.

فبعد كل ما جرى، من الواضح أنه لم تبق بداخله أي نزعة للمقاومة. كان رجلًا مهزومًا، ولم يكن يخطط للهروب. أين له أن يذهب؟ وأينما ذهب، سيرافقه ذنبه وحزنه.

سمحوا له برؤية آن قبل أن يأخذوه إلى غرفة الاستجواب. وصلت هي ووالداها إلى المخفر قبلهم. صُدم بشدة عندما رآها. بدا على وجهها أنها فقدت الأمل كليًا. عندما رآته ألقت ذراعيها حوله وانتحبت وهي على رقبته كأنه كلُّ ما قد تستطيع التعلُّق به، كأنه كل ما تملك الآن. تعانقا وانتحبا معًا، فقد كان كلاهما محطَّمًا، إلا أن أحدهما فقط كان كاذبًا. ثم أخذوه إلى غرفة الاستجواب لأخذ أقواله.

- أنا آسف.

استأنف رازباك الحديث وقد شعر بالأسف بالفعل. رفع ماركو رأسه مرغمًا. أكمل رازباك:

- لقد أرسلنا مقعد السيارة والبطانية لاختبار الطب الشرعي. قد نجد ما يفيدنا في البحث.

ظلَّ ماركو صامتًا، مرتخيًا على كرسيه.

انحنى رازباك للأمام وقال:

- ماركو، لماذا لا تُطلِعنا على ما يجري؟

عندما نظر ماركو إلى المحقق الذي لطالما أزعجه، تلاشت رغبته بالاعتراف. عدَّل جلوسه وقال:

- أحضرت المال، لكنَّ كورا لم تكن هناك. هاجمني شخص ما عندما كنت في المرآب وأخذ المال من صندوق السيارة.

استجواب رازباك له في هذه الغرفة، وشعوره بالتحدي، شحذا عقله، فأصبح تفكيره أوضح مما كان عليه بعد أن ساءت الأمور كثيرًا قبل نحو ساعة، حيث كان الأدرينالين يسري في جسده. وشغلت النجاة تفكيره فجأة. أدرك أن قول الحقيقة سيدمِّره تمامًا، كما سيدمِّر آن التي لن تتمكن من تحمُّل الخيانة.

عليه أن يحافظ على براءته أمامهم، ليس لديهم أي دليل ضده. من الواضح أن الشك يساور رازباك، لكن الشكوك لا تثبت شيئاً. سأله رازباك:

- هل تمكنت من رؤية الرجل الذي ضربك؟

كان ينقر قلمه بخفة على يده كدليل على نفاذ صبرٍ لم يشهده ماركو من قبل.

- لا، ضربني من الخلف. لم أر شيئاً.

- شخص واحد فقط؟

- أظن ذلك. (تردد ماركو ثم قال) لا أدري.

- هل يمكنك إخباري بأي شيء آخر؟ هل قال أي شيء؟

إحباط رازباك منه كان واضحاً.

هزّ ماركو رأسه وقال:

- لا، لا شيء.

دفع رازباك كرسيه بعيداً عن الطاولة، ثم وقف وتجوّل في الغرفة وهو يدلّك الجزء الخلفي من رقبته، كما لو كانت متصلّبة. استدار وواجه ماركو من الطرف الآخر للغرفة.

- يبدو أن سيارة أخرى كانت مركونة بعيداً عن الأنظار، بين

الحشائش خلف المرآب. هل رأيتها أو سمعتها؟

هزّ ماركو رأسه مُشيرًا بالنفي. عاد رازباك إلى الطاولة، ووضع يديه

عليها، ومال نحو الأمام، ونظر في عيني ماركو قائلاً:

- عليّ أن أخبرك يا ماركو، أعتقد أن الطفلة قد ماتت.

أخفض ماركو رأسه، وبدأت دموعه تنهمر.

- وأعتقد أنك مُلام.

رفع ماركو رأسه على الفور وقال:

- لا علاقة لي بما جرى!

اكتفى رازباك بالصمت، وتأنى. سأل ماركو:

- ما الذي يجعلك تعتقد أنني مُلام على أيّ من هذا؟ لقد خسرتُ طفلي.

ثم انتحب باكيًا. لم يضطر إلى التظاهر بالبكاء، فقد كان حزنه حقيقيًا للغاية. أجاب رازباك:

- بسبب التوقيت يا ماركو، لقد تَفَقَّدَتِ الطفلة في الثانية عشرة والنصف. اتفق الجميع على أنك فعلت ذلك.

قال ماركو:

- وإن يكن؟

- لدي آثار إطارات تدلُّ على أن سيارة غريبة كانت موجودة مؤخرًا في مرآبك، كما لدي شاهد رأى سيارة تعبر الممر الخلفي، مبتعدةً عن مرآبك، في الثانية عشرة صباحًا وخمس وثلاثين دقيقة.

سأل ماركو:

- ولماذا تعتقد أن لهذا علاقة بي؟ أنت لا تعرف إن كان لهذه السيارة أي علاقة بخاطف كورا أيًا كان. فقد كان من السهل إخراجها عبر الباب الأمامي عند الساعة الواحدة أيضًا.

إلا أن ماركو أدرك أن تركه للباب الأمامي مواربًا لم يفده بشيء ولم يخدع المحقق.

دفع رازباك نفسه بعيدًا عن الطاولة ووقف محدقًا إلى ماركو من أعلى:

- تم تعطيل كاشف الحركة في الخلف. كنت في المنزل في الثانية عشرة والنصف، ابتعدت سيارةً عن المرآب الخاص بك في الثانية عشرة والخامسة والثلاثين دقيقة مطفئةً مصابيحها الأمامية.



- وماذا في ذلك؟ هل هذا كل ما لديك؟

- ما من دليل مادي على وجود أي دخيل في المنزل أو الفناء الخلفي. لو جاء شخص غريب إلى فنائك الخلفي لأخذها، لكننا وجدنا بعض الآثار، أي أثر. لكننا لم نجد أي أثر، وآثار الأقدام الوحيدة في الفناء الخلفي، يا ماركو، تخصك أنت (انحنى على الطاولة مرة أخرى للتأكيد وأكمل). أعتقد أنك أخرجت الطفلة من المنزل إلى السيارة في المرآب.

اكتفى ماركو بالصمت.

- نعلم أنك تعاني مشكلات في عملك.

- أقرُّ بذلك! هل تعتقد أن هذا سبب كافٍ لاختطاف طفلي؟ (قال ماركو يائسًا).

أجاب المحقق:

- يقوم الناس بالاختطاف لأسباب أقل من ذلك.

قال ماركو وهو يميل نحو الأمام وينظر في عيني رازباك:

- حسنًا، دعني أخبرك شيئًا. أحبُّ ابنتي أكثر من أي شيء في هذا العالم، كما أحب زوجتي، وتهمني سلامتهما للغاية. (جلس على كرسيه وفكَّر مليًا لوهلة قبل أن يضيف) ولديَّ حموان ثريان جدًا ولطالما كانا كريمين معي للغاية، وقد يعطياننا أي مبلغ نحتاج إليه إذا طلبت أن ذلك منهما. فلماذا أختطف طفلي بحق الله؟

راقبه رازباك بعينين متضيقتين وقال:

- سأستجوب حمويك، وزوجتك، وكل شخص قابلته في حياتك.

- افعل ما تشاء، هل لي أن أذهب؟

أجاب ماركو بذلك، كان يعلم أنه لم يتعامل مع الأمر كما يجب، لكنه لم يتحكم بنفسه.

قال المحقق:

- نعم، لك أنت تذهب، فحرّيتك ملكك حتى الآن.

- هل عليّ أن أوكل محامياً؟

ردّ المحقق:

- هذا خيارك.

عاد المحقق رازباك إلى مكتبه ليفكّر. إن كان رازباك قد زيّف عملية اختطاف، فقد تورّط بالتأكيد مع بعض المجرمين الحقيقيين الذين استغلّوه. شعر رازباك بالأسف حياله بعض الشيء، وبالتأكيد شعر بالأسف حيال زوجته المنكوبة. في حال كان ماركو من قام بإعداد ذلك، وتم خداعه، فمن المحتمل أن تكون طفلة قد ماتت الآن، وخسر المال، وتشتبه به الشرطة أنّه الخاطف. من الغريب أنه ما زال متماسكاً!

وقع المحقق في حيرة، فقد كانت معضلة جليسة الأطفال تنغص عليه، بالإضافة إلى السؤال الذي يطرح نفسه؛ لماذا يقوم شخص بإمكانه الحصول على المال بمجرد طلبه، بالمخاطرة بكل شيء وبفعل شيء غبي محفوف بالمخاطر، مثل الاختطاف؟ وهناك تلك المعلومات المربكة عن آن، عن نزوعها للعنف الذي ظهر مؤخراً. كلما تعمّق في هذه القضية، ازدادت تعقيداً. كان رازباك مصمماً على معرفة الحقيقة.

حان وقتُ استجواب والدي آن، وقرّر أن يتحدث مع آن مرة أخرى في الصباح.

أصرّ رازباك على إيجاد الحقيقة التي تقبع في مكان ما دائماً، وكانت مهمّته كشفها.

\*\*\*\*

جلس هو وأن وحيدين في المنزل الفارغ إلا من ظلال خوفهما وحزنهما وأفكارهما المفزعة. كان من الصعب معرفة من منهما أكثر

تأديًا، فلم يعرف أي منهما ما الذي جرى لطفلتها، وكان كلُّ أملهما متعلِّقًا بأنها ما زالت على قيد الحياة، لكنهما لم يجدا ما يمنحهما الأمل. حاول كل منهما التظاهر بالقوة من أجل الآخر. وكان لدى ماركو أسباب أكثر تدعوه للتظاهر.

لم تعرف آن لماذا لم تلم ماركو أكثر مما تفعل. عندما بدأ الأمر، أَلقت اللوم عليه ضمنيًا، لأنه من أقنعها بترك كورا في المنزل بمفردها، لو أنهما اصطحبا الطفلة معهما، لما حدث أيُّ من هذا. عاهدت نفسها أنَّها لن تسامحه أبدًا إذا لم تعد كورا إلى المنزل سالمة.

لكن ها هما الآن، وها هي تتمسِّك به دون أن تعرف السبب. لعلها ما عادت تملك سواه. لم تستطع أن تقرر إن كانت ما تزال تحبُّه حتى، كما أنها لن تسامحه يومًا بخصوص سنثيا. لعلها تتمسك به لأنه الوحيد الذي يستطيع فهم ومشاركة ألمها. أو لأنه يصدِّقها على الأقل، ويعرف أنها لم تقتل طفلتها. حتى والدتها كانت تشكُّ بها حتى وصل لباس الطفلة في البريد. كانت متأكدة من ذلك.

ذهبا إلى الفراش وبقيتا متيقظتين لفترةٍ طويلة، وغرق بعدها ماركو في نوم مضطرب. لكنَّ آن كانت قلقةً للغاية، فلم يراودها النعاس. نهضت من السرير، وتجوَّلت في أرجاء المنزل وتزايد قلقها.

بدأت البحث في المنزل، لكنها لم تعرف عمَّ تبحث، فاستشاطت غضبًا. كانت تتحرك وتفكر بشكل أسرع وأسرع. بحثت عن شيء يثبت جرم زوجها الخائن، وبحثت عن طفلتها، وتشوَّش تفكيرها.

تسارعت أفكارها وأصبحت أقل عقلانية؛ استحوذت عليها أفكارها. وفي حالات كهذه، لا تفقد قدرتها على التفكير المنطقي، بل تصبح الأمور منطقيةً أكثر أحيانًا. وتعيشُ منطقيًا شبيهًا بمنطق الأحلام حيث لا ترى مدى غرابة ولا عقلانية الأمر حتى تستيقظ منه.

لم تجد أي رسائل، أو بريد إلكتروني من سنثيا على حاسوب ماركو المحمول، أو أي ملابس داخلية لامرأة غريبة في المنزل. لم تعثر على أي إيصالات لغرف فندقية أو علب ثقاب مخفية من الحانات. وجدت بعض المعلومات المالية المثيرة للقلق، ولكن هذا لا يعنيه الآن. أرادت أن تعرف ما الذي يدور بين ماركو وسنثيا وما علاقة ذلك باختفاء كورا. هل اختطفت سنثيا كورا؟

كلما قلبت أن الأمر في ذهنها وهي في حالتها الجنونية، ازداد وضوح الأمور. تكره سنثيا الأطفال، وليس من المستبعد أن تؤذي طفلتها، فهي باردة ولم تعد تحب أن، وتريد أن تؤذيها. تريد سنثيا إبعاد زوج أن وطفلتها عنها، ومعرفة ما سيفعله ذاك بها، لمجرد أنها قادرة على فعل ذلك.

في نهاية المطاف، خارت قوى أن لكثرة ما انفعلت، وغفت على الأريكة في غرفة المعيشة.

في الصباح التالي، استيقظت باكراً واغتسلت قبل أن يدرك ماركو أنها أمضت الليل على الأريكة. لبست سروالاً أسود وسترة وهي شاردة ومسكونة بالخوف.

التفكير بالشرطة، وباستجواب رازباك لها مرة أخرى كان يملؤها بالذعر. لم يملك أدنى فكرة عن مكان طفلتهما، ويظن أنهما قد يعرفان. طلب منها في اليوم السابق، بعدما أخذ إفادة ماركو، أن تأتي هذا الصباح، لكنها لا ترغب بالذهاب، ولا تعرف لماذا يريد التحدث معها مرة أخرى. ما الذي سيجنيه من الخوض في نفس الأحاديث مراراً وتكراراً؟ راقبها ماركو من مكانه في السرير بوجه خالٍ من التعابير، وهو متكئ على الوسائد بينما كانت ترتدي ملابسها. سألته:

- هل عليّ الذهاب؟

كانت لتتجنب ذلك لو استطاعت. لم تعرف ما هي حقوقها. هل عليها أن ترفض؟

قال ماركو:

- لا أعتقد أنك مجبرة على فعل ذلك، لا أعرف. ربما حان الوقت للتحديث إلى محامٍ.  
قالت آن قلقة:

- سيبدو ذلك سيئاً، أليس كذلك؟

- لا أعرف، يبدو سيئين دون محامٍ أيضاً.

اقتربت من السرير ونظرت إليه من أعلى. كانت رؤيته هكذا، بهذا البؤس، لتُحطّم قلبها، إلا أنه سبق وتحطّم. قالت:

- ربما عليّ أن أتحدث إلى والدي. يمكنهما توكيل محامٍ جيّد لنا، على الرغم من أن مجرد فكرة حاجتنا إلى محامٍ تبدو محض سخافة.

قال ماركو:

- قد تكون فكرة جيدة. فكما قلتُ لك الليلة الماضية، ما زال رازباك يشكُّ بنا، يظنُّ أننا زيفنا الأمر بأكمله.

سألت آن متضايقة:

- كيف يمكنه أن يظنُّ ذلك بعد ما حدث أمس؟ لم قد يشكُّ بنا؟  
لمجرد وجود سيارة تعبر الممر في نفس الوقت الذي تفقدت فيه كورا؟

- يبدو أن هذا جوهر الأمر.

قررت آن أخيراً:

- سأذهب، يريدني هناك في الساعة العاشرة.

أوماً ماركو متعباً:

- سأتي معك.

قالت آن مترددة:

- لست مضطراً إلى ذلك، يمكنني أن أتصل بأمي.

- بالطبع سأتي؛ لا يمكنك مواجهة تلك الحشود المترقبة في الخارج وحدك.

قال ماركو ذلك وهو ينهض من فراشه.

- دعيني أرتدي ملابسني، وسأرافقك.

راقبته آن وهو يمشي إلى خزانة ملابسه مرتدياً سرواله الداخلي متفاجئة من مدى نحافته، استطاعت رؤية أضلاعه بارزة. كانت ممتنة لأنه سيرافقها إلى المخفر. لم تشأ الاتصال بوالدتها، ولم تعتقد أنها قادرة على فعل ذلك وحدها. كما رأت أنه من المهم أن تخرج على الملأ برفقة ماركو، ليظهرها متّحدين.

وقف المزيد من المراسلين خارج منزلهم مرة أخرى بعد فضيحة اليوم السابق. اضطرا إلى محاربتهم للوصول إلى سيارة أجرة، فسيارة «الأودي» بقيت لدى الشرطة مؤقتاً، ولم يكن معهما ضباط شرطة لمساعدتهم. وصلا أخيراً إلى سيارة الأجرة في الشارع.

بمجرد دخولهما السيارة، أسرعت آن بإقفال الأبواب. شعرت أنها محاصرة من قبل تلك الوجوه الثرثارة المحتشدة حولهم من خلال النوافذ. تراجعت مبتعدة لكنها حدّقت إليهم، بينما شتم ماركو بصوت خافت.

نظرت آن من النافذة بصمتٍ بينما ابتعدا عن الجموع. لا تفهم كيف يمكن للمراسلين أن يكونوا بتلك القسوة. أليس هناك آباء بينهم؟ ألا يستطيعون أن يتخيلوا اللحظة واحدة، ما هو شعور ألا تعرف مكان طفلتك؟ أن تستيقظ ليلاً مفتقداً طفلتك، وتتخيل جسدها الصغير كلما أغمضت جفنيك فتراه جثّة هامدة؟

توجَّها إلى وسط المدينة من خلال الطريق الملاصق للنهر حتى  
وصلا إلى مخفر الشرطة. شعرت آن بتوتر حالما رأت المبنى. أرادت  
أن تهرب لكن ماركو كان بجانبها. أسند يده إلى مرفقها وساعدها على  
الخروج من سيارة الأجرة إلى المخفر.

أثناء انتظارهما، همس ماركو في أذنها:

- كل شيء على ما يرام. قد يحاولون خداعك، لكنك تعلمين أننا لم  
نرتكب أي خطأ. سأكون هنا في انتظارك.

ابتسم لها ابتسامة صغيرة مشجعة فأومأت برأسها. وضع يديه  
بلطف على كتفيها، ونظر في عينيها.

- قد يحاولون قلبنا ضد بعضنا بعضًا يا آن، قد يقولون أشياء سيئة  
عني.

- مثل ماذا؟

هزَّ كتفيه وأشاح بصره وقال:

- لا أعرف. كوني حذرةً وحسب، لا تدعيهم يؤثرون عليك.

أومأت برأسها، لكن ذلك زاد من قلقها ولم يخفف منه.

في تلك اللحظة، اقترب منهما المحقق رازباك الذي لم يكن مبتسمًا،  
وقال:

- شكرًا لقدومك. من هذا الاتجاه من فضلك.

قاد المحقق آن إلى غرفة استجواب مختلفة هذه المرة، إلى تلك التي  
تم استجواب ماركو فيها. تركا ماركو وحيدًا في قاعة الانتظار. توقفت  
آن عند باب الغرفة واستدارت لتتنظر إليه. ابتسم لها مرتبكا، ثم دخلت.





## الفصل العشرون

جلست آن في المقعد الذي قدموه لها. شعرت بارتخاء ركبتيها وهي تجلس. عرض عليها جنينغز القهوة، لكنها أومأت برأسها بالرفض خوفاً من أن تسكبها، فقد كانت أكثر قلقاً هذه المرة من آخر مرة تم استجوابها.

تساءلت لماذا تشتهب الشرطة بها وبماركو. فالحق أن تكون الشرطة أقل شكاً بعد استلامهما للباس الطفلة في البريد، وبعد سرقة النقود. من الواضح أن شخصاً آخر لديه الطفلة.

جلس المحققان قبالتها.

بدأ المحقق رازباك الحديث:

- آسفٌ للغاية بخصوص الأمس.

لم تقل شيئاً. كان فمها جافاً وكانت تشبك يديها في حضنها.

قال رازباك بلطف:

- أرجو أن تسترخي.

أومأت، لكنها لم تستطع الاسترخاء، فهي لا تثق به.

قال لها:

- لدي فقط بعض الأسئلة حول ما حدث بالأمس.

أومأت مرة أخرى ولعقت شفيتها. سأل المحقق بلهجة ودودة:

- لماذا لم تتصلا بنا عندما وصلكما الطرد عبر البريد؟

أجابت أن بصوتٍ مرتجف:

- اعتقدنا أن الأمر كان خطرًا للغاية... (تحنحت ثم أكملت) ذُكر في

الملاحظة أن علينا ألا نخبر الشرطة.

ثم أمسكت بزجاجة المياه التي وُضعت على الطاولة من أجلها.

تخبّطت أصابعها على الغطاء، وارتجفت يدها قليلاً وهي ترفع الزجاجة

إلى شفيتها. سأل رازباك:

- هل هذا ما اعتقدته أو ما اعتقده ماركو؟

- كلانا اعتقد ذلك.

- لماذا عبثت بلباس الطفلة كثيرًا؟ إن أي دليل قد يقدمه ذلك لنا

قد لوث للأسف.

- نعم، أعرف، أنا آسفة. لم أكن أفكر. كان بإمكانني أن أشم رائحة

كورا عليها، لذلك حملتها معي حيثما ذهبت لأشعر بها بقربي.

(بدأت في البكاء) لقد أعادها رداؤها إليّ. استطعت التظاهر بأنها

كانت نائمة في مهدها. وأن شيئاً من هذا لم يحدث.

أوما رازباك برأسه قائلاً:

- أتفهّم ذلك. سنجري كل الاختبارات الممكنة على اللباس والملاحظة.

- تعتقد أنها ماتت، أليس كذلك؟

قالت أن ذلك متخسبةً ناظرةً في عينيه مباشرةً.

بادلها رازباك النظرات:

- لا أعرف. ربّما ما زالت على قيد الحياة. لن نتوقف عن البحث عنها.  
أخذت آن منديلاً من العلبة الموجودة على الطاولة وضغطت به على  
عينها.

قال رازباك متراجعاً إلى الوراء في كرسية:

- كنت أتساءل حول جليسة طفلتكم.

سألت آن متفاجئة:

- جليسة الأطفال؟ لماذا؟ لم تأت قط تلك الليلة.

- أعرف. أشعر بالفضول وحسب. هل هي جليسة جيدة؟

هزّت آن كتفيها غير مدركةٍ مقصده وقالت:

- إنها لطيفة مع كورا. من الواضح أنها تحب الأطفال على عكس

الكثير من الفتيات اللواتي يجالسن الأطفال فقط من أجل المال.

(فكرت بـ «كاترينا» ملياً وأكملت) يمكن الاعتماد عليها عادةً. لا

يمكن إلقاء اللوم عليها لأن جدتها ماتت. على الرغم من أنها لو لم

تمت، لربما لم تُختطف كورا.

- دعيني أطرح هذا السؤال: إذا أراد شخص ما أن يعرف إن كنت

توصين بها كجليسة أطفال، فهل تفعلين؟

عضّت آن شفتها وقالت:

- لا، لا أعتقد ذلك. فكثيراً ما تنام وهي تضع سماعات الأذنين،

وتستمع إلى الموسيقى. وعندما نعود للمنزل، علينا أن نوقظها.

لذا لا، لا أوصي بها.

أوماً رازباك برأسه وسجّل ملاحظة. ثم نظر إلى الأعلى وقال:

- حدثيني عن زوجك.

- ماذا بشأنه؟

- أي نوع من الرجال هو؟

قالت آن بحزم وهي تجلس باستقامة أكثر على كرسيها:

- إنه رجل جيد، محبوبٌ ولطيفٌ وذكيٌ ورصينٌ ويعمل بجد.  
(صمتت ثم قالت مستدركة) إنه أفضل شيء حدث لي على الإطلاق، هو وكورا.

- هل هو معيلٌ جيد؟

- نعم.

- لماذا تقولين ذلك؟

- لأنها الحقيقة. (انتفضت آن).

- ولكن أليست الحقيقة أن والديك هما من أسَّسا عملاً لزوجك؟ وقد أخبرتني بنفسك بأن والديك يدفعان ثمن منزلك.

قالت آن:

- مهلاً، لم يقم والداي بتمويل زوجي كما تقول. لدى ماركو شهادات في علوم الكمبيوتر والأعمال، لقد أسس شركته الخاصة، وكان ناجحاً جداً بمفرده. استثمر والداي في ذلك فقط في وقت لاحق. لقد كان يبلي بلاءً حسناً قبل ذلك. لا يمكنك انتقاد ماركو كرجل أعمال.

حتى عندما كانت تقول هذا، تذكرت أن قليلاً من المعلومات المالية التي صادفتها على حاسوب ماركو في اليوم السابق. لم تتفحصها بتمعنٍ عندها، ولم تسأل ماركو عنها. والآن أصبحت تتساءل فيما إذا كانت قد كذبت على الشرطة للتو.

- هل تعتقدين أن زوجك صادق معك؟

احمرَّت آن خجلاً. ثم تضايقت من أنها تركت نقاط ضعفها واضحة. تأنت في الرد، وقالت:

- نعم، أعتقد أنه صادق معي (تلعثمت وأضافت) معظم الوقت.

- معظمُ الوقت؟ وهل هناك أوقات محدّدة يأخذ فيها الصادقون استراحةً من صدقهم؟
- سأل رازباك عن ذلك، ومال إلى الأمام قليلاً.
- سمعتكما (اعترفتُ أن فجأة) في الليلة التالية للخطف. كنتُ في أعلى السَلَم. سمعتك تتهم ماركو بملاطفة سنثيا، وأنها قالت إن ماركو تودد إليها بينما أنكّر هو ذلك.
- أنا آسف، لم أكن أعلم أنك كنت تستمعين إلينا.
- أنا آسفة أيضًا. أتمنى لو لم أعرف ذلك.
- نظرت إلى يديها في حضنها، ممسكةً بالمنديل الممزّق.
- هل تعتقدين أنه بادر تجاه سنثيا، أم أن العكس هو ما جرى، كما قال ماركو؟
- طوت آن المنديل في يديها وقالت:
- لا أعرف. كلاهما مخطئ. (نظرت للأعلى، وأكملت منفعلةً) لن أغفر لأي منهما يومًا.
- دعينا نعود إلى حديثنا. تقولين إن زوجك معيلٌ جيد. هل يشارك أخبار عمله؟
- مزقت آن المنديل إلى قطع صغيرة، وقالت:
- لم أكن أولي اهتمامًا كثيرًا بالعمل في هذه الأيام؛ لقد كنت كثيرة الانشغال بالطفلة.
- لم يكن يخبرك كيف يسير عمله؟
- ليس مؤخرًا، لا.
- ألا تعتقدين أن هذا غريب بعض الشيء؟
- لا، أبدًا.

قالت آن ذلك بينما كانت تفكر بأن ذلك غريب فعلاً وقالت بصوت ضعيف:

- لقد كنت مشغولة للغاية مع الطفلة.

قال رازباك:

- لا تتطابق آثار الإطارات في مرآبكما مع سيارتكما. استخدم شخصاً ما مرآبكما قبل وقت قصير من الاختطاف. لقد رأيت الطفلة في سريرها عند منتصف الليل، وكان ماركو في المنزل مع الطفلة في الثانية عشرة والنصف. لدينا شاهد رأى سيارة وهي تسير في الممر مبتعدةً عن مرآبكما عند الساعة الثانية عشرة والخامسة والثلاثين دقيقة صباحاً، ولا يوجد دليل على أنّ أي شخص آخر كان داخل المنزل أو الفناء. ربّما في الثانية عشرة والنصف، أخرج ماركو الطفلة إلى شريك ما كان ينتظره في سيارة في المرآب.

صاحت آن:

- هذا كلام سخيف!

تابع رازباك:

- هل لديك أي فكرة حول هوية ذلك الشريك؟

قالت آن:

- أنت مخطئ.

- حقاً؟

- نعم، لم يختطف ماركو كورا.

- دعيني أطلعك على أمر (قال رازباك وهو يميل إلى الأمام) يعاني زوجك مشكلة في عمله، ورطة كبيرة.

شعرت آن بنفسها تزداد شحوباً وقالت:

- حقًا؟

- للأسف.

- بصراحة أيها المحقق، أنا لا أبالى حقًا بشأن مشكلات عمله، لقد اختفت طفلتنا. بماذا قد ينفع المال أيًا منّا الآن؟

- كل ما في الأمر أن...

صمت رازباك كأنه يغيّر رأيه بشأن ما سيقوله، ونظر إلى جنينغز. نقلت أن نظرها متوتّرة بين المحققين:

- ماذا؟!

أجاب رازباك:

- إنني أرى أشياء في زوجك قد لا ترينها.

لم تشأ أن أن تلتقط الطعم. لكن المحقق انتظرها تاركًا الصمت يتراكم. لذا لم يكن بيدها حيلة، وقالت:

- مثل ماذا؟

سألها رازباك:

- ألا تعتقد أنه يخدعك حين يُخفي عنك حقائق حول عمله؟

- لا، ليس إن لم أظهر أي اهتمام. كان يحاول حمايتي غالبًا، لأنني كنت مكتئبة.

لم يقل رازباك شيئًا، واكتفى بالنظر إليها بعينيه الزرقاوين الحادّتين. أصرّت أن:

- ماركو ليس مخادعًا.

- ماذا عن العلاقة بين ماركو والديك؟ بين ماركو والديك؟

- قلت لك إنهم لا يحبّون بعضهما بعضًا، لكنهم يتحمّلان بعضهما من أجلي. ولكن هذا خطأ والدي، فمهما فعل ماركو، لن يكون

جيدًا بما يكفي. ما كان ليختلف الأمر لو أنني تزوّجت أي شخص آخر.

- لماذا تعتقدين ذلك؟

- لا أعرف. هذا طبعهما، يبالغان في حمايتي ويصعب إرضاؤهما. ربما لأنني ابنة وحيدة. (حوّلت المنديل في حضنها إلى فتات. أكملت) على أي حال، أمرُ العمل غير مهمّ. يملك والداي الكثير من المال. يمكنهما دائمًا مساعدتنا إذا احتجنا إلى ذلك.

- هل أنت متأكدة من ذلك؟

- بالطبع، كل ما عليّ فعله هو أن أطلب، لم يرفضًا طلبًا لي يومًا. لقد أحضرا خمسة ملايين دولار حالًا من أجل كورا.

- نعم، لقد فعلا. (صمت المحقق ثم قال) حاولت أن أرى الطبيبة لامزدن، ولكن يبدو أنها مسافرة.

شعرت «أن» بالدم يجفُّ في عروقها، لكنها أجبرت نفسها على الجلوس بشكل مستقيم. كانت تعرف أنه يستحيل أن يكون قد تحدّث مع الطبيبة، حتى بعد عودتها، من المستحيل أن تتحدّث الطبيبة لامزدن للمحقق عنها. قالت أن:

- لن تخبرك بأي شيء عني. لا تستطيع، فهي طبيبتي، وأنت تعرف ذلك، فلماذا تتلاعب بي بهذه الطريقة؟

- أنت على حق. لا يمكنني أن أجعل طبيبتك تخرق سرّيّة العلاقة بين المريض والطبيب.

أرخت أن ظهرها على كرسيها ونظرت إلى المحقق غاضبة. سأل المحقق:

- هل هناك أي شيء توّدين أن تخبريني به أنت؟



- لماذا قد أخبرك عن جلساتي مع طبيبتي النفسية؟ (قالت آن بمرارة) هذا ليس من شأنك اللعين. أعاني اكتئابًا طفيفًا بعد الولادة مثل الكثير من الأمهات الجدد. وهذا لا يعني أنني أذيت طفلتي. كل ما أريده هو استعادتها.

- لا يسعني ألا أفكرُ باحتمال أن يكون ماركو قد أخفى الطفلة للتسترِّ عليك، في حال كنتِ قد قتلتها.

- هذا جنون! كيف تفسر إذا حصولنا على رداء الطفلة في البريد ونقود الفدية التي سُرقت؟

- ربما قام ماركو بتزييف عملية الاختطاف بعد وفاة الطفلة. وربما كان مقعد السيارة الفارغ، والضرب على الرأس جزءًا من العرض المسرحي.

حدّقتُ إليه غير مصدّقة ما يقول وقالت:

- هذا سخيف. لم أقم بإيذاء طفلتي أيها المحقق.

عبث رازباك بقلمه بينما كان يراقبها وقال:

- لقد استجوبتُ والدتك في وقت سابقٍ هذا الصباح.

شعرت أن الغرفة تدور من حولها.



## الفصل الواحد والعشرون

راقب رازباك أن متمعناً، خوفاً من أن تفقد وعيها. انتظرها ريثماً تمسك زجاجة الماء، وتستعيد لونها. كان عاجزاً فيما يتعلّق بالطبيبة النفسية، ووصل إلى طريق مسدود حين لم تقل له والدتها شيئاً، لكن من الواضح أن آن تخشى من أن والدتها باحت بسرّاً. كان رازباك واثقاً من أنه يعرف ما يخيفها. سأل رازباك:

- ماذا تعتقدين أن والدتك قالت لي؟

أجابت أن محتدّة:

- لا أعتقد أنها قالت لك أي شيء، فليس هناك ما يُقال.

تفحصها قليلاً، وفكّر في مدى اختلافها عن والدتها الرصينة المنشغلة بلجانها الاجتماعية، وجمعياتها الخيرية، كانت تفوق ابنتها دهاءً بذهنٍ أكثر صفاءً وأقل عاطفية بالتأكيد. كانت «أليس درايز» قد دخلت إلى غرفة الاستجواب، وابتسمت ابتسامة باردة، وذكرت اسمها، ثم أخبرته أنه ليس لديها ما تقوله له. كان استجواباً قصيراً جداً.

قالت آن:

- لم تخبرني بأنها ستأتي هذا الصباح.

- ألم تفعل؟

سألت آن:

- ماذا قالت؟

- أنت على حق، لم تقل شيئاً. (اعترف رازباك).

ابتسمت آن لأول مرة منذ بدأ الاستجواب، لكنها كانت ابتسامة مريرة.

- على كل حال، لقد تحدّثتُ مع إحدى زميلاتك في المدرسة،  
(جانيس فوغل).

تجمّدت آن كلياً، مثل حيوان في البرية يستشعر اقتراب مفترسٍ.  
ثم وقفت فجأة وقد خدش كرسيتها الأرض من تحتها. قالت لرازباك  
وجنينيغز:

- ليس لدي شي آخر أقوله.

انضمت إلى ماركو في الردهة. لاحظ ماركو انزعاجها، ووضع ذراعه  
حولها لحمايتها. شعرت آن بعيني رازباك تراقبهما وهما يغادران. لم  
تقل شيئاً بينما كانت خارجةً هي وماركو من المركز. حالما وصلا إلى  
الشارع لإيقاف سيارة أجرة، قالت آن:

- أعتقد الوقت قد حان لتوكيل محامٍ.

كان رازباك يضغط عليهما، وكان من الواضح أنه لا يستكين. صار  
من الواضح أنه يعاملهما كمشتبه بهما على الرغم من أنهما ليسا متّهمين  
رسمياً.

قلق ماركو بشأن ما حدث بين آن والمحقق رازباك في الاستجواب،  
فقد لمس الذعر في عينيها حين خرجت. حصل شيء في تلك المقابلة  
أفقدتها أعصابها وجعلها ترغب في توكيل محام في أقرب وقت ممكن.  
حاول معرفة ماهيته، لكنها كانت غامضة ومراوغة. ماذا تُخفي عنه؟ زاد  
ذلك من توتر أعصابه.

عندما وصلا إلى المنزل بعد أن شقّا طريقهما بين المراسلين،  
اقترحت آن دعوةً والديها لمناقشة توكيل محامٍ. قال ماركو:

- لماذا نحتاج إلى والديك؟ يمكننا العثور على محامٍ دون  
مساعدتهما.

قالت آن:

- يتقاضى المحامون الجيدون مبالغ ضخمة.  
هزّ ماركو كتفيه، واتصلت بوالديها.

وصل ريتشارد وأليس بعد فترة وجيزة. وبالطبع كانا قد بحثا مسبقًا  
عن أفضل المحامين الذين يمكن للمال أن يشتريهم.

قال والدها:

- أنا آسف لأن الأمر وصل إلى هذا الحدِّ يا آن.

جلسوا حول طاولة المطبخ، وانحدر ضوءٌ بدايات الظهيرة عبر نافذة  
المطبخ وانعكس على الطاولة الخشبية. صنعت آن إبريقًا من القهوة.  
قالت أليس:

- نحن أيضًا نعتقد أنه من الأفضل توكيل محامٍ. لا يمكنكم الوثوق  
بالشرطة.

نظرت آن إليها.

- لماذا لم تخبريني بأنهم استدعوك للاستجواب هذا الصباح؟

أجابت أليس وهي تمد يدها إلى يد آن وتربت عليها:

- لم تكن هناك حاجة، ولم أكن أريد أن أقلقك. كل ما قلته لهم كان  
اسمي، وأنه ليس لدي ما أقوله. لن أدعهم يضغطون عليّ، لقد  
كنت هناك لمدة خمس دقائق فقط.

قال ريتشارد:

- لقد استجوبوني أنا أيضًا. ولم يحصلوا على أي شيء مني أنا الآخر. (وجّه نظره إلى ماركو وقال) أقصد، ماذا بإمكانني أن أقول لهم؟

شعر ماركو برعشة في جسده، فهو لا يثق بريتشارد. لكن هل سيخونه ويقول أي شيء للشرطة؟  
قال ريتشارد مخاطبًا آن:

- لم يوجهوا إليكما أي تهمة، ولا أعتقد أنهم سيفعلون، لا أرى كيف قد يفعلون ذلك. لكنني أتفق مع والدتك، فإذا كنتم ممثلين من قبل محامي دفاع مرموق، قد يتوقفون عن الضغط عليكم وأخذكما للاستجواب طوال الوقت، ويبدوون في التركيز على من أخذ كورا حقًا.

طوال هذا الاجتماع على طاولة المطبخ، كان ريتشارد أكثر برودًا من المعتاد تجاه ماركو. بالكاد نظر ريتشارد إليه. لاحظوا جميعًا ذلك، وبالأخص ماركو الذي فكّر: كم هو متماسك بشأن خسارة خمسة ملايين دولار. لم يذكرها مرة واحدة. ليس مضطرًا إلى ذلك.

لكنه عرف ما يفكر به ريتشارد: ها قد أخفق صهري عديم الفائدة مرة أخرى. تخيل ماركو ريتشارد جالسًا في صالة النادي الريفي، يشرب الخمر باهظة الثمن، ويخبر أصدقاءه الأغنياء بالقصة التي تتمحور حول فشل صهره، وكيف فقد حفيدته الوحيدة المحبوبة وخمسة ملايين من دولاراته التي حصل عليها بعرق جبينه، كل ذلك بسبب ماركو. والأسوأ من ذلك كان أن ماركو أدرك أنه على حق هذه المرة.

قال ريتشارد:

- في الواقع، لقد سمحنا لأنفسنا بتوكيل محام، اعتبارًا من صباح اليوم.

سألت آن:

- مَنْ؟

- أوبري ويست.

رفع ماركو نظره للأعلى غير راضٍ وقال:

- حقًا؟

قال ريتشارد محتدًا:

- إنه أحد أفضل المحامين الجنائيين في البلاد. ونحن من سيدفع، هل لديك مشكلة في ذلك؟

نظرت آن إلى ماركو، متوسِّلةً إليه بصمتٍ ليوافق ويقبل الهدية. قال ماركو:  
- ربما.

سألت آن:

- ما الخطأ في توكيل أفضل محامٍ يمكننا الحصول عليه؟ لا تقلق بشأن المال يا ماركو.

قال ماركو:

- لستُ قلقًا بشأن النفقات. يبدو ذلك مبالغًا به بالنسبة لي، وكأننا مذنبان وبجاجةٍ إلى محامٍ مشهور بحلِّه لقضايا القتل الكبيرة البارزة. ألا يضعنا ذلك في نفس الفئة مع عملائه الآخرين؟ يجعلنا نبدو سيئين؟

ساد الصمت حول الطاولة بينما كانوا يفكرون في ذلك. بدت آن قلقة. لم تفكر في الأمر بهذه الطريقة. جادل ريتشارد:

- إنه يبرِّئ الكثير من المذنبين، وإن يكن؟ هذه وظيفته.

- ماذا تقصد بذلك؟ (قال ماركو ذلك متوعِّدًا بعض الشيء).

بدا الغثيان على آن. قال ماركو مهددًا نوعًا ما:

- هل تعتقد أننا مذنبان؟

قال ريتشارد محمراً:

- لا تكن سخيًّا، أنا فقط أتصرّف بشكلٍ عملي. يمكنكم الاستفادة من أفضل محامٍ بإمكانكم الحصول عليه، فالشرطة لا تساعدكم. قالت أليس، وهي تنظر إلى زوجها بدلاً عن النظر إلى أي منهما:

- بالطبع لا نعتقد أن لديكما أي علاقة باختفاء كورا. لكنكما تتعرضان للإهانة في الصحافة. قد يتمكن هذا المحامي من وضع حد لذلك. وأعتقد أنكم تتعرضان للاضطهاد من قبل الشرطة، التي لم توجّه لكما الاتهامات ومع ذلك تستمر في جلبكما تحت قناع الاستجواب الطوعي. يجب أن يتوقف ذلك. إنها مضايقة.

أضاف ريتشارد:

- ليس لدى الشرطة أي دليلٍ ضدكم، لذلك فربما سيبدؤون بالتراجع. لكنه سيساندكم إن احتجتما إلى ذلك.

نظرت أن إلى ماركو وقالت:

- أعتقد أن علينا قبول خدماته.

قال ماركو:

- حسنًا، مهما يكن.

\*\*\*\*

تجادل كلُّ من سنثيا وغراهام لأيام. انقضى أسبوع على الأمسية المشؤومة، وما زال يتجادلان. أراد غراهام ألا يفعل شيئًا، ويتظاهرا بأن الفيديو غير موجود، أو الأفضل من ذلك، أن يقوما بالتخلُّص منه بعدّه التصرُّف الأكثر أمانًا. لكنه كان محتارًا، لأنه يعرف أن التصرُّف الصحيح هو أخذ الفيديو إلى الشرطة. لكنّه من غير القانوني تصوير الأشخاص الذين يمارسون الحب دون علمهم، وهذا ما كانا يفعلانه. يعرض تسجيل الفيديو سنثيا في حضان ماركو وهما يتلاطفان. إذا تم توجيه التُّهم إلى



غراهام وسنتيا، فسيتسبب ذلك بتخريب حياته المهنية كمراقب مالي يعمل لدى شركة كبيرة ومحافظة جدًا. إذا فُضح هذا، فستنتهي حياته المهنية. لم تبال سنتيا بفعل الصواب، ما كان يهمها حقًا هو أن الفيديو يُظهر ماركو وهو يدخل منزله في تمام الساعة الثانية عشرة والواحدة والثلاثين دقيقة صباحًا ليلة الاختطاف، ويخرج من الباب الخلفي لمنزله في الساعة الثانية عشرة والثالثة والثلاثين دقيقة صباحًا، حاملًا الطفلة بين ذراعيه إلى المرآب. بقي في المرآب لمدة دقيقة تقريبًا، ثم عاد إلى مرأى الكاميرا، ومن ثمَّ إلى فناء منزل عائلة (ستلويل). بعد ذلك بوقت قصير، بدأت الملاطفة بين الاثنين.

تملك غراهام الذعر من فكرة أن الرجل قد اختطف طفله، لكنه كان مترددًا ومشتتًا. أراد أن يفعل الشيء الصحيح دون الوقوع في المشكلات. وكان الأوان قد فات على التواصل مع الشرطة، فسيسألون لماذا تأخروا في ذلك. سيقع هو وسنتيا في مشكلة أكبر من مجرد استخدام كاميرا خفية لتصوير مشاهد محرمة سرًا، إذ صار من الممكن اتهامهما بإخفاء الأدلة في عملية اختطاف، أو إعاقة القانون، أو شيء من هذا القبيل. لذا أراد غراهام أن يدَّعي أن الفيديو غير موجود، وأن يدمِّره.

كان لدى سنتيا أسبابها الخاصة التي تمنعها من تسليم الفيديو إلى الشرطة، إذ كانت تملك إثباتًا يُدين ماركو، ولا بد أن ذلك قيم.

قررت إخبار ماركو بشأن الفيديو، وكانت واثقة من أنه سيدفع لها الكثير لقاءه، ولم تجد داعيًا لإخبار غراهام. كان تصرُّفها قاسيًا، لكن أي نوع من الرجال يخطف ابنته؟ يستحق ذلك.



## الفصل الثاني والعشرون

جلس ماركو وأن على طاولة المطبخ في محاولةٍ لتناول الإفطار. بالكاد لمسا الخبز المحمّص. عاشا على القهوة واليأس بشكل أساسي. قرأ ماركو الصحيفة بصمت، بينما حدّقت آن من النافذة إلى الفناء الخلفي، دون أن ترى شيئاً. تمرُّ أيام لا تطيق فيها النظر إلى الصحيفة، وتسأله كيف يمكنه قراءتها. وفي أيام أخرى، تقلّبها من الصفحة الأولى إلى الأخيرة بحثاً عن أي أخبار حول الاختطاف. لكنها في النهاية تقرأ كل شيء. لم تستطع منع نفسها وكان الأمر أشبه بهوس.

كان من الغريب بالنسبة لأن أن تقرأ عن نفسها في الصحيفة.

هلع ماركو بشكل مفاجئ؛ سألت آن:

- ما الأمر؟

لم يجبها، فقدت الاهتمام بالأمر. كان هذا أحد الأيام التي تكره فيها الصحيفة. لم تشأ أن تعرف. نهضت، وألقت بقهوتها الباردة في الحوض. حبس ماركو أنفاسه بينما كان يقرأ. لم تكن القصة حول الاختطاف، لكنها كانت متعلّقة به. كان الشخص الوحيد الذي يعرف أنها متعلّقة

بالاختطاف. وجلس يفكر مهتاجًا، محاولاً معرفة ما يجب فعله حيال الأمر.

نظر إلى الصورة في الورقة. كان هو دون شك.

تم العثور على شريكه (بروس نيلاند) ميتًا، مقتولًا بوحشية، في كوخٍ في جبال «كاتسكيلز». لم تتضمن القصة الكثير من التفاصيل، ولكن كان هناك شك بحصول سطوٍ عنيف. كان الرجل قد ضرب بقوة على رأسه. لولا صورة الرجل المقتول، لما لاحظ ماركو المقال الموجز بأكمله، والمعلومات القيمة التي يتضمنها. قالت الصحيفة إن اسمه في الواقع (ديريك هونيغ).

تسارع قلب ماركو وهو يحاول تجميع أفكاره. لقد مات بروس (لم يكن اسمه الحقيقي بروس حتى). لم توضح المقالة التوقيت المحتمل لوفاته، قد يفسر ذلك لماذا لم يتصل بروس عندما كان من المفترض أن يفعل ذلك، ولماذا لم يرد على هاتفه النقال. لكن من قتله؟ وأين كورا؟ أدرك ماركو مذعورًا أن من قتله قد أخذ كورا، وأخذ النقود كذلك. كان عليه أن يخبر الشرطة. لكن كيف يخبرهم دون الكشف عن دوره الفظيع في ذلك؟

بدأ يتعرق. نظر إلى زوجته، وقف خلفها إلى جانب حوض المطبخ. كان هناك حزن لا يوصف في انحناءة كتفها.

عليه أن يذهب إلى الشرطة. أم أنه يفكر بحماقة؟ ما احتمال أن تكون كورا ما تزال على قيد الحياة؟ فالأوغاد حصلوا على النقود. لا بد أنهم قتلوها بحلول هذا الوقت.

قد يطلبون المزيد من النقود. إذا كانت هناك أدنى فرصة أنها ما تزال على قيد الحياة، فعليه أن يخبر رازباك بذلك. ولكن كيف؟ كيف يمكنه أن يفعل ذلك دون أن يجرّم نفسه؟ حاول التفكير في الأمر. بروس كان الوحيد الذي عرف بالأمر وهو ميت الآن ولا يستطيع أن يخبر أي شخص

بأي شيء. إذا وجدوا قاتل أو قتلة بروس، حتى لو أخبرهم بروس بأن ماركو كان شريكاً، فهذا ليس دليلاً، ستكون إشاعات. لا يوجد دليل على أن ماركو أخرج طفله من مهدها وسلّمها إلى بروس في المرآب.

لعله من الجيد أن بروس قد مات.

كان عليه أن يخبر رازياك، ولكن كيف؟ بينما حدّق إلى صورة القتل، خطر له أن يخبر المحقق بأنه رأى هذه الصورة في الجريدة وتعرف على الرجل، رآه يتسكع خارج المنزل، وأنه نسي الأمر حتى رأى الصورة. قد لا يصدقونه، ولكن هذا كل ما أمكنه التفكير فيه.

كان متأكداً تماماً أنه لم يُشاهد مع بروس من قبل. لا يعتقد أنه بإمكان أي شخص الربط بينهما.

لن يستطيع التعايش مع ذاته إذا لم يفعل كل ما هو ممكن للعثور على كورا.

توجّب عليه أن يخبر آن أولاً. فكّر لمدة دقيقة أخرى، تردد، ثم قال:

- آن.

- ماذا؟

- انظري هنا.

اقتربت ووقفت فوق كتفه ونظرت إلى الورقة حيث أشار بإصبعه. تأملت الصورة وقالت:

- ما الأمر؟

- هل تعرّفتِ عليه؟

نظرت مجدداً وقالت:

- لا أظن ذلك. من هذا؟

قال ماركو:

- أنا متأكد من أنني رأيت في الجوار.

- أين رأيته؟

- لست متأكدًا، لكنه يبدو مألوفًا. أعلم أنني رأيته مؤخرًا في حينًا، قريبًا من منزلنا.

نظرت أن من كُتب وقالت:

- مهلاً، أظنني رأيته مسبقًا بالفعل، لكنني لا أعرف أين.  
هذا أفضل، (فكر ماركو).

قبل الذهاب إلى المخفر، بحث ماركو عن مزيد من المعلومات حول مقتل «ديريك هونيغ» على حاسوبه المحمول، فنُش في صحف متنوعة عبر الإنترنت. لم يشأ أن تصادفه أي مفاجآت.

لم يكن هناك الكثير من المعلومات، فلم تجذب القضية الكثير من الاهتمام. تقول الصحف إن (ديريك هونيغ) أخذ إجازة من العمل قبل وفاته ليبقى في كوخه. وجدته المرأة التي تنظف الكوخ مرة في الشهر. عاش وحيدًا، مطلقًا، بلا أولاد. شعر ماركو برعشة عند قراءة هذا التفصيل، إذ أخبره الرجل الذي عرفه باسم بروس أن لديه ثلاثة أطفال، وأنه يعرف كيف يعتني بطفلة رضية، وقد صدقه ماركو. لم يصدق ما فعله، لقد سلم طفله إلى شخص اتضح أنه غريب تمامًا، واثقًا أنه سيعتني بها. كيف أمكنه فعل ذلك؟

ظهر آن وماركو في مخفر الشرطة دون سابق إنذار. بعد أن أعادوا سيارة «الأودي» لهما بعد ظهر اليوم السابق. أمسك ماركو بالجريدة في يده وسأل عن المحقق رازباك في مكتب الاستقبال. كان موجودًا على الرغم من أنه كان يوم سبت. سأل ماركو رازباك:

- هل لي بدقيقة من وقتك؟

- بالطبع.

أجاب المحقق وأدخلهما إلى الغرفة التي صارت مألوفة. كان جنينغز خلفه مباشرة، وجلب كرسيًا آخر. جلس الأربعة في مواجهة بعضهم بعضًا.

وضع ماركو الصحيفة على الطاولة أمام رازباك وأشار إلى صورة القتل.

نظر المحقق إلى الصورة، وتصفح المقالة القصيرة. ثم رفع نظره عن الجريدة وقال:

- إذا؟

قال ماركو:

- أعرفه.

كان يعرف أنه يبدو متوترًا، على الرغم من أنه حاول جاهدًا ألا يفعل. نظر إلى عيني المحقق متعمدًا، وقال:

- أظن أنني رأيتك في الجوار خلال الأسبوعين الماضيين قبل اختطاف كورا.

سأل رازباك:

- أين رأيتك؟

- هذه هي المشكلة، (قال ماركو مراوغًا) لست واثقًا، ولكن في اللحظة التي رأيت فيها الصورة، علمت أنني رأيتك مؤخرًا، وأكثر من مرة. أعتقد أنه كان حول منزلنا، في حينًا، في شارعنا.

ثبّت رازباك نظره على ماركو زامًا شفتيه.

قال ماركو وأومأ مشيرًا إلى زوجته:

- أن تعرّفت عليه أيضًا.

حوّل رازباك انتباهه إلى آن. هزّت آن رأسها موافقة وقالت:

- لقد رأيتك من قبل، لكنني لا أعرف أين.

- هل أنتِ متأكدة؟

أومأت برأسها مرة أخرى.

قال رازباك:

- انتظرا هنا لحظة.

وغادر هو وجنينيغز الغرفة.

انتظر ماركو وأن بصمت. لم يودًا التحدث إلى بعضهما بوجود كاميرا الفيديو في الغرفة. كان على ماركو أن يقاوم رجفته بكل قواه العقلية. أراد النهوض والسير في أرجاء الغرفة، ولكنه أجبر نفسه على البقاء في مقعده.

عاد رازباك أخيرًا وقال:

- سأذهب إلى هناك بنفسي اليوم. إذا وجدتُ أي شيء متعلق بقضيتكما، فسأتصل بكما.

سأل ماركو:

- متى نتوقع اتصالاً منك؟

- لا أعرف، سأتواصل معكما حالما أستطيع. (وعدهما رازباك).

لم يكن لدى ماركو وأن ما يفعلانه سوى العودة إلى المنزل والانتظار.

# مكتبة

t.me/t\_pdf



## الفصل الثالث والعشرون

سار ماركو في أرجاء المنزل قلقًا، مما أثار غضب آن. صارا يسبيان التوتر لبعضهما.

قال فجأة:

- سأذهب إلى المكتب. أحتاج إلى أن أشغل تفكيري عمًا يحصل، وأتواصل مع عدد من عملائي، قبل أن أخسرهم جميعًا.
- فكرةٌ جيدة.

وافقته آن، فقد أرادت أن يخرج من المنزل. تمنّت بشدّة أن تتمكن من إجراء محادثة طويلة مع الطبيبة. اتصلت بها لامزدن بعد الرسالة المستعجلة التي تركتها آن على بريدها الصوتي، وعلى الرغم من أن تعاطف ودعم الطبيبة لامزدن كانا صادقين، فإن المحادثة لم تكن كافيةً. وقد حثتها الطبيبة على التحدث إلى الطبيبة الأخرى التي كان تتولّى أمر مرضاها ريثما تعود. لكن آن لم ترغب بالتحدث إلى طبيبة لا تعرفها.

فكرت آن في مواجهة سنثيا. ما عادت تظنُّ أن سنثيا قد اختطفت ابنتها. لكنها أرادت أن تعرف ما الذي يجري بين سنثيا وزوجها.

لعل أن تركّز على معرفة ما يحدث بين زوجها وسنثيا لأنه ليس مؤلماً كالتفكير فيما حدث لطفلتها. عرفت أنّ سنثيا في المنزل، فقد كان بإمكانها سماعها من حين لآخر من الجانب الآخر من جدارهم المشترك. وعرفت أنّ غراهام غير موجود، فقد رأته من نافذة غرفة نومها يدخل سيارة ليموزين سوداء خاصّة بالمطار حاملاً حقائبه في وقت سابقٍ ذلك الصباح. كان يمكنها الذهاب إلى هناك، وتقرّيع سنثيا، وإخبارها بالابتعاد عن زوجها. توقفت عن سيرها وحدقت إلى الجدار المشترك لغرفة المعيشة، محاولةً أن تقرّر ما يجب القيام به. كانت سنثيا على الجانب الآخر من هذا الجدار. لكنّ أن لم تمتلك الجرأة، واستولت عليها خيبتها. أخبرت المحقق بما سمعته، لكنها لم تواجه ماركو حتى الآن بشأن ذلك. ولم يقل لها هو أي شيء بدوره. صار عدم التحدّث حول المشكلات عادةً لديهما، بعد أن اعتادا مشاركة كل شيء، تقريبا كل شيء، ولكن كل شيء تغير منذ حادثة الطفلة.

جعلها اكتئابها تفقد الاهتمام بكل شيء. في البداية، أحضر لها ماركو الأزهار، والشوكولا، وفعل أشياء صغيرة لتحسين مزاجها، ولكن لم ينفع أيّ منها. توقّف عن إخبارها عن يومه، وأحوال عمله، لأنها لم تستطع التحدث عن عملها الذي لم تعد إليه. لم يجدا ما يتحدثان عنه، باستثناء الطفلة. ربما كان ماركو على حق. ربما كان يجب عليها العودة إلى العمل.

عليها أن تتحدث معه، لتجعله يعدها بأنه سيقطع كلّ علاقة بسنثيا، فلا يمكن الوثوق بها. انتهت صداقتهما مع عائلة (ستلويل). إذا واجهت أنّ ماركو بما تعرفه، وأخبرته بما سمعته من أعلى السلم، فسيسوء حاله. وهو بحالٍ سيئة بالفعل. كانت واثقة من أنه سيبتعد عن سنثيا الآن. ليس هناك ما يدعو للقلق بشأن هذا.

إذا تخطوا هذا، فسيتعين عليها التحدث إلى ماركو بشأن سنثيا، كما ستضطر إلى التحدث معه بشأن العمل. سيكون عليهما أن يصبحا أكثر صدقًا مع بعضهما مجددًا.

شعرت أنها بحاجة إلى تنظيف شيء ما، لكن المنزل كان نظيفًا بالفعل. كان من الغريب أنها شعرت بكل تلك الطاقة في منتصف النهار. بينما كانت في السابق تجرُّ نفسها متعبةً طيلة اليوم بوجود كورا. بحلول هذا الوقت، كانت تصلِّي عادةً كي تأخذ كورا قيلولة. انتحبت فجأة.

كان عليها أن تبقي نفسها مشغولة. بدأت من المدخل الأمامي ونظفت الشبكة العتيقة التي تغطي أنبوب مصفاة التهوية. كانت الأجزاء الحديدية مغبرةً ويجب تنظيفها باليد. أحضرت دلوًا من الماء الدافئ وقطعة قماش وجلست على الأرض بجانب الباب الأمامي، وبدأت بتنظيفه، وركّزت بالتفاصيل. جعلها ذلك تهدأ.

بينما جلست هناك، وصل البريد متعاقبًا من خلال فتحة الباب، وسقط على الأرض بجانبها، مما فاجأها. نظرت إلى كومة الأظرف على الأرض وتجمّدت. لا بد أنها المزيد من رسائل الكراهية. لن تتمكن من احتمال ذلك. لكن ماذا لو كان هناك شيء آخر؟ تركت قطعة القماش المبللة، وجففت يديها باستخدام بنطالها الجينز، ونظّمت الكومة. لم يكن هناك شيء يحمل ملصق عنوان مطبوع مثل ذلك الذي كان موجودًا على الحزمة التي احتوت لباس الطفلة الأخضر. لاحظت أنها كانت تحبس أنفاسها، فأطلقت زفيرًا.

لم تفتح أيًا من الرسائل. أرادت أن تتخلّص منها بأكملها، لكن ماركو جعلها تعده بأن تحتفظ بكل شيء. وقد تفحص الرسائل يوميًا، في حال حاول الخاطفون الاتصال مرة أخرى، دون أن يشاركها مضمون الرسائل.

أخذت أن دلوها وقطعة القماش وذهبت إلى الطابق العلوي لتنظف المصافي هناك. بدأت من المكتب في نهاية البهو. عندما سحبت الشبكة الزخرفية الأصلية لتنظفها بسهولة أكبر، رأت شيئاً صغيراً وداكناً داخل أنبوب التهوية. فنظرت من كذب متفاجئة، خوفاً من فأر ميت، أو ربما جرد. لكنه لم يكن جرداً، بل هاتفاً جوالاً!

وضعت أن رأسها بين ركبتيها وركّزت على ألا يُغمى عليها. شعرت بنوبة هلع تتملّكها، وكأن شرايينها تجفُّ من الدم. ورأت بقعاً سوداء أمام عينيها. بعد لحظات قليلة، تبدد شعورها بأنه سيُغمى عليها، ورفعت رأسها. فرأت هاتفاً خلويّاً داخل الأنبوب. أراد جزءٌ منها إعادة الغطاء، والنزول إلى الأسفل والتظاهر بأنها لم تره قط. لكنها مدّت يدها لالتقاطه. كان الهاتف عالقاً إلى طرف أنبوب التهوية. شدّته بقوة، وانفصل في يدها. كان مثبتاً على الطرف الداخلي بشريطٍ فضيٍّ لاصق. حدّقت إلى الهاتف المحمول. لم تره من قبل. لم يكن لماركو، فهي تعرف هاتفه. يحمله معه دائماً. لكنها لا تستطيع أن تخدع نفسها. أخفى شخص ما هذا الهاتف في منزلها ولم تكن هي الفاعلة.

لدى ماركو هاتف محمول سرّي. لماذا؟!

كانت سنثيا أوّل ما فكرت به. هل هما على علاقة فعلاً؟ أم هناك شخص آخر؟ لقد كانت سمينّة وغير سعيدة. ولكنها حتى تلك الليلة مع سنثيا، لم تعتقد قط أنه قد يخونها. لعلّها كانت غافلة تماماً، حمقاء بالمطلق. الزوجة هي آخر من يعلم دائماً، أليس هذا ما يقوله المثل؟

بدا الهاتف جديداً. قامت بتشغيله فأضاء، أبقاه مشحوناً إذًا. إلا أن قفلاً عن طريق نمط واجهها، ولم تملك أدنى فكرة عما هو. لم تعرف كيف تفتح هاتف ماركو المحمول العادي حتى. قامت ببعض المحاولات، ولكنه أقفل بعد محاولات كثيرة.

فكري، قالت لنفسها، لكنها لم تستطع. جلست بخدر ممسكةً  
بالهاتف، متجمدةً في مكانها.

\*\*\*\*

الكثير من الأفكار جالت في بال المحقق رازباك في طريقه إلى  
مسرح الجريمة في «كاتسكلز». ففكر في لقائه مع ماركو و«آن كونتي»  
في وقت سابق من ذلك اليوم.

شك في أن تلك طريقة ماركو في إخباره أن هذا الرجل الميت هو  
شريكه، وأن ماركو يطلب منه مساعدته في استعادة طفله. كلاهما  
يعلم أن ذلك قد يكون متأخرًا قليلًا. عرف ماركو أن رازباك يعتقد أنه  
اختطف كورا وأنه قد تم خداعه. من الواضح أن هذا الرجل الميت كان  
له علاقة بذلك. لا بدّ أنه الرجل الغامض الذي قاد السيارة إلى الممر في  
الساعة الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة صباحًا، وأيّ مكان أفضل  
لإخفاء الطفلة من الكوخ النائي؟

أدرك رازباك أنه لا بد من أن الطفلة كانت على قيد الحياة عندما  
أخذت من منزلها، وإلا لما استعان به ماركو الآن. قام ماركو بمخاطرة  
كبيرة، من الواضح أنه يائس تمامًا. إذا كان ما يعتقد رازباك صحيحًا،  
فذلك يبرئ الوالدة فيما يتعلق بقضايا الصحة العقلية، لا بد أنها لم تقتل  
الطفلة.

استحوذت عليه التخيلات حول ما سيحدثه في مسرح الجريمة.

في هذه الأثناء، بحث جنينغز عن رابط بين ماركو والرجل الميت،  
(ديريك هونيغ)، أملًا في وجود صلة مهمة كانت ضئيلة. لم يعتقد  
رازباك أنهم قد يجدون صلة، وإلا ما كان ماركو ليأتي إليه. لكن (ديريك  
هونيغ) مات، ربما شعر ماركو أنها مخاطرة يمكنه القيام بها، متعلقًا  
بأمله في استعادة طفله.

كان رازباك على ثقة بأن ماركو يحب ابنته، وأنه لم يقصد إيذاءها. كاد يشعر بالشفقة تجاهه، لكنه فكّر في الطفلة التي قد تكون ميتة، وبالأمّ المحطمة فاختمت تعاطفه.

قال للضابط الذي يقود السيارة:

- انعطف هنا.

اتخذوا مخرج الطريق السريع ومروا عبر طريق ترابي منعزل، ووصلوا أخيرًا إلى منعطف. تخبّطت السيارة، ومشوا في منحدرٍ عبر درب متعرج نبتت فيه الأعشاب والشجيرات، يُفضي إلى كوخٍ خشبي بسيط، محاطٍ بشريط مسرح الجريمة الأصفر. كانت هناك سيارة شرطة أخرى بانتظارهم.

توقفت السيارة، وخرجوا منها. ارتاح رازباك لاستعادة قدرته على تمديد ساقيه.

- المحقق رازباك. (قال ذلك مقدّمًا نفسه للشرطي المحلي).

- الضابط (وات)، سيدي. تفضّل من هذا الاتجاه.

تفحص رازباك المكان من حوله بكل تفاصيله. ألقى نظرة إلى ما وراء الكوخ، فرأى بحيرة صغيرة مهجورة. لم يكن ثمة أكواخ أخرى في الجوار. فكر رازباك بأنه مكان مثالي لإخفاء رضية لبضعة أيام.

دخل الكوخ المصمم على طراز السبعينيات، بأرضية مشمعة رديئة في المطبخ، وطاولة فورميكا، وخزائن قديمة. سأل رازباك:

- أين كانت الجثة؟

- هناك.

قال الضابط مُشيرًا برأسه نحو الغرفة الرئيسية. كانت الغرفة مغطاة باللطخات المتوزعة. لم يكن هناك شكٌ حول مكان الجثة، فقد كانت السجادة البيج القذرة القديمة ملطخة بدم طازج.

جلس رازباك القرفصاء لينظر للأسفل وقال:

- سلاح الجريمة؟

- لقد أخذناه إلى المختبر. استخدم المجرفة. ضربه على رأسه بها عدة مرات.

سأل رازباك، ووجّه نظره للشرطي الآخر:

- هل ما يزال الوجه قابلاً للتمييز؟

- تشوّه، لكن يمكن التعرف عليه.

وقف رازباك على قدميه مجدداً، وفكّر في أخذ ماركو إلى المشرحة لإلقاء نظرة، في محاولة لجعله يواجه أفعاله.

سأل رازباك:

- ما الفرضيات الأولى إذا؟

- للوهلة الأولى، نظن أنها سرقة فاشلة، ولكن بيني وبينك، ما من شيء ليُسرق هنا. بالطبع لا نعم إذا كان هناك شيء بالفعل، فهذه بقعة معزولة جداً. قد تكون صفقة مخدرات جرت بشكل سيئ.

- أو اختطاف.

- أو اختطاف. (أضاف الضابط) يبدو الأمر شخصياً بعض الشيء، فالطريقة التي تعرّض بها للضرب بشكل متكرر باستخدام المجرفة... أقصد، كان قد مات من الضربة الأولى غالباً.

- ولا دليل على وجود أي أشياء خاصّة بطفلة؟ مثل حفاضات، أو زجاجات، أو شيء من هذا القبيل؟ (سأل رازباك، متفحّصاً الكوخ بعينه).

- لا، إن كان هناك طفلة، فمن أخذها قد نظّف جيداً.

- ماذا فعل بالقمامة؟

- اكتشفنا أنه أحرق بعضاً منها في الموقد الخشبي هناك، لذلك تفحصناها، وهناك أيضاً حفرة للنار في الخارج. لكن لا يوجد قمامة هنا على الإطلاق، ولم نجد شيئاً في الموقد أو حفرة النار. لذا إما أن الرجل الميت قد ذهب إلى مكب النفايات، أو أن شخصاً ما نظّف المكان. يوجد مكب نفايات على بعد عشرين ميلاً من هنا، ويسجلون أرقام السيارات التي تدخله، ولم يطأه أحد خلال الأسبوع الماضي.

- ليست عملية سطو فاشلة إذاً. لا يأتي أحد بهدف ارتكاب عملية سطو، فيقتل شخصاً، ويتخلص من كل قمامته.

- لا.

- أين سيارته؟

- في المختبر.

- ما هو نوعها؟

- إنها هجينة من نوع «بريوس في بلاك».

وجدتها. (فكر رازباك). خمن أن عجلاتها ستطابق الآثار في مرآب عائلة (كونتي). ومهما نظّف أحد ما المكان، إذا كانت الطفلة هنا لبضعة أيام، فسيجدون أثر حمض نووي. بدأ أنهم قد وصلوا إلى أول اكتشاف مفصلي منذ تم اختطاف كورا.

قد يتوصلون إلى نتيجة أخيراً.



## الفصل الرابع والعشرون

حدّق ماركو من نافذة مكتبه إلى الخارج شارد الذهن. لم يكن هناك أحد سواه، فلم يكن لديه موظفون يعملون في المكتب، ولكونه يوم سبت، فقد ساد الهدوء المبنى بأكمله أيضًا، وكان ممتنًا لذلك.

فكر في لقائه للمحقق رازياك برفقة آن في وقت سابق من ذلك اليوم. رازياك يعرف، إنّه واثقٌ من ذلك. كانت عيناه قادرتين على سبر أغوار ماركو. كان أجدر بماركو أن يقف ويقول ببساطة: هذا هو الرجل الذي تأمرت معه لأخذ كورا لبضعة أيام، والتفاوض على نقود الفدية. ما قد مات الآن. لقد خرجت الأمور عن سيطرتي، وأحتاج إلى مساعدتك.

أصبح لديهما محام، محام مشهور بتبرئة الناس، أشخاص مذنبون بحق. أدرك ماركو عندها أن هذا لصالحه. لن تكون هناك مقابلات أخرى دون حضور المحامي. لم يعد ماركو يهتم بسمعته؛ صار همّه تجنّب الدخول إلى السجن، وإبقاء آن مغيبةً عن الحقيقة.

رَنّ هاتفه المحمول. نظر إلى الشاشة، كانت سنثيا المتصلة. تلك الحقيرة، لماذا قد تتصل؟ تردد في الردّ، محتارًا ما بين الإجابة على اتصالها، أو تركه ينتقل إلى البريد الصوتي، لكنه أجاب أخيرًا.

- نعم؟

أجاب بصوتٍ بارد. لن يغفر لها أبدًا كذبها على الشرطة.

- ماركو.

قالت سنثيا ذلك بغنجٍ، كأن الأيام السابقة لم تمر، وكأن طفلته غير مفقودة، كأن شيئًا لم يحصل. ولكم تمنى أن يكون ذلك حقيقيًا! قال ماركو رغبةً بأن يختصر الحديث:

- ما الأمر؟

قالت سنثيا:

- أريد أن أتكلّم معك بشأن أمرٍ، فلنقل إنه صفقة عمل. هل يمكنك المجيء إلى المنزل؟

- لماذا؟ هل تريد الاعتذار؟

- الاعتذار؟! (بدت متفاجئة).

- لأنك كذبتِ على الشرطة، وأخبرتهم بأنني توددت إليك، بينما يعرف كلانا أنك من بادر تجاهي.

- أعتذر عن ذلك، فقد كذبتُ بالفعل. (قالت بلهجة لعوب).

- ماذا بحق الله؟ تعتذرين؟ هل تدركين مقدار المشكلات التي تسببتِ بها؟

قالت بجدية:

- هل يمكننا مناقشة ذلك؟

- لماذا نحتاج إلى مناقشته؟

أجابت سنثيا:

- سأشرح لك عندما تصل إلى هنا. (وأنهت الاتصال فجأة).

جلس ماركو على مكتبه لمدة خمس دقائق كاملة، يقرع أصابعه على سطحه، محاولاً معرفة ما يجب فعله. وأخيراً نهض، وأغلق الستائر، وغادر مكتبه، وأقفل بابه. شعر بالقلق حيالها، فسئثيا امرأة لا يُستحسن تجاهلها، كان عليه أن يسمع ما ستقوله.

عندما وصل إلى حيّه، أدرك أنه إذا كان سيقابل سنثيا، حتى لو لبضع دقائق وحسب، فمن الأفضل ألا تعرف الشرطة بذلك، كما أراد أن يتجنب المراسلين. لذا كان من الأفضل ألا يركن السيارة أمام منزله. قرر أنه إن ركن سيارته في المرآب، فسيتمكّن من الذهاب إلى سنثيا عبر الباب الخلفي لبضع دقائق، ويعود بعدها إلى المنزل.

ركن سيارته في مرآبه، ثم عبّر بوابة الفناء الخلفي إلى سنثيا وقرع الباب. شعر بأنه مخادع ومذنب، كأنه يخون زوجته. لكنه لم يفعل، أراد فقط أن يسمع ما ستقوله سنثيا، وسيخرج من هناك بعدها. لم تكن لديه أي نيّة بإخفاء الأمر عن زوجته. ألقى نظرة خاطفة على الفناء وهو ينتظر أن تفتح له الباب. كان جالساً هناك حين زحفت إلى حضنه.

فتحت سنثيا الباب، بدت متفاجئة وقالت كأنها تلمّح إلى شيء ما:

- توقعت أن تأتي من الباب الأمامي.

لكنها لم تكن تغازله كعادتها. فلاحظ في الحال أنها لم تكن في مزاج لعوب، ولم يكن كذلك بدوره.

دخل المطبخ وقال:

- ما الأمر؟ عليّ أن أعود إلى المنزل.

قالت سنثيا:

- أظن أنك لن تمانع في إعطائي دقيقتين من وقتك من أجل ما سأقوله. واتكأت على طاولة المطبخ، طاويةً ذراعيها تحت صدرها. سأل ماركو فجأة:

- لماذا كذبتِ على الشرطة؟

قالت سنثيا:

- كانت مجرد كذبة صغيرة.

- لا لم تكن كذلك.

- أحب أن أكذب، كما تفعل أنت.

قال ماركو بغضب:

- ما قصدك؟

- أنت تعيش كذبة، أليس كذلك ماركو؟

ارتعش ماركو مذعورًا. هي لا تعرف، يستحيل أن تكون على معرفة بأي شيء. كيف لها أن تعرف؟

- ماذا تقولين بحق الله؟ (هزُّ رأسه كأنه لا يعرف مقصدها).

رمقته سنثيا بنظرة طويلة وباردة، وقالت:

- يؤسفني أن أخبرك بهذا يا ماركو، لكن لدى غراهام كاميرا خفية في الفناء الخلفي.

اكتفى ماركو بالصمت، لكنه شعر ببرودة تجتاح جسده.

- وكانت تسجّل ما جرى تلك الليلة التي كنتَ فيها هنا، الليلة التي فُقدت فيها طفلتك.

إنها تعرف، (فكّر ماركو) اللعنة. اللعنة. بدأ يتعرّق. نظر إلى وجهها الجميل، الذي بدا له قبيحًا جدًّا عندها. يا لها من حقيرة متلاعبة! لعلها تخادعه. لا بأس في ذلك، يمكنه مخادعتها أيضًا.

- سجّلت الكاميرا ما جرى؟ هل وجدتِ أيّ أثر للخاطف؟ (سأل، وكان تلك كانت أخبارًا جيدة).

- نعم، بالطبع فعلتُ.

عرف ماركو أنه قد قضى عليه، وقد ظهر في تسجيل الفيديو، وجهها باح بذلك.

- أنت الخاطف.

- هراء.

سخر ماركو محاولاً التظاهر بأنه لا يصدق كلمةً مما قالته، لكنه عرف أن محاولاته عقيمة.

- هل تريد أن تراه؟

أجاب:

- نعم. (وراودته رغبة في خنقها).

قالت:

- تعال معي.

واستدارت لتصعد نحو الطابق العلوي. تبعها حتى غرفة نومها. فكر بمدى حماقتها حتى تدعو رجلاً تعرف مسبقاً أنه قادر على الاختطاف، إلى غرفة نومها. لم تبدُ خائفة، بدت مسيطرةً تمامًا، وهذا ما تحبه، السيطرة، والتحكم بحياة الناس. كما تحب أن تشعر بقليل من الإثارة والخطر. كان من الواضح أنها ستبتزُّه، تساءل إن كان سيسمح لها بذلك. كان هناك حاسوب محمول مفتوح على السرير. نقرت على بعض المفاتيح، وبدأ عرض تسجيل فيديو يظهر فيه التاريخ والوقت. رمش ماركو بسرعة بينما كان يشاهد الفيديو.

شاهد نفسه يعبث بالمصباح وهو يدخل البيت. خرج بعد بضعة دقائق حاملاً كورا بين ذراعيه، محاطةً ببطانيتها البيضاء. لم يكن هناك شكُّ بأنه من يظهر في الفيديو، ألقى نظرة خاطفة حوله للتأكد من أن أحدًا لا يراه. كاد يوجّه نظراته نحو الكاميرا على الرغم من أنه لم يعرف بوجودها، ثم مشى بسرعة نحو الباب الخلفي للمرآب، وعاد للظهور بعد ذلك بدقة تقريبًا، وعاد وهو يخطو على العشب دون الطفلة. نسي أن يعيد المصباح إلى مكانه. اعتراه إحساسٌ عارم بالأسى والندم والعار حين رأى كل هذا، بالإضافة إلى الغضب من أنه قد كُشف، من قبلها. ستبلغ الشرطة حول التسجيل، وستبلغ أن. قُضي عليه.

سأل بهدوءٍ فاجأه:

- من شاهد هذا سواك؟

تجاهلت سؤاله وقالت بلهجتها اللعوب المعتادة:

- هل قتلتها؟

تقزز منها، من فضولها المهووس البارد. لم يجيبها. هل أرادها أن تعتقد أنه قادر على القتل؟ طالب بإجابة، ناظرًا إليها بشراسة:

- من سواك؟

- لا أحد. (كذبتُ).

- وغراهام؟

قالت سنثيا:

- لا، لم يره، قلت له إنني تفقدتُ الكاميرا، إلا أن البطارية قد نفدت. لم يشكك في ذلك. لا يعرف أي شيء عن هذا. (وأضافت) أنت تعرف غراهام، ليس فضوليًّا.

- لماذا ترينني إياه إذا؟ لماذا لم تقصدي الشرطة مباشرة؟

- لمَ قد أفعل هذا؟ نحن صديقان، أليس كذلك؟ (ابتسمت بحياءٍ مفتعل).

- كفى هراءً يا سنثيا.

- حسنًا (تلاشت ابتسامتها). إن كنتَ تريدني أن أحتفظ بهذا السر، فسيكون ذلك مكلفًا.

قال ماركو متحكمًا بصوته:

- حسنًا، ثمّة مشكلةٌ صغيرة يا سنثيا، لا أملك أي نقود.

- بالله عليك، لا بد من أنك تملك القليل.

قال ببرود:

- أنا مفلسٌ كليًّا، لماذا تعتقدين أنني اختطفت طفلي؟ لأتسلى؟

لمس الخيبة في وجهها وهي تعيد حساباتها.

- تستطيع رهن منزلك، أليس كذلك؟

- إنه مرهونٌ بالفعل.

- ارهنه أكثر.

يا لها من حقيرة متبلّدة المشاعر! قال:

- لا أستطيع. ليس دون علم أن بالطبع.

- إذن لعل علينا أن نعرض الفيديو على أن أيضًا.

خطا ماركو بشكلٍ مفاجئٍ تجاهها. لم يكن مضطرًا إلى تمثيل دور الرجل اليائس، فقد كان بئسًا بالفعل. كان باستطاعته خنقها حالاً لو أراد، لكنها لم تبدُ خائفةً، بل متحمسة. لمعت عيناها، واستطاع رؤية صدرها يرتفع وينخفض بسرعة وهي تتنفس. لعل الخطر هو كل ما ترغب فيه، ولعلها تريده أن يرميها على السرير الذي يقفان بجانبه. للحظة وجيزة، فكّر بفعل ذلك. هل تتوقف عن ابتزازه عندها؟ لن تفعل غالبًا.

- لن تعرضي هذا الفيديو على أحد.

تأنت في الرد، وحدّقت إلى عينيه، كان وجهها على بعد عدة سنتيمترات وحسب. قالت:

- أفضلُ ألاّ أعرضه على أحد يا ماركو. أودُّ لو يكون سرًّا بيننا. لكن

عليك أن تُجاريني، لا بد أنك قادر على جلب بعض المال.

فكّر ماركو غاضبًا، لا يملك مالاً، ولم يعرف كيف يجلبه. كان عليه

أن يماطل. قال:

- اسمعي، امنحيني بعض الوقت لأجد حلاً. تعرفين كم هي مزرية

حياتي الآن.

- لم تسر الأمور كما خططت، أليس كذلك؟ أخمّن أنك توقّعت أن

تستعيد الطفلة.

أراد ضربها، لكنه منع نفسه. نظرت إليه محاولة تقييم الوضع وقالت:  
- حسنًا. سأمهلك بعض الوقت. لن أعرض الفيديو على أحد، في  
الوقت الحالي.

- كم تريدان؟

- مئتا ألف.

كان المبلغ أقل مما توقع، ظنَّ أنها ستطلب مبلغًا هائلًا يتماشى مع  
شخصيتها المُبالغ بها. لكن إذا دفع لها مرةً، فستطلب المزيد والمزيد،  
كما يفعل كل المبتزِّين، ولا مفرَّ من سطوتهم. لذا لم يكن للمبلغ الذي  
طلبتَه أي قيمة، فحتى لو دفع لها ودمرت الفيديو أمامه، لن يثق يومًا  
بأنه ما من نسخ أخرى. حُكِمَ على حياته بالدمار كيفما التفت.

قالت:

- أعتقد أن هذا عادل.

- أنا ذاهب الآن. ابتعدي عن أن.

- سأفعل. ولكن إذا نفذ صبري، وإذا لم تتواصل معي، فقد أتصل.

دفعها ماركو في طريقه للخروج من غرفة النوم، ونزل السلم، وخرج  
من أبواب المطبخ الزجاجية المنزلة دون النظر للخلف. كان غاضبًا  
لدرجة أنه لم يستطع التفكير بوضوح. تملَّكه الغضب والخوف. يوجد  
دليل. إثبات على أنه قد أخذ الطفلة. غير ذلك كل شيء. ستعلم أن. ومن  
المحتمل أن يدخل السجن لفترة طويلة.

في تلك اللحظة لم ير كيف يمكن أن تسوء الأمور. دخل فناء منزله  
الخلفي عبر البوابة من فناء سنثيا. كانت آن هناك تسقي بعض النباتات.  
تلاقَت نظراتهما.



## الفصل الخامس والعشرون

رأت أن ماركو قادمًا من الفناء الخلفي لسنثيا، وتوسَّعت مُقلتها. جمَّدتها الصدمة أرضًا بينما كانت عبوة الرِّيِّ في يدها. كان ماركو لدى سنثيا. لماذا؟ ثمَّة سبب وحيد، لكنها سألته بكل الأحوال من الطرف الآخر للفناء، بصوت بارد:

- ماذا كنت تفعل هناك؟

باغت الموقف ماركو كليًا، فقد قُبِض عليه متلبِّسًا بفعله، ولم يعرف ماذا يفعل. لم يُتقن الارتجال يومًا، وكادت أن تشعر بالشفقة حياله، لكنها لم تستطع لأنها كرهته في تلك اللحظة. أفلتت عبوة الرِّيِّ من يدها، وركضت متجاوزة إياه، ودخلت إلى المنزل عبر الباب الخلفي.

لحق بها مناديًا بيأس:

- أن! مهلاً!

لكنها لم تتمهَّل، وركضت نحو الطابق العلوي منتحبةً بصوت عالٍ. تبعها مباشرةً متوسلاً إياها لتكلِّمه وتدعه يشرح الأمر، لكنه لم يعرف كيف يشرح ما جرى، كيف قد يبرِّر سبب تسلُّله إلى منزل سنثيا دون أن يبوح بوجود تسجيل فيديو؟

توقَّع أن تدخل آن غرفة نومهما، وترتمي على السرير باكيةً كما تفعل عادةً حين تستاء، ومِرَّات تصفع الباب في وجهه وتقفله، وتخرج في النهاية، مما كان ليمهله وقتًا للتفكير. لكنها لم تندفع نحو غرفتهما لترتمي وتبكي على السرير، ولم تحبسه خارج غرفتهما، بل اتَّجهت عبر البهو نحو المكتب. كان خلفها مباشرةً، ورآها تجثو على ركبتيها أمام أنبوب مصفاة التهوية.

يا للهول. لا، بحق الله.

نزعت الشبكة، ومدَّت يدها نحو الداخل، وانتزعت الهاتف المحمول من جانب المصفاة. شعر بالغثيان. وضعت الهاتف على راحة كفِّها ومدَّت يدها نحوه، والدموع تنهمر من عينيها، وقالت:

- ما هذا يا ماركو؟

تصلَّب ماركو، لم يصدق ما يجري. بات عليه فجأةً أن يقاوم الرغبة بالضحك، فقد بدا الموقف بأكمله فكاهياً، تسجيل الفيديو مع سنثيا، والآن هذا. ما الذي سيقوله لها بحق الله؟ قالت متهمّة:

- كنت تتواصل مع سنثيا بواسطته، أليس كذلك؟

حدَّق بها محتارًا لوهلة، ومنع نفسه من أن يقول، لمانا تظنين أنني قد أحتاج إلى هاتف خلوي للتواصل مع سنثيا وهي في المنزل الملاصق لمنزلنا؟ تردُّده جعلها تفكَّر باحتمال آخر.

- أم أنها امرأة أخرى؟

لم يكن باستطاعة ماركو أن يخبرها الحقيقة، أن الهاتف المحمول الذي تمسكه كان طريقته الوحيدة في التواصل مع شريكه في اختطاف طفليهما، وقد مات ذلك الرجل الآن. أخفى ماركو هاتفًا محمولًا غير قابل للتعقُّب ليتواصل من خلاله مع شريكه في جريمة لا تُغتفر. اعتقدت أن أنه على علاقة غرامية مع سنثيا أو امرأة أخرى. قرر أن يخلق حكاية.

- أنا آسف للغاية. (بدأ تليفقه) ليست سنثيا، أقسم لك.

صرخت ورمته بالهاتف بقوة، فأصابه على جبينه ووقع أرضاً. شعر بألم حاد فوق عينه اليمنى. توسّل إليها قائلاً:

- انتهى الأمر يا آن. لم يعن لي شيئاً. لم يدم سوى عدة أسابيع. (أكمل كذبه) حصل بعد ولادة كورا تماماً، وكنت متعبة للغاية.. كان مجرد خطأ، لم أقصد أن أفعله، لقد حصل وحسب. (نطق بكل عُذر استطاع التفكير به).

حدّقت إلى بعينين متوهّجتين حقداً وتقرّزاً، وانهمرت الدموع على وجهها، ومن أنفها، وكان شعرها متشابكاً وفوضوياً. قالت بمرارة، وبصوتٍ مجروح:

- بإمكانك أن تنام على الأريكة من الآن فصاعداً، ريثما أقرر ماذا أفعل.

دفعته في طريقها للخروج متّجهةً نحو غرفتهما، وصفعت الباب وراءها، وسمعها تُقفله.

التقط ماركو الهاتف عن الأرض ببطء، ولمس جبينه حيث ارتطم به الهاتف، فوجد أصابعه مدماة. قام بتشغيل الهاتف شاردًا، ورسم نمط القفل بحركة تلقائية، وجد سجل مكالماته الموجّهة كلها إلى رقم واحد، وغير مُجاب عليها.

حاول ماركو التركيز على الرغم من خوفه وحيرته. مَنْ قد يعرف أن كورا كانت مع بروس؟ هل أخبر بروس شخصًا ما حول خطتهما؟ شخصًا انقلب عليه؟ لم يرّجّح ذلك. أم أنه لم يتوخ الحذر؟ هل رآه شخصٌ ما برفقة الطفلة وتعرّف عليها؟ لم يرّجّح ذلك أيضًا.

نظر ماركو إلى الهاتف في يده شاردًا، ولدهشته، لاحظ إشعارًا بمكالمة فائتة لم يكن هناك عندما نظر إليه آخر مرة. كان الهاتف صامتًا بالطبع. من قد يتّصل به من هاتف بروس؟ بروس ميّت. ضغط ماركو

خيار إعادة الاتصال وقلبه يخفق بشدّة بين ضلوعه. سمع الهاتف يرنُّ،  
مرةً، مرتين.

ثم سمع صوتًا مألوفًا يقول:

- كنت أتساءل متى ستتصل.

\*\*\*

بكت آن حتى غفت، وحين إستيقظت، كان الظلام قد حلَّ. رقدت في  
سريرها، وأنصتت مترقبةً أصواتًا في المنزل، إلا أنها لم تسمع شيئًا.  
تساءلت أين ماركو. هل تطيق رؤيته حتى؟ هل عليها طرده من المنزل؟  
عانقت وسادتها وقرَّبتها من جسدها وفكَّرت.

سيبدو ان بمظهر سيئ إن طردته الآن. سينقضُّ الإعلام عليهما مثل  
قطيع حيوانات مفترسة، وسيبدو أنهما مذنبان أكثر من أي وقت، فلماذا  
قد ينفصلان إن كانا بريئين؟ قد تعتقلهما الشرطة. هل تبالي بذلك؟

على الرغم من كل شيء، رأت أن ماركو أبٌ جيّد، ويحب كورا، ويتألّم  
مثلها لفقدانها، كانت متأكدة من أنه لا علاقة له باختفائها، على الرغم  
من أقوال الشرطة وأسئلتهم الماكرة وافتراساتهم. لم تستطع تسليمه  
لهم، في الوقت الراهن على الأقل، مع أن التفكير بعلاقته مع امرأة أخرى  
يصيبها بالغثيان. أغمضت عينيها وحاولت تذكر تلك الليلة. حاولت للمرة  
الأولى أن تسترجع ذكرياتها حين كانت في تلك الغرفة، ليلة اختفاء كورا.  
كانت تتجنّب ذلك، لكنها رأت مشاهد تلك الليلة بعين ذاكرتها، كانت آخر  
مرة رأت فيها طفلتها. كانت كورا في مهدها، وساد الظلام في الغرفة.  
استلقت كورا على ظهرها، وأرخت ذراعيها الممتلئتين عاليًا بجانب  
رأسها، وتجمّدت شعرها الأشقر رطبًا عند جبينها بسبب الحرارة، بينما  
دارت مروحة السقف ببطء فوقها. كان الجو خانقًا تلك الليلة على الرغم  
من أن نافذة الغرفة كانت مشرعة. تذكرت أن المشهد، وقفت بجانب  
المهد، وأخفضت نظرها نحو طفلتها، قبضتها الصغيرتان، رجلاها

العاريّتان المطويّتان. كان الجو حارًّا، فلم تغطّها. قاومت الرغبة في مدّ يدها ومسح جبين طفلتها، خوفًا من أن توقظها. أرادت أن تضم كورا بين ذراعيها، وتدفن وجهها عند رقبتها وتنتحب، لكنها منعت نفسها. كانت مهتاجةً المشاعر. غمرتها مشاعرُ الحب والحنان تحديداً، لكنها شعرت باليأس، والعجز، والقصور أيضاً، كما شعرت بالعار.

بينما وقفت بجانب المهد، حاولت ألا تلوم نفسها، لكن كان من الصعب ألا تفعل. شعرت بالذنب لأنها لم تكن أمًّا سعيدة، شعرت أنها محطّمة. إلا أن ابنتها كانت مثالية، طفلتها الغالية الصغيرة. لم يكن ذنبها ما جرى، لم يكن أيًّا من ذلك ذنبها.

أرادت أن تبقى في غرفة كورا وتجلس في كرسي الإرضاع المريح، وتغفو، لكنها خرجت بدلاً من ذلك على أطراف أصابعها من الغرفة، وعادت إلى الأمسية في المنزل المجاور.

لم تستطع تذكّر أي شيء آخر حول زيارتها الأخيرة عند منتصف الليل. لم تهز طفلتها، ولم توقعها أرضاً، ليس يومها على الأقل. لم تحملها حتى. تذكّرت بوضوح أنها لم تحملها ولم تلمسها حين ذهبَت لتفقدّها عند منتصف الليل، فقد خشيت إيقاظها لأنها بكت كثيراً حين أطعمتها عند الحادية عشرة. كانت قد استيقظت بمزاج صعب، فأطعمتها آن، لكنها لم تهدأ بعدها. مشّت حاملاً إياها، وغنّت لها. من المحتمل أن تكون قد صفعتها. نعم، لقد صفعت طفلتها. تقززت من نفسها لكثرة ما شعرت بالعار حين تذكّرت ذلك.

كانت منهكةً ومحبّطة، وغاضبة من تصرفات ماركو وسنثيا في الأمسية. كانت تبكي، ولم تتذكّر أنها أوقعت كورا أو هزّتها، لكنها لم تتذكّر أنها غيرت ملابس طفلتها أيضاً. لماذا لم تستطع أن تتذكر؟ إن لم تتذكّر أنها غيرت ملابسها، فما الذي لا تتذكره أيضاً؟ ماذا فعلت بعد أن صفعتها؟

حين أخبرها عناصر الشرطة بخصوص الرداء الوردِيّ، قالت لهم ما ظنّنت أنه منطقي، أنها غيرت ملابسها، فغالبًا ما كانت تغيّر ملابس كورا بعد أن تطعمها لآخر مرة في اليوم، حين تغيّر حفاضها. افترضت أن هذا ما فعلته عندها، لا بد من أن هذا ما فعلته، لكنها لم تستطع تذكره حقًا.

شعرت برعشة تسري في روحها، بدأت تتساءل إن كانت قد أدت طفلتها بينما كانت تطعمها عند الحادية عشرة. صفعتها، لكنها لم تستطع تذكر شيء بعد ذلك. هل قامت بما هو أسوأ من صفعها؟ هل ارتكبت جريمة؟ هل قتلتها؟ هل وجدها ماركو ميتة عند الثانية عشرة والنصف، فافترض أنها قتلتها، وتسوّت على فعلتها؟ هل اتّصل بشخص ما ليتخلص من جثة كورا؟ هل أراد أن يبقيا لوقت أطول في الأمسية ليُمهل الشخص الآخر وقتًا ليأخذها؟ حاولت أن يائسة أن تتذكّر إن كانت الطفلة تتنفس عند منتصف الليل، لكنها لم تستطع. لم تكن واثقة من شيء، تملّكها ذعرٌ وندم عميقان.

هل تجرؤ على سؤال ماركو؟ هل تريد أن تعرف؟

## الفصل السادس والعشرون

عند سماعه لصوت حماه، انهار ماركو على الأرض. ولدهشته وارتباكه، لم يستطع أن يتكلم.

- ماركو؟

قال مستسلمًا:

- نعم.

- أعرف ما فعلته.

- ما فعلته؟

ردّد ذلك بصوت خالٍ من أي نبرة. كان يحاول أن يفهم ما يجري. لماذا يملك والدُ آن هاتف (ديريك هونيغ)؟ هل وجدته الشرطة في مسرح الجريمة وأعطته إياه؟ هل هذا فخ؟

- خطفتَ طفلتك، من لحمك ودمك، من أجل نقود الفدية، وسرقت مال والدي زوجتك، وكأننا لم نمنحك ما يكفي مسبقًا.

- ما الذي تتحدّث عنه؟

قال ماركو ذلك يائسًا محاولًا أن يكسب الوقت، ويجد طريقة للخروج من الموقف الغريب. قاوم الرغبة لإنهاء المكالمة. كان عليه

أن يُنكر ويُنكر ويُنكر، ما من دليل على أي شيء، لكنه تذكر وجود تسجيل فيديو سنثيا، وهذا الاتصال الهاتفي، ما تداعيات هذا الاتصال الهاتفي؟ إن كانت الشرطة قد وجدت هاتف ديريك، إن كانوا ينصتون، فلمجرد أنه أجاب على الاتصال، أصبح لديهم الدليل الذي يحتاجون إليه على أن ماركو قد تواطأ مع ديريك. من المحتمل أن الشرطة لا تعرف بشأن الهاتف، وتداعيات هذا مخيفة. شعر ماركو بجسده يقشعراً. قال ريتشارد:

- بحق الله يا ماركو، كُن رجلاً لمرة في حياتك.

سأل ماركو:

- كيف حصلت على الهاتف؟

إن لم تجد الشرطة الهاتف وتعطيه لريتشارد بهدف الإيقاع بماركو، فلا بد أن ريتشارد قد أخذه من ديريك. هل قتل ريتشارد (ديريك)؟ قال ماركو محتدًا ويائسًا:

- هل كورا معك أيها السافل؟

- لا، ليس بعد. لكنني سأستعيدها. (أضاف حماه) لم تجعل الأمر سهلاً.

قال ماركو غير مصدق:

- ماذا؟! هل هي على قيد الحياة؟!؟

- أظن ذلك.

شهق ماركو. كورا على قيد الحياة! لا يهم شيء سوى هذا، كل ما يهم هو أن يستعيدا طفلتهما. همس:

- كيف عرفت؟ هل أنت واثق؟

- بقدر ما أستطيع أن أكون واثقًا دون أن أحملها بين ذراعي.

سأل ماركو مجددًا بيأس:

- كيف عرفت؟



- تواصل الخاطفون معنا. عرفوا من الجرائد أننا دفعنا نقود الفدية الأولى، ويريدون المزيد. سندفع أي مبلغ يطلبونه، نحب كورا كما تعرف.

قال ماركو وهو ما زال يحاول فهم ما يجري:

- لم تخبرا أن؟

- من الواضح أننا لم نفعل. نعرف أنها تمرُّ بوقت صعب، لذا من الأفضل ألا نخبرها حتى نتأكد مما سيحصل.

قال ماركو:

- فهمت.

قال ريتشارد بصوت بارد للغاية:

- في الواقع، علينا أن نحمي فتاتينا منك، علينا أن نحمي كورا، وعلينا أن نحمي آن. أنت خطر يا ماركو بكل ألعيبك ومخططاتك. لستُ خطرًا أيها الوغد (قال ماركو ذلك بشراسة). كيف حصلت على هذا الهاتف؟

قال ريتشارد غير مبالي:

- أرسله الخاطفون لنا، بذات الطريقة التي أرسلوا لك فيها الرداء، مُرفقًا بملاحظة عنك. أرادوا غالبًا أن يمنعونا من الاستعانة بالشرطة، لكنني سعيد لأنهم فعلوا ذلك، لأننا نعرف الآن ماذا فعلت، وباستطاعتنا إثبات جُرمك إن أردنا. لكن لن نستعجل هذا، علينا أن نستعيد كورا أولاً. (أخفض صوته مُهددًا وأكمل) الأمور تحت سيطرتي الآن يا ماركو، فلا تجرؤ على إساءة التصرف. لا تخبر الشرطة، ولا تخبر آن، لا أريد منحها أملًا كاذبًا.

- حسنًا.

قال ماركو ذلك وأفكاره تدور. كان ليفعل أي شيء ليستعيد كورا. لم يعرف ماذا يصدّق، لكنه أراد تصديق أنها على قيد الحياة. كان عليه أن يدمّر الهاتف.

- ولا أريدك أن تكلم أليس، فهي لا تريد محادثتك لأنها غاضبة للغاية مما فعلت.

- حسنًا.

- للحديث تنمّة يا ماركو.

قال ريتشارد ذلك وأنهى الاتصال فجأة.

جلس ماركو على الأرض لوقت طويل، وغمره أمل متجدّد، ويأس متجدّد.

\*\*\*\*

نهضت آن من السرير، ومشت بهدوء إلى باب الغرفة، وفتحت قفله، وسحبت الباب. أخرجت رأسها من الغرفة ونظرت إلى البهو، فرأت ضوءًا مُنارًا في المكتب. هل بقي ماركو هناك طيلة الوقت؟ ماذا يفعل؟

اجتازت البهو ببطء، ودفعت باب المكتب وفتحته. كان ماركو جالسًا على الأرض والهاتف المحول في يده. بدا وجهه شاحبًا للغاية، ورأت الأثر الدامي الفظيع الذي خلفه ارتطام الهاتف بجبينه. رفع نظره نحوها حين دخلت، وحدّقا إلى بعضها مطوّلاً دون أن يعرفا ماذا قد يقولان.

قالت أخيرًا:

- هل أنت بخير يا ماركو؟

لمس ماركو الكدمة المدمامة على جبينه، وأدرك أنه يعاني صدامًا شديدًا، وأوماً برأسه قليلاً مشيرًا بالإيجاب.

أراد بشدة لو يستطيع أن يخبرها أن كورا قد تكون على قيد الحياة، وأن الأمل قائم، وأن والدها استلمَ زمام الأمور، والدها الذي لا يخفق في أي شيء، على عكس زوجها الفاشل. أراد أن يخبرها أن كل شيء سيكون على ما يرام. لكن هذا غير صحيح، قد يستعيدون كورا، يدعو

الله أن يفعلوا، لكن والد آن سيحرص على أن يتم القبض على ماركو بتهمة الاختطاف، سيحرص على أن يُسجن. لم يعرف ماركو إن كانت حالة آن العاطفية الهشة تسمح لها بتلقّي طعنة خيانة كهذه. فكّر لوهلة بسخرية القدر في خيبة أمل سنثيا عند معرفتها بتغيّر مجرى الأحداث. قالت آن متوترة:

- قل شيئاً يا ماركو.

- أنا بخير.

همس بذلك، وشعر بجفاف حلقه. تفاجأ من أنها تحدّثه، وتساءل حول سبب تغيّرها تجاهه، فمنذ ساعات معدودة، طلبت منه أن ينام على الأريكة ريثما تقرر ماذا تفعل. خمن أنها ستطرده من المنزل، وها هي تكاد تبدو متأسفة.

دخلت وجلست بجانبه على الأرض. راوده القلق فجأة من أن يتصل والدها على الهاتف مرة أخرى، كيف قد يفسّر ذلك؟ أطفأ الهاتف خفيةً. بدأت آن حديثها:

- عليّ أن أخبرك بأمرٍ يا ماركو.

سأل ماركو:

- ما الأمر يا حبيبتي؟

وأبعد خصلة شعرٍ عن وجهها بيده، ولم تبعد عنه. ذكّرتها لفتته الرقيقة بأيام سعيدة، فدمعت عيناها.

أخفضت بصرها وقالت:

- أريدك أن تقول لي الصدق يا ماركو.

أوماً بالإيجاب دون أن يقول شيئاً، تساءل إن كانت تشكُّ به، تساءل ماذا سيقول إن واجهته بالحقيقة.

- ليلة الخطف، حين ذهبَ لتفقّد كورا لآخر مرة (نظرت إليه، فتوتّر خوفاً مما ستقوله) هل كانت على قيد الحياة؟

قال ماركو غير متوقع هذا:

- بالطبع كانت على قيد الحياة، لم تسألين عن هذا؟ (نظر إليها بوجه يعتريه الخوف عليها).

همست آن:

- لأنني لا أستطيع أن أتذكر، حين رأيتهما عند منتصف الليل، لا أذكر إن كانت تتنفس. هل أنت واثق من أنها كانت تتنفس؟  
- نعم، أنا واثق.

لم يستطع إخبارها أن ثقته نابعة من أنه شعر بقلبيها الصغير ينبض بين يديه حين حملها وأخرجها من المنزل.

- كيف تعرف هذا؟

قالت ذلك وهي تنظر نحوه بتمعن وكأنها تحاول قراءة أفكاره.

- هل تفقدت تنفسها بالفعل؟ أم نظرت إليها فحسب؟  
- رأيت صدرها يتحرك صعودًا وهبوطًا حين كانت في مهدها. (قال ماركو كذبًا).

- هل أنت واثق؟ لا تكذب عليّ؟ (سألت آن ملتاعة).

- لا يا آن، لماذا تسألينني حول هذا؟ لم تظنين أنها لم تكن تتنفس؟ بسبب شيء قاله ذلك المحقق الأحمق؟

أخفضت بصرها نحو صدرها، وقالت:

- لأنني لست واثقة من أنها كانت تتنفس حين رأيتهما عند منتصف الليل. لم أحملها خشية أن أوقظها. لا أذكر إن كانت تتنفس حقًا.

- هل هذا كل ما في الأمر؟

- لا.

صمتت مترددة، ثم رفعت بصرها نحوه وقالت:

- حين كنت معها عند الحادية عشرة، فقدتُ جزءًا من ذاكرتي، لا أذكر ما جرى على الإطلاق.

تعبيرٌ وجهها أثار زعره، وشعر أنها على وشك إخباره بأمر فظيع، أمرٍ لطالما توقَّعه، لكنه لم يستطع أن يحرك ساكنًا.  
همست أن:

- أحيانًا لا أستطيع تذكر ما أفعله، يحصل هذا، أفقد إدراكي، وأفعل أشياء، ثم لا أتذكر فعلها.

قال ماركو بصوت بارد بطريقة غريبة:

- ماذا تقصدين؟

نظرت إليه بعينين متوسلتين:

- ليس الأمر أنني نسيت بسبب النبيذ. لم أخبرك بهذا من قبل، لكنني كنت مريضة في مراهقتي، وظننت أنني تجاوزت ذلك حين التقيت بك.

قال ماركو متفاجئًا:

- أي نوع من الأمراض؟

بدأت تبكي وقالت:

- أفقد إدراكي للحظات، ثم يعود إليّ، ولا أذكر شيئًا.

نظر إليها مصعوقًا وقال:

- ولم تكلفني نفسك عناء إخباري؟

- أنا آسفة! كان عليّ أن أخبرك، ظننت.. (لم تنه جملتها). كذبت على الشرطة بخصوص الرداء. لا أذكر أنني غيرت ملابسها، افترضت أنني فعلت، لكنني لا أذكر أيًا من ذلك. دماغِي يخونني. (بدأت تصاب بالهلع).

- اهدئي يا آن، كانت بخير، أنا متأكد.

- الشرطة يظنون أنني أذيتها، يظنون أنه من المحتمل أنني قتلتها، خنقتها بوسادة أو بيدي، وأنت أخفيت جثتها لتحميني!
- هذه محض سخافة!

قال ماركو ذلك غاضباً من افتراض الشرطة لشيء كهذا، كلهم يعرفون أنه هو المطلوب، فلماذا يصرون على ضغطها حتى تنهار أعصابها؟

سألت آن بعينين ملتاعتين:

- حقاً؟ ضربتها. كنت غاضبة وضربتها.
- ماذا؟ متى؟ متى ضربتها؟
- حين أطعمتها، عند الحادية عشرة. كانت كثيرة البكاء، وأنا... فقدت أعصابي. أحياناً... أفقد السيطرة، وأصفعها حين لا تتوقف عن البكاء. حين تكون أنت في العمل ولا تتوقف عن البكاء.

نظر إليها جزعاً وقال:

- لا يا آن، أنا واثق من أنك لم تفعلي ذلك. تمنى ألا يكون ما تخبره به حقيقياً، كان الأمر مثيراً للقلق، اعترافها بمرضها هذا الذي يجعلها لا تدرك ما تفعله.

- لكنني لست واثقة (قالت آن باكية). لا أذكر! من المحتمل أنني أذيتها. هل تتسّر عليّ يا ماركو؟ أخبرني الحقيقة!

أمسك وجهها بين يديه وثبّتها قائلاً:

- كانت بخير يا آن. كانت تتنفس وكانت على قيد الحياة عند الثانية عشرة والنصف. هذا ليس ذنبك، لست مذنباً في أي من هذا. (حضانها فانحبت باكية).

أنا المذنب، (فكّر).

## الفصل السابع والعشرون

بعد أن غفت آن أخيراً في نوم مضطرب، رقد ماركو مستيقظاً بجانبها لوقت طويل، محاولاً أن يستوعب ما يجري. تمنى لو كان باستطاعته مناقشة كل شيء معها. افترقت طريقتهما في التحدث عن كل شيء، وعن مخططاتهما. وحين نام، راودته أحلام مروّعة، واستيقظ جافلاً في الرابعة صباحاً، خفق قلبه بشدّة، وتعرّق حتى تبللت الأغصية. ما يعرفه كان أن ريتشارد يتفاوض مع الخاطفين، وأنه سيدفع هو وأليس المبلغ اللازم لاستعادة كورا مهما يكن. كان كلُّ أملِ ماركو أن ينجح ريتشارد في القيام بما فشل به هو. هاتف (ديريك) كان لدى ريتشارد، وقد توقع ريتشارد أن يجيبه ماركو. بات ريتشارد وأليس يعرفان أن ماركو تأمر مع ديريك، وأنه خطف طفلته من أجل النقود. ظنَّ ماركو في البداية أن ريتشارد قد قتل ديريك، لكن ذلك بدا سخيلاً الآن، كيف كان من الممكن أن يعرف ريتشارد بشأن ديريك؟ هل باستطاعة ريتشارد أن يقتل رجلاً بضربه على رأسه؟ لم يعتقد ماركو أن ذلك ممكن على الرغم من أنه يمقت ذلك الوغد.

إن كان الخاطفون قد أرسلوا الهاتف إلى ريتشارد، فهذا جيد لأنه يعني أن الشرطة لا تعرف بوجوده (ليس بعد على الأقل). لكن ريتشارد هدده. ماذا قال تحديداً؟ لم يستطع ماركو أن يتذكر. كان عليه أن يكلم ريتشارد ويقنعه بالأخبار الشرطة أو أن بخصوص دور ماركو في عملية الاختطاف. كيف قد يفعل ذلك؟ عليه أن يقنعهما أن لن تحتمل الصدمة، وأن كشف تورط ماركو في اختفاء كورا سيدمرها كلياً.

سيبغضه والدا أن إلى الأبد، لكن على الأقل قد يعود هو وأن وكورا عائلة واحدة مجدداً، وستسعد أن لعودة كورا. باستطاعته أن يبدأ من الصفر ويعمل بجهد ليعيلهما. لعل ريتشارد لا يريد فضحه حقاً. سيحرجه ذلك اجتماعياً، ويشوه سمعته في مجتمع العمل. لعل ريتشارد يريد أن يمتلك سرّاً قذراً يتحكم من خلاله بماركو لما تبقى من حياته. هذا من شيم ريتشارد، بدأ ماركو يتنفس باطمئنان أكثر.

كان عليه التخلص من الهاتف، ماذا لو ضغطت أن خيار إعادة الاتصال وأجاب والدها؟ تذكر أنها ما تزال لا تعرف نمط القفل، ومع ذلك، عليه أن يتخلص منه، فهو يربطه باختفاء كورا. يستحيل أن يدع الشرطة تجده.

مشكلة سنثيا وتسجيل الفيديو كانت ما تزال قائمة، لم يعرف ماذا يفعل بشأن ذلك. ستلتزم الصمت مؤقتاً، ما دام باستطاعته أن يقنعهما أنه سيقدر على توفير النقود التي تريدها.

يا للهول! يا لها من فوضى عارمة!

نهض ماركو في الظلام وتحرك بهدوء في الغرفة المفروشة بالسجاد، حذراً من أن يوقظ زوجته. ارتدى ملابسه مُسرِعاً، الجينز والقميص ذاتهما اللذان ارتداهما في اليوم السابق، ثم اجتاز البهو متجهاً نحو المكتب، وأخذ الهاتف من درج المكتب حيث وضعه الليلة السابقة. قام بتشغيله وتفقدّه للمرة الأخيرة، ولم يجد شيئاً. لم يكن هناك من داعٍ



للاحتفاظ بالهاتف. باستطاعته التحدث مع ريتشارد مباشرة إن أراد ذلك. كان الهاتف الدليل الملموس الوحيد الموجود ضده، بالإضافة إلى تسجيل سنثيا. قرر ألا يتعامل مع المشكلات دفعة واحدة.

أخذ مفاتيح سيَّارته من الوعاء بجانب الباب، وفكَّر في ترك ملاحظة لأن، لكنه ارتأى أنه سيعود إلى المنزل قبل أن تستيقظ، فلم يترك شيئاً. خرج من الباب الخلفي بهدوء، وعبر الفناء الخلفي، واتَّجه نحو المرآب وركب سيَّارته.

كان الطقس بارداً قليلاً قبل الفجر. لم يقرر ماذا سيفعل بشأن الهاتف تحديداً، لكنه وجد نفسه يتجه نحو البحيرة. ساد الظلام، وبينما كان يقود سيَّارته وحيداً على الطريق السريع، فكَّر بسنثيا. يتطلب الابتزاز طباعاً محددة في الشخص ليبترَّ شخصاً آخر. تساءل ما الذي فعلته أيضاً، تساءل إن كان باستطاعته أن يجد مأخذاً عليها بذات خطورة مأخذها عليه ليوافق الأمور. وإن لم يستطع إيجاد مأخذ عليها، فسيلفَّق لها تهمةً. سيحتاج إلى مساعدة في ذلك، تعمَّق في التفكير. لم يكن ناجحاً في عالم الجريمة، وها هو يغوص في وحلها أكثر فأكثر.

تمسَّك بفكرة أنه قادر على استعادة توازن حياته، في حال عادت كورا سالمةً، وفي حال احتفظ ريتشارد بالسِر، وفي حال استطاع إيجاد مأخذ على سنثيا بطريقة ما، ليردعها. يستحيل أن يستطيع إعطاءها النقود والاستمرار في الدفع لها. يستحيل أن يضع نفسه تحت رحمتها. لكن حتى لو استطاع القيام بكل تلك الأمور، فلن ينعم براحة البال يوماً، أدرك ذلك. صار عليه أن يعيش من أجل كورا وأن، وسيحرص على أن يمنحها حياةً هانئة قدر ما يستطيع. يدين لهما بذلك، ولا يهم إن كان سعيداً أم لا، فقد أيَّ حق بالسعادة.

ركن السيارة في مكانه المفضل تحت الشجرة، وفي مواجهة البحيرة، وجلس هناك لعدة دقائق داخل السيارة مسترجعاً ذكرياته حول آخر

مرة جاء فيها إلى هذا المكان. جرت أحداث كثيرة منذ ذلك الحين، فقد كان واثقًا تمامًا من أنه سيستعيد كورا في آخر مرة جاء فيها. لو جرت الأمور كما أمل، لكان استعاد طفلته بحلول هذا الوقت، والنقود، وما كان ليعرف أحد بما جرى. يا لها من فوضى عارمة!

خرج من السيارة أخيرًا، كان الطقس باردًا في الصباح الباكر بجانب البحيرة، وبدأت السماء تشرق. كان الهاتف في جيبه. مشى على شاطئ البحيرة، وقرر أن يقف عند نهاية المرسى، ويرمي الهاتف في البحيرة حيث لن يجده أحد يومًا. وسيتخلص من إحدى مشكلات حياته.

وقف عند نهاية المرسى لبعض الوقت، يغلبه الندم، ثم أخرج الهاتف من جيبه، ومسح عنه بصماته بواسطة طرف سترته، تحسبًا. كان لاعب بيسبول جيدًا في مراهقته. قذف الهاتف بأقصى قوته في البحيرة، وغاص مصدرًا صوتًا قويًا، ومخلفًا دوائر متتالية مما ذكره بأنه اعتاد أن يرمي الحصى في البحيرة حين كان صغيرًا. بدت الذكرى من زمنٍ غابر. شعر ماركو بالراحة لتخلصه من الهاتف، استدار وعاد أدراجه نحو سيارته. بدأ ضوء الشمس ينير المكان، ولمفاجأته، لاحظ وجود سيارة أخرى في الموقف، سيارة لم تكن هناك مسبقًا. لم يعرف كم مضى على وجودها هناك. كيف لم يلحظ أضواءها حين أتت؟ لعلَّ السيارة قد وصلت للتو ولم تكن أضواؤها الأمامية مُنارة.

أخبر نفسه بأن الأمر غير مهم، على الرغم من أن جسده اقتصع خوفًا. لم يهمه أن شخصًا آخر رآه يرمي شيئًا في البحيرة في الصباح الباكر. كان أبعد من أن يتعرّف عليه أحد. لكن سيارته كانت واضحة برقم رخصتها، واعتراه القلق. رأى السيارة الأخرى بشكل أوضح وهو يقترب. كانت سيارة شرطة، سيارة شرطة بلا لوحة. من السهل تمييز سيارات الشرطة عبر شبكاتها الأمامية. شعر ماركو بالغثيان. ما الذي جاء بسيارة شرطة إلى هذا المكان؟! هل كان ملاحقًا؟ هل رآته عناصر

شرطة وهو يرمي غرضاً في البحيرة؟ تعرَّق ماركو على الرغم من البرد، وشعر بطنين في أذنيه. حاول المشي بشكل طبيعي نحو سيارته، مبتعداً قدر الإمكان عن سيارة الشرطة دون أن يبدو أنه يتجنَّبها. بدأ زجاج نافذتها ينزل، يا لها من ورطة!

سأله الضابط مُخرِجاً رأسه من النافذة لينظر جيداً:

- هل كل شيء على ما يرام؟

توقف ماركو وتجمَّد في مكانه. لم يتعرَّف على وجه الضابط، لم يكن رازباك أو أحدًا من رجاله. توقع ماركو لوهلة أن يرى وجه رازباك يخرج من النافذة. قال ماركو:

- نعم، بالطبع. لم أستطع أن أنام.

أوماً الشرطيُّ، ورفع زجاج نافذته، وقاد سيارته مبتعداً.

ركب ماركو سيارته، مرتعشاً، ولم يستطع أن يقود سيارته حتى مضت بضع دقائق.

\*\*\*

لم يتحدث ماركو وأن كثيراً أثناء الفطور. كان شاحباً ومنكمشاً بعد ما جرى عند البحيرة. بينما كانت هي هشة، وافتقدت طفلتها، واستحوذت عليها أفكار بخصوص الليلة السابقة. لم تستطع تصديق ماركو فيما يخص سنثيا. لماذا كان في منزلها البارحة؟ إن كذب بشأن ذلك، فما الذي كذب بشأنه أيضاً؟ لم تستطع الوثوق به، لكنهما توصَّلا إلى هدنة مُربِكة، فقد احتاج أحدهما إلى الآخر، ومن المحتمل أنهما ما يزالان يهتمان بشأن بعضهما، على الرغم من كل شيء.

- عليَّ أن أعود إلى المكتب هذا الصباح.

أخبرها ماركو بذلك بصوت غير متَّزن، وتنحنح. قالت:

- إنه يوم الأحد.

- أعرف، لكن من الأفضل أن أعمل على المشاريع المتراكمة (قال ذلك وتجرع القهوة).

أومات موافقة. ارتأت أن ذلك قد يفيد، فقد بدا متعبًا، وقد يشغل ذلك فكره عمًا يحصل معهما، ولو لفترة قصيرة. شعرت بالغيرة لأنها لم تمتلك رفاهية الانكباب على العمل لتنسى ولو لوهلة. كلُّ ما في المنزل، ذكَّرها بكورا، بفقدانها؛ الكرسي العالي، الجلوس وحيدة في المطبخ، الألعاب البلاستيكية الملونة في السلة في غرفة المعيشة، سجادة اللعب التي اعتادت أن تفرشها لكورا وتضع لها الألعاب المتدلية فوقها، والتي اعتادت أن تحبَّ مدَّ يدها لتحاول التقاطها وهي تضحك وتناغي. حيثما تحرَّكت في المنزل، كانت ترى كورا، ما كان هناك من مفرِّ، ولو مؤقتًا بالنسبة لها.

كان ماركو قلقًا بشأنها، لاحظت ذلك. سألها:

- ماذا ستفعلين في غيابي؟

هزَّت كتفها غير مبالية وقالت:

- لا أعرف.

- لعل عليك أن تتواصلي مع الطبيبة الأخرى التي تغطِّي مكان

الطبيبة لامدزدن، وتحاولي الحصول على موعد في بداية الأسبوع.

قالت آن دون أن تجادله:

- حسنًا.

لكن حين غادر ماركو، لم تتصل بمكتب الطبيبة، بل تجوّلت في أرجاء المنزل وهي تفكرُّ بكورا. تخيَّلتها ميتةً في مكبِّ قمامة، تأكلها الديدان، وتخيَّلتها في قبر ضحل في الغابة تحفره الحيوانات وتنهشها. فكَّرت في قصص قرأتها في الجرائد حول أطفال فُقدوا، ولم تستطع

إخراج الصور المرعبة من رأسها. أصابها هلعٌ وغثيان، وحين نظرت إلى نفسها في المرأة، رأت عينيها متورمتين.

لعله من الأفضل أنها لم تعرف ماذا جرى لطفلتها، لكنها احتاجت إلى أن تعرف، وإلا فستعاني لما تبقي من حياتها بسبب أفكار شنيعة يقلبها عقلها المعذب. لعل موت كورا كان سريعاً، تمتت آن ذلك، لكنها غالباً لن تعرف يوماً على وجه اليقين.

منذ ولدت ابنتها، عرفت مكانها لكل لحظة من حياتها القصيرة، والآن لا تملك أدنى فكرة حول مكانها، لأنها أم سيئة، أم سيئة ومحطمة لم تحب ابنتها كما يجب. تركتها وحيدة في المنزل، وضربتها، لا عجب من أنها فقدتها. كل شيء يحصل لسبب، وقد فقدت طفلتها لأنها لم تستحقها.

ما عادت تتجول في المنزل وحسب، بل صارت تتحرك أسرع فأسرع. وتسارعت أفكارها معها حتى كادت تتعثر. غلبها شعور بالذنب تجاه ابنتها، ولم تعرف إن كان بإمكانها تصديق ماركو بأن كورا كانت على قيد الحياة عند الثانية عشرة والنصف. ما عادت تصدق شيئاً مما يقوله، فهو كاذب. لا بد أنها قد آذت كورا، لا بد أنها قد قتلت فلذة كبدها، ما من احتمال منطقي آخر.

وحملت عبء هذا الاحتمال الشنيع، احتاجت إلى أن تخبر أحداً. حاولت إخبار ماركو لكنه لم ينصت. أراد ادعاء أن ذلك لم يحصل، أراد ادعاء أنها غير قادرة على المساس بطفلتها. تذكّرت كيف نظر إليها حين أخبرته أنها ضربت كورا، الإنكار.

كان ليختلف شعوره لو أنه رآها تضرب كورا، كان ليختلف شعوره لو عرف تاريخها. لكنه لم يعرف لأنها لم تخبره من قبل. جرّت حادثة في مدرسة «سان ملديرد»، حادثة لم تذكر منها سوى عواقبها، حيث كانت في حمام الفتيات، ورأت دمًا على الجدار، وانهارت «سوزان» على

الأرض كأنها ميتة، ونظر إليها الجميع مذعورين؛ «جانيس»، و«ديبي»، ومدرّسة العلوم، والمديرة، دون أن تعرف ما حصل.

بعد تلك الحادثة، اصطحبتّها والدتها إلى طبيب نفسي قام بتشخيصها باضطراب الشخصية الفصامي. استرجعت ذكرى وجودها في مكتبه، متجمّدة في مقعدها، بينما جلست والدتها بجوارها متوتّرة. أثار التشخيص زعر آن وأشعرها بالذنب.

قالت والدة آن للطبيب:

- لا أفهم، لا أفهم ما تقوله.

قال الطبيب بلطف:

- أعرف أن هذا يبدو مخيفاً، لكنه ليس غريباً بقدر ما تظنين. عدّيه آلية دفاعية منقوصة، حيث ينفصل الشخص عن الواقع لفترة وجيزة. (التقت الطبيب إلى أن التي رفضت أن تنظر إليه، وقال) قد تشعرين أنك منفصلة عن وعيك، كأن الأحداث تصيب شخصاً سواك. وقد تسيئين إدراك وفهم واقعية الأشياء من حولك، أو قد تواجهين حالات يحصل فيها ثغرات في ذاكرتك، كما جرى معك، فقدان ذاكرة مؤقّت.

سألت أليس الطبيب:

- هل سيحدث هذا مجدداً؟

- لا أعرف، هل حصل من قبل؟

كان قد حصل، لكن ليس بهذا الشكل الرهيب.

- بضع مرات.

اعترفت أليس مترددة:

- منذ كانت صغيرة، بدا أنها لا تتذكّر أشياء فعلتها، في البداية... ظننتُ أنها تدّعي ذلك حتى لا أعاقبها، لكنني أدركتُ بعدها أن

الأمر لم يكن بيدها. (صممت وأكملت) لكنها لم تفعل شيئاً كهذا سابقاً.

شك الطبيب أصابعه وحقق إلى أن باهتمام وسأل والدتها:

- هل مرّت بصدمة في حياتها؟

- صدمة؟ (رددت أليس) لا بالطبع.

تفحصها الطبيب متشككاً وقال:

- عادةً ما يكون اضطراب الشخصية الفصامي نتيجةً لصدمةٍ مكبوتة.

قالت أليس:

- يا إلهي!

رفع الطبيب حاجباً وهو ينظر إليها مترقباً. قالت أليس فجأة.

- والدّها. لقد شاهدت والدها يموت. كان الأمر فظيئاً، كانت مولعةً به.

تعلّقت عينا آن بالجدار أمامها متصلبةً. سأل الطبيب:

- كيف توفّي؟

- خرجت للتسوق، وكان في المنزل يلاعبها، حين أصابته أزمة قلبية حادة. لا بد أنه توفّي على الفور. رأت ما جرى، وحين عدت إلى المنزل، كان الأوان قد فات. كانت آن تبكي وتضغط أزرار الهاتف، لكنها لم تعرف أي أرقام تضغط، ولم يهم ذلك بكل الأحوال، ما كان باستطاعة أحد إنقاذه. كان عمرها أربع سنوات فقط.

أوماً الطبيب برأسه متعاطفاً وقال: «أتفهّم»، وجلس صامتاً لوهلة.

قالت أليس:

- عانت الكوابيس لوقت طويل. لم أدعها تتحدث عن الأمر، لعل ذلك كان خاطئاً، لكنها كانت تستاء وأردتُ أن أساعدها. حاولتُ شغل فكرها عن الأمر كلما حاولت التحدث عنه. بدا أنها تلوم نفسها. كانت صغيرة للغاية، وأخبرونا بأنه لم يكن هناك ما قد ينقذه، حتى لو وصلت سيارة الإسعاف في الوقت المناسب.

- من الصعب على الأطفال استيعاب هذه الأمور. (قال الطبيب ذلك ثم التفت نحو آن التي واصلت تجاهله، وقال) يمكن أن يؤدي الإجهاد إلى تفاقم أعراض هذا الاضطراب بشكل مؤقت. أقترح أن تقابلني بانتظام، لمحاولة إيجاد حل للقلق الذي تشعر به.

بكت آن في السيارة طوال الطريق إلى المنزل. عندما وصلت، قبل أن تدخل المنزل، عانقتها والدتها وقالت:

- سيكون كل شيء على ما يرام يا آن (لم تصدقها آن). سنخبر والدك بأنك تقابلين طبيباً لأنك تعانين القلق. ما من داع لأن يعرف بخصوص الأمر الآخر، فهو لن يفهم.

لم تخبراه عن الحادث الذي وقع في المدرسة. تولت والدة آن أمر الاجتماعات مع أهالي الفتيات الثلاثة الأخريات من «سان ملديرد» بنفسها.

منذ ذلك الحين، جرت «حوادث» أخرى، معظمها غير مؤذية، حيث تفقد آن إدراكها لدقائق أو أحياناً لساعات، ولا تعرف ما حدث أثناء «غيابها». أجهدها تلك الحوادث، فكانت تجد نفسها في مكان ما غير متوقع، دون أن تملك أي فكرة عن كيفية وصولها إلى هناك، وتتصل بأمها، التي كانت تعيدها. لكنها لم تعانٍ من أي حوادث منذ عامها الأول في الكلية. حدث كل هذا منذ وقت طويل، فظننت أنها قد تجاوزته.

لكنها، بالطبع، تذكرت كل شيء على الفور بعد الاختطاف: ماذا لو اكتشفت الشرطة ذلك؟ ماذا لو عرف ماركو وتغيّرت نظرتة نحوها؟ لكن



بعد ذلك وصلهما الرداء عبر البريد، ولم تعد والدتها تنظر إليها كما لو كانت تخشى أن تكون أن قد قتلت طفلها وأن ماركو ساعد في التستر عليها.

عرفت الشرطة الآن أنها هاجمت (سوزان). يعتقدون أنها عنيفة. خشيت أن منذ البداية أن تعتقد الشرطة أنها مذنبه، سواء كانت مذنبه أم لا. لكن هناك ما هو أسوأ من الاتهام الباطل.

صارت أكبر مخاوف أن تكون مذنبه بالفعل.

في الأيام القليلة الأولى بعد اختطاف كورا، وعندما كانت أن متأكده جداً من أنها قد اختطفت، كانت أياماً صعبة، وكان عليها تحمل شكوك الشرطة والعامه، ووالدتها. لقد تحملت ذلك مع ماركو، لأنهما كانا يعلمان أنهما بريئان. كانا قد ارتكبا خطأً واحداً؛ تركا طفلتهما دون رقيب، لكنهما لم يتخليا عنها.

أما الآن، وبسبب ما حدث في الليلة الماضية قبل أن تغفو على الأريكة، حين خلطت البحث عن علامات عدم إخلاص ماركو بالبحث عن كورا، أصبح الواقع مبهمًا بالنسبة لها. تذكرت أنها اعتقدت أن سنثيا قد أخذت طفلتها منها.

عاد المرض. متى عاد بالضبط؟

خمنت أنها تعرف، عاد ليلة الاختطاف بعد أن صفت كورا. لقد فقدت إحساسها بالوقت، ولم تدرك ماذا حدث.

يكاد يكون من المريح الآن إدراك أنها فعلت ذلك. من الأفضل أن تقتل كورا بسرعة من قبل والدتها، في غرفة نومها، على مرأى الحملان المألوفة على الجدران، من أن يأخذها أحد الوحوش لتعرض للتنكيل والتعذيب والرعب.

كان على آن أن تتصل بوالدتها، كانت والدتها لتعرف ماذا تفعل. لكنها لم ترغب بفعل ذلك، فستحاول والدتها التستر عليها والتظاهر بأن شيئاً لم يحدث، كما فعل ماركو. حاول الجميع التستر على أفعالها. ما عادت تريد أن يفعلوا ذلك. عليها أن تخبر الشرطة، وعليها أن تفعل ذلك الآن، قبل أن يحاول أي شخص إيقافها. أرادت البوح بكل شيء، فما عادت تستطيع تحمّل المزيد من السرية والأكاذيب. كانت بحاجة إلى معرفة مكان طفلتها ومكان دفنها. كانت بحاجة إلى معانقتها للمرة الأخيرة.

نظرت من نافذة غرفة نومها نحو الشارع. لم ترَ أي مراسلين هناك. ارتدت ملابسها بسرعة واستدعت سيارة أجرة لتأخذها إلى مخفر الشرطة.

استغرق الأمر وقتاً طويلاً، لكن سيارة الأجرة وصلت أخيراً. دخلتها مُسرعةً واستقرت في المقعد الخلفي، راودها شعورٌ غريب لكنها كانت مصممة، احتاجت إلى أن ينتهي الأمر. قررت إخبارهم بما حدث. لقد قتلت كورا. لا بد أن ماركو قد تدبّر أمر إخفائها بعيداً، ثم حثهم على تقديم فدية لتضليل الشرطة. لكن الآن سيتعيّن على ماركو التوقف عن حمايتها. سيتعيّن عليه التوقف عن الكذب عليها. سيتعيّن عليه أن يخبرهم أين وضع جثة كورا، وبعد ذلك ستعرف. يجب أن تعرف مكان طفلتها. لم تستطع أن تطيق أنها لا تعرف.

لم يكن بإمكانها الوثوق بأي شخص ليقول الحقيقة ما لم تذهب أولاً.

عندما وصلت إلى مخفر الشرطة، نظرت إليها الشرطة خلف مكتب الاستقبال بقلق واضح. سألتها:

- هل أنت بخير، سيدتي؟

ردت آن بسرعة:

- أنا بخير. أريد أن أقابل المحقق رازباك. (بدا صوتها غريبًا حتى بالنسبة لها).

قالت الشرطية:

- ليس هنا. سأرى ما إذا كان بإمكانني التواصل معه عبر الهاتف.

أجرت محادثة قصيرة عبر الهاتف، ثم وضعت هاتفها جانبًا، وقالت:

- إنه في طريقه إلى هنا. سيحضر في غضون نصف ساعة.

انتظرت أن يفارغ الصبر، واعتراها الاضطراب. عندما ظهر رازباك بعد أقل من نصف ساعة، كان يرتدي ملابس غير رسمية، بنطالًا وقميصًا صيفيًا. بدا مختلفًا جدًا، فقد اعتادت أن تراه مرتديًا بذلته، فوجدت الأمر مربكًا.

قال وهو ينظر إليها متمعّنًا بعينه اللماحتين:

- آن، كيف أستطيع مساعدتك؟

قالت آن بسرعة:

- أريد التحدث إليك.

- أين محاميك؟ أبلغت بأنكما لن تتحدثا معنا بعد الآن دون حضور محاميك.

أصرت قائلة:

- لا أريد حضور المحامي.

- هل أنت واثقة؟ لعل عليك الاتصال به. أستطيع الانتظار.

كان ليمنعها محامياها من قول ما تريد قوله. قالت:

- لا! أنا واثقة. لست بحاجة إلى محامٍ. لا أريد ذلك، ولا تتصل بزوجي.

قال رازباك:

- حسنًا إذن. (واستدار ليقودها إلى نهاية البهو الطويل).

تبعته إلى إحدى غرف الاستجواب. بدأت في الحديث قبل أن يجلس حتى، فطلب منها أن تتمهّل.

قال لها رازباك:

- من أجل التسجيل، يرجى ذكر اسمك والتاريخ وحقيقة أنه تم نصحك بالاتصال بمحاميك ولكنك رفضت.

عندما فعلت آن ذلك، بدأ.

سألها المحقق:

- لماذا أنت هنا اليوم؟

- جئت لأعترف.

## الفصل الثامن والعشرون

راقب رازباك أن من كثب. كان اضطرابها واضحًا، كانت تفرك يديها، وقد اتسعت حدقتهاها، وشحُب وجهها، ولم يكن متأكدًا ما إذا كان سيستمر. كانت قد تنازلت عن حقها في الاستعانة بمحامٍ على شريط فيديو، لكنه لم يكن واثقًا من سلامتها الذهنية، وما إذا كانت قادرة على اتخاذ القرار الصحيح. ومع ذلك، أراد أن يسمع ما ستقوله. فبإمكانهم رفض الاعتراف على أي حال، وسيفعلون غالبًا، لكن كان عليه أن يسمع ذلك. أراد أن يعرف.

قالت آن:

- لقد قتلتها.

كانت ملتاعة، لكنها بدت عقلانية ومسيطرة. كانت على معرفة بهويتها وأفعالها.

- أخبريني بما حدث يا آن. (قال ذلك وهو جالس قبالتها).

قالت:

- ذهبت للاطمئنان عليها عند الحادية عشرة. حاولت إطعامها بواسطة الزجاجاة لأنني كنت أشرب الكحول. لكنها بكت كثيراً، أرادت أن ترضع من صدري، ولم ترضَ بالزجاجاة. صممت، وحدقت إلى الحائط فوق كتف رازباك، كما لو كانت تسترجع المشهد على شكل فيلم يتمُّ عرضه على شاشةٍ خلفه.

قال المحقق:

- تابعي.

- لذلك فقدتُ صبري، وتركتها ترضع من صدري. شعرتُ بالسوء حيال ذلك، لكنها لم ترضَ بالزجاجاة، وكانت جائعة، وواصلت البكاء دون توقف. لم تواجه مشكلة في الرضاعة عبر الزجاجاة من قبل، لم ترفضها إطلاقاً. كيف كان لي أن أعرف أنها سترفض الزجاجاة في الليلة التي أتناول فيها بضعة أكواب من النبيذ؟

انتظر رازباك أن تتابع، لم يشأ أن يتكلم ويقطع تدفق أفكارها. بدت مشدوهةً كلياً، وواصلت التحديق في الحائط خلفه.

- لم أكن أعرف ماذا أفعل غير ذلك. لذلك قمتُ بإرضاعها. (أزاحت عينيها عن الحائط ونظرت إليه قائلةً) لقد كذبت من قبل، عندما قلت إنني أتذكر أنني غيرتُ رداءها الوردية. لا أتذكر. لقد أخبرتك بذلك فقط لأنني افترضت أن هذا ما فعلته، لكنني لا أتذكر أيّاً من ذلك في الواقع.

- ماذا تتذكرين؟

- أتذكر إرضاعها، وقد رضعت قليلاً، لكنها لم تشبع، ثم عادت للبكاء مجدداً. (عادت عينا أن إلى تلك الشاشة التخيلية مرة أخرى). حملتها ومشيتُ بها قليلاً، وغنيتُ لها، لكنها بكت بصوت أعلى. كنت أبكي بدوري. (نظرت إليه وقالت) صفعتها (وعندها انفجرت باكيةً). لا أذكر ما حصل بعدها، كانت ترتدي الرداء

الوردي عندما صفعتها، أتذكر ذلك، لكنني لا أتذكر أي شيء بعده. لا بد أنني غيرتُ حَفَاضَهَا ومَلابِسَهَا. لعلني أوقعتها أو ضربتها، لا أعرف. لعلني وضعت وسادة على وجهها، لأمنعها من البكاء، كما قلتُ، لكنها ماتت بطريقة ما (بدأت تبكي بشكل هستيري). وعندما ذهبْتُ إليها عند منتصف الليل، كانت في مهدها، لكنني لم أحملها. لا أعرف إن كانت تتنفس حينها.

تركها رازباك تبكي. قال أخيراً:

- أن، إن كنت لا تتذكرين، لماذا تعتقدين أنك قتلت كورا؟

- لأنها اختفت! وتحديداً لأنني لا أتذكر. ففي بعض الأحيان، عندما أتعرّض للضغط، ينهار عقلي، وينفصل عن الواقع. ثم أدرك أنني غِبتُ لبعض الوقت، وأنني فعلت شيئاً لا أتذكره. لقد حدث ذلك من قبل.

- حدثيني عن ذلك.

- أنت تعرف كل شيء عنه. لقد تحدثت إلى «جانيس فوغل».

- أريد أن أسمع من منظورك للأمر. أخبريني بما حدث.

- لا أريد. (أخذت عدة مناديل من العلبة ومسحت عينيها).

- لم لا؟

- لا أريد أن أتحدث عن ذلك.

اتكأ رازباك على كرسيه وقال:

- أن، لا أعتقد أنك قتلت كورا.

- بل تعتقد. لقد قلت ذلك من قبل. (لَقَّتْ المناديل في يديها).

- ما عدتُ أعتقد ذلك. وإن كنتُ قد زرعْتُ هذه الفكرة في رأسك،

فأنا آسف حقاً.

- لا بد أنني قتلتها. واستدعى ماركو شخصًا ما ليأخذها ليحميني بحيث لا أعرف ماذا فعلت.

- أين هي الآن إذًا؟

- لا أعرف! لا يخبرني ماركو! لقد توصلت إليه، لكنه لم يخبرني. ينكر الأمر، لا يريدني أن أعرف أنني قتلت طفلي، يريد أن يحميني. لا بد أنه يعاني الأمرين. ظننت أنني إذا جئت وأخبرتكم بما حدث، فلن يضطر إلى التظاهر بعد الآن، ويمكنه أن يخبرنا أين تركها، وسأعرف، وسينتهي الأمر. (انحنت على كرسيها ورأسها لأسفل).

صحيح أن رازباك قد فكّر بحدوث شيء كهذا، أن تكون الأم قد فقدت أعصابها وقتلت الطفلة، وتسترّت هي وزوجها على الجريمة، لكن ليس كما تقول، لأنها إذا قتلت الطفلة في الساعة الحادية عشرة، أو حتى عند منتصف الليل، ولم يعرف ماركو بذلك حتى الساعة الثانية عشرة والنصف، فكيف كان (ديريك هونيغ) ينتظر مسبقًا في سيارة في الممر لأخذ الجثة بعيدًا؟ لا، لم تقتل الطفلة. هذا غير منطقي وحسب.

- أن، هل أنت متأكدة أنها كانت الساعة الحادية عشرة عندما أطعمتها وكانت تبكي؟ هل من المحتمل أن ذلك قد حصل في وقت سابق؟ في العاشرة، على سبيل المثال؟ إذا كان الأمر كذلك، فربما كان ماركو قد عرف مسبقًا، عندما تفقدها في الساعة العاشرة والنصف.

- لا، كانت الساعة الحادية عشرة. أقوم دائمًا بإطعامها لآخر مرة في الحادية عشرة، ثم تنام عادةً حتى الخامسة صباحًا. كانت تلك هي المرة الوحيدة التي أغيب فيها عن الحفلة لأكثر من خمس دقائق. يمكنك أن تسأل الآخرين.

- نعم، يتفق ماركو وسنثيا على أنك قد بقيت وقتًا طويلًا بعد الساعة الحادية عشرة، وأنك لم تعودي حتى الساعة الحادية



عشرة والنصف أو ما يقرب من ذلك، وقمت بتفقدُها مرة أخرى عند منتصف الليل. هل أخبرتِ ماركو بأنك تظنين أنك آذيتها، عندما عدت إلى الحفلة؟

- لا، أنا. . . لقد أدركت الليلة الماضية فقط أنه لا بد أنني فعلتها!  
- لكن يا آن، ما تقولينه مستحيل (قال رازباك بلطف). كيف يمكن أن يذهب ماركو في الثانية عشرة والنصف، وهو لا يعلم أن الطفلة قد ماتت، ويجد شخصًا ما في سيارة في المرآب ينتظره بعد دقيقتين؟

سكنت آن كليًا. توقفت يداها عن التحرك، وبدت مرتبكة.  
ثم قال لها:

- يبدو أن الرجل الذي قُتل في الكوخ، (ديريك هونيغ)، هو الشخص الذي كانت سيارته في مرآبكما وهو من أخذ كورا بعيدًا. العجلات متطابقة، وسنعرف قريبًا ما إذا كانت تتطابق مع المسارات في مرآبكما. نعتقد أن كورا تم نقلها إلى كوخه في «كاتسكيلز». وبعدها، تعرّض (هونيغ) للضرب حتى الموت بواسطة مجرفة. بدت آن غير قادرة على استيعاب تلك المعلومات.

قلقَ رازباك عليها، وقال:

- هل أتصل بمن يسطح بك إلى المنزل؟ أين ماركو؟  
- إنه في العمل.  
- في يوم أحد؟  
لم تُجب.

- هل لي أن أتصل بوالدتك؟ أو بصديق؟  
- لا! أنا بخير. سأعود إلى المنزل بمفردي. حقًا، أنا بخير. (وقفت فجأة وقالت) من فضلك لا تخبر أحدًا أنني كنت هنا اليوم.

أصرَّ رازباك:

- دعيني أتصل بسيارة أجرة على الأقل.

قبل وصول سيارة الأجرة بقليل، التفتت إليه فجأة وقالت:

- لكن... كان هناك وقت بين الثانية عشرة والنصف وحين وصلنا إلى المنزل. إذا كنت قد قتلتها ووجدتها في الثانية عشرة والنصف، واتصل بشخص ما. لم نعد إلى المنزل حتى الواحدة والنصف تقريبًا، لم يكن يريد المغادرة. أنت لا تعرف على وجه اليقين أن السيارة التي كانت تسير في الممر عند الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة هي السيارة التي أخذت كورا. كان من الممكن أن يحصل ذلك في وقت لاحق.

قال رازباك:

- لكن ماركو لم يكن ليتصل بأي شخص دون علمنا. لدينا كل سجلات هواتفكما. لم يتصل بأحد. إن تواصل ماركو مع أي شخص ليأخذ الطفلة، فقد كان عليه أن يرتب للأمر مسبقًا، وأن يخطط. مما يعني أنك لم تقتليها.

رمقته آن منذهلة، وبدأ أنها على وشك أن تتحدث، إلا أن سيارة الأجرة وصلت عندها، ولم تقل شيئًا.

راقبها رازباك وهي تذهب، مشفقًا عليها من كل قلبه.

عادت إلى المنزل الفارغ، واستلقت على الأريكة في غرفة المعيشة، منهكة تمامًا، واسترجعت ما حدث في مخفر الشرطة.

كاد رازباك يقنعها بأنها لم تقتل كورا، لكنه لم يعرف بأمر الهاتف المحمول المخبأ في الحائط. كان بإمكان ماركو الاتصال بشخص ما في الثانية عشرة والنصف. لم تعرف عندها لماذا لم تقل أي شيء بخصوص

الهاتف المحمول. لعلها لم تشأ أن يعرف رازباك بخصوص علاقة ماركو الغرامية، شعرت بالخجل.

إما ذلك أو أن ذاك الرجل صاحب الكوخ أخذها، حيةً، في وقت ما بعد أن تفقدها ماركو في الثانية عشرة والنصف. لم تعرف سبب اقتناع المحقق رازباك بأن السيارة التي عبرت الممر عند الساعة الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة كان لها أي علاقة بما جرى.

تذكّرت كيف كانت تستلقي هنا مع كورا على صدرها. بدا هذا منذ وقت طويل جدًا عندها. كانت تتعب للغاية فتحتاج إلى الاستلقاء لدقائق مع الطفلة. كانا يتعانقان على الأريكة، في الجزء الهادئ من اليوم، كما هو الحال الآن، وأحيانًا تنامان معًا. انهمرت الدموع على خديها.

سمعت أصواتًا قادمة من الجانب الآخر من الجدار. كانت سنثيا في المنزل، تتجول في غرفة معيشتها وتعزف الموسيقى. أثارت سنثيا بغض آن، وكرهت كل ما يتعلق بها، عدم إنجابها للأطفال، وهالة التفوق والقوة التي تتمتع بها، وجسدها، وملابسها المغربية. كرهتها لتلاعبها بزوجها، ولمحاولتها تدمير حياتهما الزوجية. لم تعرف إن كان بإمكانها مسامحة سنثيا على فعلتها. زاد في كرها لسنثيا أنهما كانتا صديقتين مقربتين.

كرهت أن سنثيا تسكن على الجانب الآخر من الجدار. أدركت فجأة أنه بإمكانهما الانتقال، وعرض المنزل للبيع. ساءت سمعتها هي وماركو هنا على أي حال، ما يزال البريد يتراكم كل يوم، والمنزل الذي أحببته كثيرًا أضحى ضريحًا تشعر فيه بأنها مدفونة وهي على قيد الحياة.

ما عاد بإمكانهما العيش هنا مع وجود سنثيا على الجانب الآخر من الجدار، على مقربة من ماركو.

ما الذي كان يفعله ماركو وهو يخرج من فناء سنثيا الخلفي بالأمس على أي حال، وبدا مذنبًا للغاية؟ نفي بشدة وجود علاقة معها، لكن آن ليست غبية. لم تستطع معرفة الحقيقة منه، وقد سئمت كل الأكاذيب.

قررت مواجهة سنثيا بنفسها لتعرف الحقيقة. لكن حتى مع سنثيا، كيف يمكنها أن تعرف ما الحقيقة وما الكذب؟

بدلاً عن ذلك، نهضت وخرجت من الباب الخلفي إلى الفناء. ذهبت إلى المرآب لتجلب قفازات البستنة. توقفت في المرآب وتركت عينيها تتكيفان مع الضوء. أمكنها أن تشم رائحة المرآب المألوفة للزيت، والخشب القديم، والخرق البالية. وقفت هناك وتخيلت ما حدث. أربكها كل شيء، فإذا لم تقتل كورا، ولم يدبر ماركو من يأخذها، فلا بد أن شخصاً ما، سرق طفلتها من مهدها ووضعها في سيارته في وقت ما بعد الثانية عشرة والنصف بينما كانت هي وماركو وسنثيا وغراهام غافلين في المنزل المجاور.

أسعدها موته وأمّلت أن يكون قد عانى.

خرجت مجدداً وشرعت تنتزع الأعشاب الضارة من العشب بشراسة حتى تقرّحت يداها وألمها ظهرها.

## الفصل التاسع والعشرون

جلس ماركو في مكتبه، وحدّق من النافذة دون أن ينظر نحو شيء بالتحديد. كان الباب مغلقًا. نظر إلى سطح المكتب المصنوع من خشب الماهوجني غالي الثمن، الذي اختاره بعناية فائقة عندما وسّع عمله وأخذ عقد إيجار هذا المكتب.

عندما استرجع البراءة والتفاؤل في تلك الأيام، شعر بالغثيان. حدّق بعينين مليئتين بالمرارة حول مكتبه الذي يوحى بصورة رجل أعمال ناجح تمامًا. المكتب المثير للإعجاب، والإطلالة على المدينة، والنهر الذي يظهر من النافذة المقابلة لها، والكراسي المصنوعة من الجلد عالي الجودة، والفرن الحديث. ساعدته أن في تزيين المكان. تمتلك ذوقًا رفيعًا. تذكر كم تسليًا أثناء التسوق لشراء الأثاث وترتيب كل شيء. عندما انتهيا، أغلق الباب، وفتح زجاجة شمبانيا، ومارس الحب مع زوجته الضاحكة على الأرض.

شعر بضغط هائل حينها. كان عليه أن يرقى إلى مستوى توقعات الجميع؛ أن، والداها، وتوقعاته هو. لو تزوج شخصًا آخر، لعله كان ليرضى بالعمل خطوة خطوة، وتطوير عمله بشكل أبطأ، بالعزيمة

والموهبة وساعات العمل الطويلة. لكن أتاحت له الفرصة لجعل الأمور تحدث بشكل أسرع، واستغلها. كان طموحًا. وُهب تلك الأموال على طبق من الفضة، وبالطبع كان من المتوقع أن ينجح بعدها على الفور. كيف يمكنه ألا ينجح بعد تلقيه تلك المنحة المذهلة؟ عانى ضغطًا شديدًا. اهتم ريتشارد بشكل خاص بكيفية أداء العمل التجاري، بعدّه من قام بتمويله.

لقد بدا الأمر أفضل من أن يتحقق، ولم يتحقق بالفعل.

سعى وراء العملاء الكبار قبل أن يكون جاهزًا، وارتكب خطأ المبتدئ الكلاسيكي المتمثل في الازدهار بسرعة كبيرة. لو لم يتزوج آن -لا، لو لم يقبل هدية الزفاف المتمثلة بالمنزل، ثم بعد سنوات، قرضَ والديها- لكانا في شقة مستأجرة في مكان ما، وكان ليمتلك مكتبًا قبيحًا بعيدًا عن وسط المدينة، ودون «الأودي» الخاصة به، لكنه كان ليعمل بجد ويحقق النجاح على طريقته. كان ليسعد برفقة آن.

كانت كورا لتظل في المنزل.

وها هو ذا، أصبح صاحب مشروع تجاري هائل يتأرجح على هاوية الخراب. أضحى خاطفًا، ومجرمًا، وكاذبًا، ومشتبهًا به من قبل الشرطة. أضحى تحت سلطة حماه النرجسي الذي يعرف بما ارتكبه، والمبتزة متبلدة المشاعر التي لن تتوقف عن المطالبة بالمال. عمله على وشك الإفلاس، على الرغم من أنه حصل على الكثير من الأموال والمعارف من خلال أصدقاء ريتشارد في النادي الريفي.

ضاع استثمار أليس وريتشارد في أعمال ماركو. مثل الخمسة ملايين دولار التي دفعوها مقابل كورا. والآن يتفاوض ريتشارد مع الخاطفين، وسيدفعان المزيد لاستعادة كورا. لم يكن لدى ماركو أي فكرة كم سيدفعان بعد.

لا بد أن والدا آن يبغضانه. لأول مرة، فكر ماركو في الأمر من وجهة نظرهما، واستطاع فهم خيبتهما. لقد خذلهم ماركو جميعًا، فقد فشل عمله فشلًا ذريعًا في النهاية، حتى مع كل تلك المساعدة. ظلَّ ماركو يعتقد أنه لو فعل ذلك بطريقته الخاصة، لكان ناجحًا جدًّا (تدرجيًّا). لكن ريتشارد دفعه لقبول عقود لم يستطع الوفاء بها. ثم أصبح ماركو يائسًا.

عندما بدأت الأمور تسوء كثيرًا، قبل شهرين، كان ماركو قد اكتسب عادة تناول مشروب في الحانة القريبة قبل العودة إلى المنزل ومقابلة آن، حيث يشعر بالعجز في مواجهة اكتئابها المتزايد. كان الجو هادئًا في العادة في الخامسة، عند موعد وصوله. يجلس في الحانة، يشرب مشروبه الوحيد، يعيد شحن طاقته عبر السائل الكهربائي، ويتساءل ماذا سيفعل في حياته، ثم يخرج ويتمشى على ضفاف النهر، غير راغبٍ بالعودة إلى المنزل، ثم يجلس على مقعد ويحدق إلى المياه.

وذات يوم جاء رجل كبير السن وجلس بجانبه. منزعجًا، عزم ماركو على النهوض، بعد أن شعر أنه قد تم انتهاك مساحته الشخصية.

لكن قبل أن يذهب، كلَّمه الرجل بطريقة ودية.

قال بتعاطف:

- تبدو محبطًا قليلًا.

قال ماركو باختصار:

- أنت محق.

- هل تركتك حبيبتك؟

قال ماركو:

- أتمنى لو كان الأمر بهذه البساطة.

قال الرجل مبتسمًا:

- لا بد أنها مشكلات العمل إذًا. إنها أسوأ بكثير. (مدّ يده ليصافحه وقال مقدّمًا نفسه) «بروس نيلاند».

صافحه ماركو قائلاً:

- «ماركو كونتي».

بدأ ماركو يتطلع لمقابلة بروس. وجد أنه من المريح وجود شخص.. شخص لا يعرفه حقًا، ولن يحكم عليه، ليخبره بمشكلاته. لم يستطع إخبار آن حول ما كان يحدث بالفعل، بسبب اكتئابها وأملها بنجاحه. لم يخبرها أن الأمور تسوء، وبمجرد أنه بدأ بإخفاء المشكلات، لم يعد باستطاعته إخبارها أنه فشل فجأة.

بدأ أن بروس يفهمه. كان من السهل الارتياح له بسبب طبيعته اللطيفة والمنفتحة. كان يعمل سمسارًا، عاش سنوات جيدة، وسنوات سيئة. على الإنسان أن يحافظ على صلابته ويتغلب على الأوقات العصيبة. قال بروس، وهو جالس بجانبه في بذلته باهظة الثمن:

- تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

وافق ماركو قائلاً:

- أنت محق.

في أحد الأيام، تناول ماركو الكثير من المشروبات الكحولية في البار. وفي وقت لاحق، بجانب النهر، أخبر بروس بأكثر مما كان يقصد. باح بمشكلاته مع حمويه. كان بروس مستمعًا جيدًا.

اعترف ماركو:

- أنا مدين لهما بالكثير من المال.

- إنهما والدا زوجتك (قال بروس ذلك وهو ينظر إلى النهر). لن يرمياك للوحوش الضارية إن لم تستطع أن تدفع.

قال ماركو متعكرًا:



- لعله من الأفضل أن يفعلا.

شرح ماركو كم يتحكّم به والدا زوجته أكثر، العمل، والمنزل، وحتى محاولة قلب زوجته ضده.

قال بروس وهو يزُمُّ شفّتيه:

- يبدو أنهما قد استحوذا عليك كليًا.

- نعم.

خلع ماركو سترته، وعلّقها على ظهر المقعد. كان الجو صيفيًا، وكانت الأمسيات دافئة.

- ماذا ستفعل؟

- لا أعرف.

اقترح بروس:

- يمكنك أن تطلب منهما قرضًا آخر، حتى تتحسن الأعمال، فمن يدفع القليل، لن يمانع في المزيد من الدفع.

- لا أعتقد ذلك.

نظر بروس إليه في عينيه:

- لم لا؟ لا تكن أحمق. اطلب منهما وحسب. اخرج من هذه الحفرة، وقاوم لتستمرّ. سيرغبان في حماية استثمارهما على أي حال.

امنحهما ذلك الخيار على الأقل.

أمعن ماركو التفكير، فبقدر ما كان يكره الفكرة، كان من المنطقي أن يصارح ريتشارد ويخبره أن العمل في مأزق. أمكنه أن يطلب منه إبقاء الأمر سرًّا بينهما، وألا يزعج آن وأليس بالمشكلة. والحقيقة أن الأعمال التجارية فشلت كثيرًا تلك الأيام بسبب الوضع الاقتصادي العام. كانت الأمور أصعب بكثير مما كانت عليه عندما بدأ ريتشارد عمله.

بالطبع لن يرى ريتشارد الأمر بهذه الطريقة أبدًا، أو لن يعترف به على الأقل.

نصحه بروس:

- اطلب من والد زوجتك، لا تذهب إلى البنك.

لم يخبر ماركو بروس، لكنه كان قد ذهب مسبقًا إلى البنك. رهن المنزل قبل بضعة أشهر، وأخبر أن هذا كان لمساعدة الشركة على التوسع بشكل أكبر في وقت ملائم للنمو، ولم تشكك به. جعلها تقطع وعدًا بالأخبار والديها. كانا يتدخلان في الكثير من أعمال ماركو وأن بالفعل.

قال ماركو في نفسه: «ولم لا؟!».

فكر في الأمر لمدة يومين. كان ينام بشكل سيئ. في النهاية، قرر التواصل مع حماه. لطالما كان ريتشارد من يتعامل معه عندما يتعلق الأمر بالمسائل المالية المتعلقة بوالدي آن، وأحب ريتشارد الحال كما هي. استجمع ماركو شجاعته واتصل بريتشارد وسأله عما إذا كان بإمكانهما الالتقاء لتناول مشروب. بدا ريتشارد متفاجئًا، لكنه اقترح الحانة في النادي الريفي. بالتأكيد، كان عليه أن يلعب في أرضه دائمًا. عندما وصل ماركو، كان متوترًا وتجرع شرابه بسرعة، ثم حاول أن يشرب على مهلٍ عندما اقترب من مكعبات الثلج.

حدق ريتشارد إلى وجهه وقال:

- ما الأمر يا ماركو؟

تردد ماركو وقال:

- لا يجري العمل بالشكل الذي أريده.

أشاح ريتشارد بنظره على الفور وقال:

- ما مدى سوء الأمر؟

هذا ما كرهه ماركو بشأن والد زوجته. كان يهدف لإهانتته دائماً، لم يستطع السماح لماركو بحفظ ماء الوجه. لم يستطع أن يكون كريماً.  
قال ماركو:

- سيئ جداً، في الواقع. لقد فقدت بعض العملاء، لم يدفع البعض.  
أعاني قليلاً مشكلة السيولة في الوقت الحالي.

قال ريتشارد وهو يعاين مشروبه:

- حسناً.

ساد الصمت لفترة طويلة. أدرك ماركو أنه لن يعرض عليه النقود، أراد أن يجعل ماركو يطلبها. نظر ماركو إلى وجه والد زوجته الصارم وسأل:

- هل يمكنك منحي قرضاً آخر لتجاوز هذه الفترة الصعبة؟ يمكننا جعله قرضاً حقيقياً. أريد أن أدفع فائدة هذه المرة.

لم يكن ماركو يفكر حقاً في احتمال أن يرفض والد زوجته. لم يعتقد أن ريتشارد قد يجرؤ، فماذا سيحدث لابنته عندها؟ كان يسعى لتجنب التذلل بشكل أساسي، لتجنب هذه اللحظة التي يضطر فيها إلى طلب المساعدة والوقوف تحت رحمة ريتشارد.

نظر إليه ريتشارد بعينين باردتين وقال:

- لا.

أساء ماركو الفهم، كان يعتقد أن ريتشارد يرفض الفائدة، فقال:

- لا، حقاً. أريد أن أدفع فائدة. مئة ألف ستكون كافية.

انحنى ريتشارد نحو الأمام في مقعده، ليبدو أضخم فوق الطاولة الصغيرة بينهما، وقال:

- قلتُ لا.

شعر ماركو بالحرارة تزحف على عنقه، وشعر باحمرار وجهه. لم يقل أي شيء. لم يعتقد أن ريتشارد كان يعني ذلك.

قال ريتشارد:

- لن نمحك المزيد من المال يا ماركو. لن نقرضك أي أموال. اهتم بشؤونك بنفسك. (عدّل جلوسه على كرسي النادي المريح وأكمل) أستطيع تمييز الاستثمار السيئ عندما أراه.

لم يعرف ماركو ماذا يقول. لم يكن على وشك التوسل إليه، فقد اتخذ ريتشارد قراره وانتهى الأمر. كان من الواضح أنه قد اتخذ قراره.

أضاف ريتشارد:

- نتفق أنا وأليس بخصوص هذا، قررنا مسبقاً التوقف عن منحك المزيد من الصدقات.

ماذا عن ابنتكما؟ أراد ماركو أن يسأل، لكنه لم يجد صوته، ثم أدرك أنه يعرف الإجابة بالفعل.

سيخبر ريتشارد آن عن هذا، سيخبر ابنته كم كان ماركو خياراً سيئاً. لم يحبه ريتشارد وأليس يوماً. لقد كانا يتطلّعان إلى هذا اليوم. أرادا أن تتركه آن، أن تأخذ طفلته وتتركه. بالطبع هذا ما أراداه. لم يستطع ماركو السماح بحدوث ذلك.

وقف فجأة، وضرب الطاولة الصغيرة بينهما بركبتيه. قال:

- حسناً. سأندبّر أمري.

استدار وغادر الصالة، وأعماه الغضب والشعور بالعار. قرر أن يخبر آن بنفسه أولاً، ويشرح لها مقدار نذالة والدها.

كان الوقت قد جاوز الظهيرة، وكان موعد تناول مشروب آخر قبل عودته إلى المنزل. ذهب إلى حانته ليتناول مشروباً سريعاً، ثم يتمشى. كان بروس هناك مسبقاً على المقعد. كانت تلك هي اللحظة، لحظة اللا عودة.

# مكتبة

t.me/t\_pdf

## الفصل الثلاثون

قال بروس بينما كان ماركو يجلس بجانبه على المقعد:

- تبدو بحالٍ مزرية.

كان ماركو خديرًا، فقد استجمع شجاعته ليطلب النقود، لكنه لم يفكر في حقيقة أن ريتشارد سيرفض. كان يمكن إنقاذ العمل، وكان ماركو متأكدًا من ذلك. عانى بعض الديون بسبب العملاء الذين لم يدفعوا، ولكنه أدار بعض الأعمال الجديدة، كانوا بطيئين في اتخاذ القرار وحسب. كان إنقاذ عمله ممكنًا بوجود القليل من النقود لتسنده. كان ما يزال يملك طموحًا، ما يزال يؤمن بقدراته. كل ما احتاج إليه كان القليل من المساعدة، القليل من النقود.

قال ماركو لبروس:

- أنا بحاجة إلى بعض المال. هل تعرف أي مقرضين محتالين؟  
(بالكاد كان يمزح. عرف كم كان يبدو يائسًا).

لكن بروس أخذه على محمل الجد. استدار جانبًا لينظر إلى ماركو

وقال:

- لا، لا أعرف أي مقرضين محتالين. وعلى أي حال، أنت لا تحتاج إليهم.

- حسنًا، لا أعرف ما الذي قد أفعله (قال ماركو ذلك وهو يمرر يده بشعره، ويحدق مهتاجًا إلى النهر).

قال بروس بعد بعض التفكير:

- بإمكانك إعلان إفلاسك، والبدء من جديد. كثيرٌ من الناس يفعلون ذلك.

قال ماركو بعناد:

- لا يمكنني فعل ذلك.

سأل بروس:

- لم لا؟

- لأنه سيقتل زوجتي، فهي... هشة الآن، بعد الولادة. (انحنى ماركو نحو الأمام، ووضع كوعيه على ركبتيه، ووجهه بين يديه).

قال بروس:

- لديك طفل! (بدا متفاجئًا).

قال ماركو ورفع نظره لوهلة لأعلى:

- نعم، طفلة.

أراح بروس ظهره نحو الخلف ونظر بجدية إلى ماركو. فقال ماركو:

- ماذا؟

قال بروس بسرعة:

- لا شيء.

قال ماركو:

- لا، كنت ستقول شيئًا ما. (وعدّل جلوسه على المقعد).

كان من الواضح أن بروس يقلب فكرة ما في ذهنه. قال:

- كيف يشعر والدا زوجتك تجاه حفيدتهما الصغيرة؟

قال ماركو:

- إنهما شغوفان بها، فهي الحفيدة الوحيدة. فهمت مقصدك، سيعطونها المال مقابل تعليمها، وربما يعطونها دفعةً عندما تبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا، لكنهم سيقيدونها في صندوق أمانة حتى لا أتمكن من الحصول عليها. لا فائدة من ذلك.

قال بروس وهو يميل برأسه:

- هناك فائدة إذا كنت فكّرت خارج الصندوق.

حدق ماركو إليه وقال:

- ماذا تقصد بذلك؟

انحنى بروس وأخفض صوته قائلاً:

- هل أنت على استعداد للمخاطرة قليلاً؟

- ما الذي تتحدث عنه؟

نظر ماركو حوله ليرى ما إذا كان ثمة من يستمع إليهما، لكنهما كانا وحيدين.

- لن يعطيك المال أنت، لكنني أراهن أنهم سيدفعون حالاً لاستعادة حفيدتهما الوحيدة.

همس ماركو:

- ماذا تقترح؟ (لكنه عرف).

عاين الرجلان بعضهما بعضاً. لولا أن ماركو قد تناول بعض المشروبات، وبخاصة ذلك المشروب اللعين الذي شربه مع والد زوجته، لعله كان ليرفض اقتراح بروس رفضاً قاطعاً، ويعود إلى المنزل لزوجته ليخبرها بالحقيقة، كما كان يخطط، ثم يعلن إفلاسه ويبدأ من جديد.

كانا ما يزالان يملكان المنزل، وبعضهما بعضاً، وكورا، لكن ماركو توقف أيضاً عند متجر خمور في طريقه إلى النهر، وأحضر زجاجة في كيس ورقي معه، فتحها، وعرض بعضها على صديقه، وأخذ جرعة طويلة مباشرة من الزجاجة. جعل الكحول الأشياء ضبابية قليلاً، وجعل المستحيل يبدو أقل استحالة.

أخفض بروس صوته وقال:

- بإمكانك أن تقوم بعملية اختطاف، اختطاف غير حقيقي، اختطاف وهمي. لن يتأذى أحد.

حدق ماركو إليه. انحنى مقترباً وهمس:

- كيف قد ينجح هذا؟ لن يكون وهمياً بالنسبة للشرطة.

- لا، ولكن إذا قمت بذلك بشكل صحيح، فستكون الجريمة المثالية. يدفع والدا زوجتك، وتحصل على الطفلة، وينتهي كل شيء في غضون يومين. بمجرد عودة الطفلة إلى المنزل، ستفقد الشرطة الاهتمام.

قلب ماركو الأمر في ذهنه. جعل الخمر كل شيء يبدو أقل جنوناً.

قال ماركو بتوتر:

- لا أعرف.

- هل لديك أي أفكار أفضل؟

وبَّخه بروس، وأعطاه الحقيبة الورقية التي تحوي الزجاجة المفتوحة. ناقشا التفاصيل، افتراضياً في البداية. يمكنه التظاهر باختطاف طفله، وتسليمها إلى بروس، الذي سيصطحبها إلى كوخه في «كاتسكيلز» لبضعة أيام. أخبره أن لديه ثلاثة أطفال كباروا الآن، لكنه تعلم كيف يعتني بطفل رضيع. سيحصل كل منهما على هواتف محمولة مدفوعة



الأجر يمكن التخلص منها، ولا يمكن تعقبها، ويتواصلان بهذه الطريقة. سيتعين على ماركو إخفاء الهاتف في مكان ما.

قال، وهو ينظر إلى النهر، يراقب الطيور وهي تدور في السماء فوقه:  
- سأحتاج إلى حوالي مئة ألف.

قال بروس ساخرًا:

- هل جننت؟

قال ماركو:

- ماذا تقصد؟

- إذا تم القبض عليك، فإن العقوبة هي ذاتها سواء طلبت مئة ألف أو مئة مليون. على الأقل اجعلها تستحق جهدنا. لا فائدة من القيام بذلك مقابل ثمن زهيد.

تشارك ماركو وبروس الزجاجة التي تحرّكت ما بينهما، بينما أمعن ماركو التفكير. كان ريتشارد و«أليس درايز» يملكان نحو خمسة عشر مليونًا على حد علمه، كانا يملكان مقدارًا جيدًا من المال. إذا حصل ماركو على مليون، يمكنه إنقاذ عمله وسداد رهنه العقاري، دون أي مساعدة إضافية من والدي آن. على الأقل ليس بشكل مباشر. سيكون من الرائع أخذ بضعة ملايين من هذا الوغد ريتشارد.

قرر أن تكون الفدية مليونين، ويتقاسماها مناصفًا.

قال له بروس:

- هذا مردود جيد بعد العمل لمدة يومين.

قرر ماركو إنه يجب أن ينفذ الخطة بأسرع وقت. فقد يفقد أعصابه إن انتظر لفترة أطول. قال:

- سنخرج من المنزل غدًا لحضور أمسية في المنزل المجاور.  
وستحضر جليسة أطفال، لكنها تنام دائمًا على الأريكة مع  
سماعات أذنها.

قال بروس:

- يمكنك الخروج للتدخين، والتسلل إلى المنزل لتعطيني الطفلة.  
فكر ماركو في الخطة، يمكن أن تنجح، ناقشها بمزيد من التفصيل.  
لو استطاع الآن اختيار النقطة التي يمكنه العودة إليها وتغيير كل  
شيء، فسيختار المرة الأولى التي التقى فيها بروس. ليته لم يتمش في  
هواء الربيع نزولاً إلى النهر، ليته لم يجلس على ذلك المقعد، ليته لم  
يصادف بروس، ليته نهض ببساطة وغادر في ذلك اليوم عندما جلس  
بروس ولم يتعرّف عليه ويقيم صداقة معه بمرور الوقت. كانت حياته  
لتختلف تمامًا.

لم يعتقد أن الشرطة ستستطيع العثور على أي شخص يمكنه إيجاد  
صلة بينه وبين بروس. كانت اجتماعاتهما متفرقة وغير متوقعة. كان  
الأشخاص الوحيدون في جوارهما هم الأشخاص الذين يهرولون أحياناً  
أو يمرّون مصدرين ضجيجاً من أحذيتهم الغليظة. لم يكن قلقاً بشأنه  
من قبل، لأن أحداً لم يكن سيرى بروس مرة أخرى. كان بروس مستعداً  
للتقاعد، كان سيأخذ مليون دولار ويختفي.

ولكن ها قد قُتل بروس، وقد قُضي على ماركو كلياً.

كان عليه الاتصال بريتشارد، وهو سبب قدومه إلى المكتب، للهروب  
من أن حتى يتمكن من إجراء محادثة خاصة مع والدها. عليه أن يعرف  
ما يجري مع كورا، وما إذا كان ريتشارد قد اتخذ ترتيبات جديدة مع  
الخاطفين.

تردد، لم يستطع تحمل فكرة أي أخبار سيئة أخرى. بغض النظر عما يحدث، عليهم استعادة كورا. وكان عليه أن يثق بقدرة ريتشارد على تحقيق ذلك. قرر التعامل مع كل شيء آخر لاحقاً.

أمسك الهاتف وأدخل رقم والد زوجته، فتم تحويله مباشرة إلى البريد الصوتي. اللعنة. ترك رسالة موجزة: «أنا ماركو، اتصل بي، وأطلعني على ما يحدث».

نهض وشرع يتمشى في مكتبه، كأنه قد تم حبسه في زنزانة بالفعل.

\*\*\*

ظننت أن أنها سمعت بكاء طفلتها. لا بد أن كورا استيقظت للتو من غفوتها. خلعت القفازات ودخلت سريعاً وغسلت يديها في حوض المطبخ. استطاعت سماع كورا في مهدها في الطابق العلوي، تبكي مستدعيةً إياها. هتفت:

- دقيقة واحدة يا حبيبتي. أنا قادمة. (شعرت بالسعادة).

اندفعت إلى الطابق العلوي لتحمل طفلتها وهي تدندن لحنًا. وصلت إلى غرفة الطفلة، كان كل شيء كما هو، لكن السرير فارغ. تذكرت ما جرى فجأة، وشعرت أن موجة قد جرفتها، وانهارت على كرسي الإرضاع. لم تكن بخير، كانت تعرف أنها ليست بخير. يجب أن تتصل بشخص ما؛ بوالدتها، لكنها لم تفعل، وبدلاً من ذلك، هزّت نفسها ذهاباً وإياباً في الكرسي.

أرادت أن تلوم سنثيا على كل مشكلاتها، لكنها كانت تعلم أن سنثيا لم تأخذ طفلتها.

كل ما فعلته سنثيا كان محاولة سرقة زوجها، الزوج الذي لم تعد آن متأكدة حتى من أنها تريده. أحياناً كانت تفكر بأن ماركو وسنثيا يستحقان بعضهما. سمعت سنثيا على الجانب الآخر من الجدار،

وتحوّلت كل كراهيتها إلى غضب شديد. لأنهما لو لم يذهبا إلى منزل سنثيا في تلك الليلة، لو لم ترفض سنثيا وجود الطفلة، لما حدث أيّ من هذا، كانت لتظل طفلتها معها.

تفحّصت آن نفسها في مرآة الحمام المحطمة في الطابق العلوي، والتي لم يستبدلها بعد. بدت مكسورة ومهشّمة. غسلت وجهها وسرّحت شعرها. ذهبت إلى غرفة النوم، ولبست قميصاً نظيفاً وبنطالاً جينز جديداً. تأكّدت من عدم وجود مراسلين أمام المنزل. ثم سارت نحو المنزل المجاور وقرعت الجرس.

فتحت سنثيا الباب والاندھاش بادٍ عليها لرؤيتها آن على عتبة بابها. سألت آن:

- هل يمكنني الدخول؟

حتى في اليوم الذي تقضيه في المنزل، كانت سنثيا ترتدي ملابس أنيقة، بنطالاً كابرّي، وسترة حريرية جميلة.

تفحّصتها سنثيا بحذر للحظة، ثم فتحت الباب على مصراعيه وقالت:  
- حسناً.

دخلت آن إلى المنزل.

- هل تريدين بعض القهوة؟ أستطيع تحضيرها (عرضت سنثيا).  
غراهام ليس هنا، سيعود في وقت متأخر من ليلة الغد.  
- بالتأكيد.

قالت آن ذلك وهي تتبعتها في المطبخ. الآن وقد وصلت إلى هنا، تساءلت كيف تبدأ حديثها. أرادت أن تعرف الحقيقة. هل يجب أن تكون ودودة؟ اتهامية؟ في المرة الأخيرة التي كانت فيها في هذا المنزل، كان كل شيء ما يزال طبيعياً. بدا ذلك منذ وقت طويل، كأنه من حياة أخرى.

نظرت أن من المطبخ إلى الأبواب الزجاجية المنزقة التي تؤدي إلى الفناء والفسحة الخلفيين. رأيت الكراسي في الفناء، وتخيَّلت سنثيا في حضن ماركو على أحد تلك الكراسي، بينما قاد الرجل الميت سيَّارته وأخذ طفلتها بعيدًا. ملأها غضبٌ حرصت على عدم إظهاره. لقد تدرَّبت كثيرًا على الشعور بالغضب دون إظهاره. كانت تنافق، أليس هذا ما يفعله الجميع؟ الجميع ينافقون، ويدَّعون. العالم كله مبني على الكذب والخداع. سنثيا كاذبة، تمامًا مثل زوج أن.

شعرت أن بالدوار فجأة وجلست إلى طاولة المطبخ. شغلت سنثيا آلة صنع القهوة، ثم استدارت وواجهتها، متكئةً على المنضدة. من حيث تجلس أن، بدت سنثيا أطول، وبساقين أرشق من أي وقت مضى. أدركت أن أنها تغار، تغار بجنون من سنثيا، وكانت سنثيا تعرف ذلك.

لم يبدُ أن أيًا منهما تريد بدء المحادثة. صار الموقف محرِّجًا، قالت سنثيا أخيرًا:

- هل يحرزون أي تقدم في التحقيق؟

حاولت ادعاء الاهتمام، لكن أن لم تنخدع بذلك. نظرت إليها وقالت:

- لن أستعيد طفلي يومًا.

قالتها بهدوء وكأنها تتحدث عن الطقس. شعرت بالانفصال عن الواقع، أنها غير واعية إطلاقًا. أدركت فجأة أن المجيء إلى بيت سنثيا كان خطأً، لم تكن قوية بما يكفي لمواجهة سنثيا بمفردها. كان من الخطر المجيء إلى هنا. اعترافها خوف من سنثيا. لكن لماذا؟ ماذا تستطيع سنثيا أن تفعل بها بعد ما حدث بالفعل؟ حقًا، مع كل ما فقدته أن، يجب أن تشعر بأنها لا تُقهر. لم يتبق شيء لتخسره. على سنثيا أن تخاف منها.

ثم استدركت آن، شعرت بتبليد مشاعرها، ثم خافت من نفسها فجأة. خافت مما قد تفعله. كان عليها أن تغادر. وقفت فجأة وقالت دون سابق إنذار:

- عليّ الذهاب.

قالت سنثيا مندهشة، وهي تنظر إليها بتمعن:

- هل أنت بخير؟

انهارت آن عائدة إلى الكرسي ووضعت رأسها بين ركبتيها. اقتربت سنثيا منها وجلست بجانبها. وضعت إحدى يديها ذات الأظافر المطلية برفق على ظهر آن. خشيت أن من أن يغمى عليها، وشعرت بالغثيان. تنفست بعمق بانتظار أن يتلاشى ذلك الشعور. سينتهي الشعور بالغثيان إن انتظرت وتنفست.

- هاك، اشربي بعض القهوة (عرضت سنثيا). سيساعدك الكافيين.

رفعت آن رأسها وشاهدت سنثيا وهي تصب القهوة. هذه المرأة لم تهتم بها على الإطلاق، لكنها تحضّر قهوتها وتضع الكريمة والسكر وتحضرها إليها على طاولة المطبخ كما اعتادت أن تفعل. شربت آن جرعة، ثم أخرى. كانت سنثيا على حق، شعرت بتحسّن. جعلت القهوة ذهنها أصفى، وصارت قادرة على التفكير. أخذت رشفة أخرى ووضعت الفنجان على الطاولة. جلست سنثيا قبالتها.

- منذ متى وأنت على علاقة مع زوجي؟

سألت آن بصوت موضوعي، شعرت بحيادية مفاجئة نظرًا إلى مدى غضبها. لو سمعها أي شخص لَمَا ظنَّ أنها تبالي.

تراجعت سنثيا في كرسيها وطوّت ذراعيها تحت صدرها العارم وقالت ببرود مشابه:

- لست على علاقة بزوجك.

قالت آن بنبرة ودية غريبة:

- كفى هراءً. أنا أعرف كل شيء حول الأمر.

بدت سنثيا مندهشة.

- ماذا تقصدين بذلك؟ ما من شيء لتعرفيه، أنا وماركو لسنا على علاقة. حصلَ القليل من الملاطفة في الفناء الخلفي في آخر مرة كنتما هنا، لكنها كانت أشياء غير مؤذية وشبيهة بأفعال المراهقين. كان ثملاً. كلانا كنا ثمليين، وانجرفنا. لم يكن هناك غاية من ذلك، وكانت تلك المرة الأولى والوحيدة التي لمس فيها أحدنا الآخر.

- لا أعرف لماذا تنكران ذلك. أعلم أنكما على علاقة غرامية.

أصرتْ آن وهي تنظر إلى سنثيا من فوق حافة فنجان القهوة.

رمقتها سنثيا عبر الطاولة، ممسكةً فنجانها بكلتا يديها وقالت:

- أخبرتك، وأخبرت الشرطة عندما كانوا هنا، بأننا تلاففنا قليلاً في الخارج. كنا ثمليين، هذا كل ما في الأمر. لم يكن هناك شيء بيني وبين ماركو من قبل أو منذ ذلك الحين. لم أره حتى منذ ليلة الاختطاف. أنت تتخيلين أشياء يا آن. (كانت نبرتها متعالية).

أصدرت هسيساً مفاجئاً:

- لا تكذبي عليّ! رأيت ماركو يخرج من بابك الخلفي بعد ظهر أمس.

(تصلّبت سنثيا). لذا لا تكذبي وتخبريني أنك لم تراه! وأعلم بشأن الهاتف المحمول.

- أي هاتف؟ (ارتفع أحد حاجبي سنثيا المرسومين بإتقان).

قالت آن:

- لا يهم.

تمنيةً أن تتراجع عن الجزء الأخير. تذكرت أن الهاتف المحمول قد يكون من أجل شخص آخر. حيرها كل ما يجري، لم تعد تستطيع فهم الأحداث. شعرت أن عقلها يتداعى. لطالما كانت حساسة، ولكن الآن، فقدت طفلتها، زوجها يخونها، ويكذب عليها، من قد لا يفقد عقله في موقف كهذا؟ ليس لأحد أن يلومها، ليس لأحد أن يلومها إذا فعلت شيئاً مجنوناً.

تغير تعبير وجه سنثيا فجأة. تلاشى القلق الكاذب، ونظرت إلى آن ببرود.

- هل تريدان أن تعرفي ما يجري يا آن؟ هل أنت متأكدة من أنك تريدان أن تعرفي؟

نظرت آن إليها وأربكها تغير نبرة صوتها، وتخيّلت سنثيا كفتاة في فناء المدرسة، الفتاة الطويلة والجميلة التي تسخر من فتيات قصيرات ممثلات الجسم وغير واثقات مثلها.

- نعم، أريد أن أعرف.

- هل أنت واثقة؟ لأنه بمجرد أن أخبرك، لن أستطيع سحب أقوالي. (وضعت سنثيا فنجانها على الطاولة).

قالت آن بنبرة حادة:

- أنا أقوى مما تظنين. (وضعت فنجانها على الطاولة بدورها، ومالت إلى الأمام فوق الطاولة، وقالت) لقد فقدت طفلي. ما الذي يمكن أن يؤذيني الآن؟

ابتسمت سنثيا ابتسامة باردة ومدروسة. جلست على كرسيها ونظرت إلى آن كأنها تحاول اتخاذ قرار. قالت:

- لا أعتقد أن لديك أي فكرة عما يحدث بالفعل.

- لم لا تخبريني إذا؟ (احتدت آن).



وقفت سنثيا، دفعت كرسيها خلفاً، فاحتك بأرضية المطبخ، وقالت:

- حسناً، ابقِ هنا، سأغيب لدقيقة فقط.

غادرت سنثيا المطبخ وصعدت إلى الطابق العلوي. تساءلت آن ما الذي قد تريد سنثيا أن تُريها. فكَّرت بالهرب، فإلى أي مدى يمكن أن تحتل الحقيقة؟ ربما هناك صور. صورٌ لها ولماركو معاً. سنثيا مصورة فوتوغرافية. ومن شيمها أن تلتقط صوراً لنفسها، لأنها رائعة جداً وسطحية. ربما ستريها صوراً لها في السرير مع ماركو. والتعبير على وجه ماركو سيكون مختلفاً تماماً عن التعبير على وجهه عندما يمارس الحب مع آن. وقفت، كانت على وشك أن تخرج من الباب الزجاجي المنزلق عندما ظهرت سنثيا في المطبخ وهي تحمل حاسوباً محمولاً. سألتها:

- هل قررتِ التراجع؟

- لا، أردت تنشقُّ الهواء.

كذبت آن. أغلقت الباب، وعادت إلى الطاولة.

وضعت سنثيا الحاسوب المحمول على الطاولة وفتحته. جلستا وانتظرتا بضع دقائق ريثما يتم تشغيله.

قالت لها سنثيا:

- أنا حزينة حقاً لما سأريك إياه، صدقيني.

حدّقت آن إليها، ولم تصدقها على الإطلاق، ثم تحول انتباهها المشتت إلى الشاشة. لم ترَ ما توقعته، كان فيديو بالأبيض والأسود يُظهر الفناء الخلفي لسنثيا، ووراءه، الفناء الخلفي لمنزل آن. لاحظت طابع التاريخ والوقت أسفلهُ، شعرت بالبرد يعتريها.

قالت سنثيا:

- انتظري.

توقّعت أن ترى ذلك الرجل الميت يأخذ طفلتها. سنثيا قاسية لهذه الدرجة. وقد كان لديها تسجيل الفيديو طوال الوقت.

«لماذا لم تعرض هذا على الشرطة؟» سألت آن وعيناها معلقتان على الفيديو، مترقّبةً.

لم تصدّق أنّ ما رآته، ظهر ماركو عند بابهما الخلفي في الساعة 12:31 وفكّ مصباح كاشف الحركة، فانطفأ الضوء.

شعرت أنّ بالدم ينسحب من أطرافها. رأت ماركو يدخل المنزل. مرّت دقيقتان، ثم انفتح الباب الخلفي. خرج ماركو من المنزل وكورا بين ذراعيه ملفوفة في بطانيته البيضاء. نظر حوله كما لو ليتأكّد إن رآه أحد، ونظر مباشرة إلى الكاميرا، ثم مشى مسرعاً إلى المرآب ودخل عبر الباب. خفق قلب آن بقوة بين أضلاعها. بعد دقيقة، رأت ماركو يخرج من المرآب دون الطفلة. عند الساعة 12:34، خطا على العشب باتجاه المنزل، حيث اختفى عن الأنظار لفترة وجيزة، ثم عاد مرة أخرى إلى الفناء الخلفي لعائلة (ستلويل).

قالت سنثيا كاسرةً الصمت:

- لذلك كما ترين، الأمر لا يتمحور حول علاقة غرامية بيني وبين ماركو. خطف ماركو طفلتك.

كانت أنّ مصعوقة كلياً ومرتاعة، ولم تستطع أن تجيبها.

قالت سنثيا:

- قد ترغبين في سؤاله عن مكانها.

## الفصل الواحد والثلاثون

استقرت سنثيا في كرسيها مريحة وقالت:

- باستطاعتي أن آخذ هذه الدلائل إلى الشرطة، لكنك قد لا تفضلين ذلك. أنت من عائلة غنية، أليس كذلك؟

اندفعت آن وفتحت الباب وخرجت تاركة وراءها سنثيا تجلس وحدها على الطاولة وأمامها الحاسوب المحمول. صورة ماركو وهو يحمل كورا إلى المرآب في الساعة 12:33 صباحًا نُقِشت في ذاكرتها وحُفرت في أعماقها. لن تستطيع أن تُخرج تلك الصورة من مُخيلتها أبدًا. ماركو أخذ طفلتها. لقد كان يكذب عليها طوال تلك المدة. باتت لا تعلم بمن هي متزوجة. هرعت إلى منزلها ودخلت من الباب الخلفي، كانت تتنفس بصعوبة.

انهارت على أرضية المطبخ مستندة إلى الخزانة السفلية تنسج وترتعش، بكّت ولهت لتلتقط أنفاسها وهي تُعيد تلك المشاهد في مُخيلتها مرارًا وتكرارًا. لقد غير ذلك كل شيء. ماركو أخذ طفلتها، لكن لماذا؟ لماذا فعل ذلك؟ يستحيل أن تكون كورا قد ماتت حينها وفعل ذلك لحمايتها. وضّح لها المحقق رازباك استحالة حدوث ذلك. لو كانت

قد قتلت كورا واكتشفَ ماركو ذلك بحلولِ السَّاعةِ 12:30 فيستحيل أن يكون قد حصلَ على مساعدةِ شريكٍ في الجريمةِ بحلولِ السَّاعةِ 12:35 وقد عرفتَ أنه أخرجَ كورا من المنزلِ عندَ السَّاعةِ 12:33 تمامًا.

لا بُدَّ أنه عقد اتفاقًا مع أحدهم، لرُبَّما اتَّفَقَ مع الرَّجلِ الميِّتِ لينتظره في سيَّارتهِ في المرآبِ عندَ الثَّانيةِ عشرة والنِّصْفِ عندما كان دورُه في تفقُّدِ كورا. لقد خَطَّطَ لهذا كله. خَطَّطَ له مع هذا الرَّجلِ الذي مات الآن. هذا الرَّجلِ الذي تشعرُ أن أنها قد رأته من قبل، لكن أين؟ لقد كان ماركو وراءَ تلك الألعوبة ولم تعلم بشأنها. اختطفَ ماركو طفلتها بمساعدةٍ من ذلك الرَّجلِ الميِّتِ. أين طفلتها الآن؟ ومن أخذها من الرَّجلِ في الكوخ؟ ما الذي قد حدث بحقِّ الله؟ وكيف له أن يفعل ذلك؟ احتضنت أن رُكبتها وهي تجلسُ على أرضيَّةِ المطبخِ محاولةً أن تجدَ حلاً. فكَّرت في الذهابِ إلى الشُّرطة، وإخبارِ المحقِّقِ رازباك بما رأته، فبإمكانه الحصولُ على ذلك الشَّريطِ المصوَّر من سنثيا. خَمَّنت بأنَّ سنثيا تبتزُّ ماركو بواسطةِ الشَّريطِ لهذا لم تسلِّمهُ للشُّرطة من تلقاءِ نفسها، فهي تريدُ أن تُحكم سيطرتها عليه. هذا من شيم سنثيا. لماذا قد يقوم ماركو باختطاف كورا؟ إن لم يكن ذلك لحمايةِ آن، فلا بُدَّ أنه لحمايةِ مصالحه الشخصيةِ. السَّببُ الوحيدُ المُحتملُ هو المال، أرادَ الحصولُ على نقودِ الفدية، أموالِ والديها. يا لها من فكرةٍ مُروِّعة! لقد فهمت الآن أنَّ عمله لا يسيرُ بشكلٍ جيِّد، وتذكَّرت أن ماركو جعلها توفِّعُ أوراقَ الرِّهنِ العقاريِّ منذ بضعةِ أشهرٍ ليحصلَ على رأسِ المالِ من أجلِ توسيعِ مجالِ عمله. ظنَّت سابقًا أنَّ عمله يزدهرُ أسرعَ من المُتَوَقَّعِ وأنَّ كلَّ شيءٍ على ما يُرام. رُبَّما كان يكذبُ عليها حينها أيضًا. بدأ كلُّ شيءٍ يتَّضحُ عندها: إفلاسُ العملِ، ورهنُ المنزلِ، وتدبيرُ اختطافِ طفلتهِ، دمه ولحمه. لكن لماذا لم يُخبرها عن مشكلاته في العملِ بكلِّ بساطةٍ؟

كانَ بإمكانهما اللُّجوءُ إلى والديها وطلبِ المزيدِ من المالِ منهما، لماذا فعلَ ذلك الشَّيءُ الشَّائنُ؟ لماذا أخذَ طفلتهما العزيزة ووضعهما

بين أيدي ذلك الرجل الذي ضربَ بالرِّفْشِ حتَّى الموت؟ هل ذهبَ ماركو إلى ذلك الكوخِ بعدَ استلامِ أموالِ الفديةِ وواجهَ الرجلَ وقتلَهُ من شدَّةِ غضبه؟ هل ماركو قاتلٌ أيضًا؟ تساءلتُ آنَ أيضًا إن كانت قد سنحتَ له الفرصةُ أن يذهبَ إلى الكوخِ وأن يعودَ دونَ ملاحظتها لذلك، حاولتُ أن تتذكَّرَ في أيِّ يومٍ وقعَ ذلك، وأن تسترجعَ كلَّ يومٍ مضى بعدَ حادثةِ الاختطافِ، لكنَّ جُلَّ ما وجدتهُ في رأسها كانَ مزيجًا مُشوِّشًا ميوؤوسًا منه. هل كانَ الهاتفُ النَّقالُ جزءًا من هذا؟ أدركتُ هنا أنها كانت على خطأ في البداية، وأنَّه لا يتعلَّقُ بالمسائلِ الغراميةِ، سواء مع سنثيا أو أيِّ أحدٍ غيرها. إنَّه مُتعلِّقٌ بالاختطافِ. لقد خطفَ ماركو ابنتهما.

الرجلُ الذي تزوجته.

جلس هناك في مطبخهما وحدثها بأنَّ الرجلَ المقتولَ بدا مألوفًا له. أصبحتُ خائفةً من زوجها الآن، لم تعلم ماهيةَ ذلك الرجلِ وبدأتُ تتخيَّلُ ماذا بوسعه أن يفعلَ أيضًا. هل أحبَّها قط؟ أم تزوجها فقط من أجلِ المال؟ ماذا عليها أن تفعلَ الآن؟ تساءلتُ آنَ، هل تذهبُ إلى الشُّرطة لتخبرهم بما تعرفه؟ ما الذي قد يصيبُ كورا إن فعلتَ ذلك؟ بعدَ زمنٍ طويلٍ من التَّفكيرِ، نهضتُ عن الأرضِ، وحسَّتُ نفسها على صعودِ السلمِ بسُرعةٍ على الرغمِ من تعثُّرها. أخرجتُ حقيبتها وبدأتُ بتوضيبِ أغراضها.

خرجتُ من سيارةِ الأجرةِ ووقفتُ على عتبةِ ممرِّ السيَّاراتِ أمامَ منزلِ والديها. ذلكَ المنزلُ الكبيرُ الذي نشأتُ فيه. المنزلُ الحجريُّ الواسعُ والمُتَرَفُ، ذو الحداثقِ التي تطلُّ على وادٍ مُشجَّر. دفعتُ لسائقِ السيَّارةِ ووقفتُ هناكَ لدقيقةٍ تنظرُ إلى المنزلِ وحقيبةِ أغراضها عندَ قدميها. كانتِ المنازلُ تتناثرُ بعيدةً عن بعضها في تلكَ المنطقةِ لذلكَ عرفتُ أنَّ أحدًا لن يراها ما لم يصدُفَ وجودُ أمِّها في المنزلِ تنظرَ من النَّافذة. تذكَّرتُ بشكلٍ جيِّدٍ ذلكَ اليومَ الذي خطتُ فيه خارجَ ذلكَ المنزلِ لتصعدَ إلى دراجةِ ماركو

مُعلنةٌ أنّها مُغرمةٌ به. لقد حدثَ الكثير، وتغيَّرَ الكثيرُ أيضًا.. كرهتِ العودة لوالديها، فهذا اعترافٌ واضحٌ بأنَّهما كانا عليَّ حقٌّ بشأنِ ماركو. لم تكنْ تريدُ التصديق، لكنَّها رأتِ الدليلَ على ذلكِ بأَمِّ عينيها. لقد خالفتِ رغبةَ أبويها حين تزوّجتِ ماركو، عرفتِ حينها ما أرادهُ قلبها وعقلها، لكنَّها ما عادت تعرفُ شيئًا. هناك، أمامَ ممرِّ منزلِ والديها، تذكّرتِ أنّ فجأةً وعلى حينِ غرّةٍ أينَ رأتِ ذلكَ الرَّجُلِ الميِّت. انتفضتِ أنّ كورقةَ خريفيةٍ طيرتها الرِّيح، مُحاولَةً فهمَ تلكَ المعلومةَ الجديدة التي راودتها. أخرجتِ حينها هاتِفها النّقّال واستدعتِ سيّارةَ أجرةٍ جديدة.

\*\*\*

حاولَ ماركو الوصولَ إلى ريتشارد مُجددًا، فتركَ رسالةً وجيزةً أُخرى على بريدهِ الصّوتيِّ. ريتشارد يُعاقِبُهُ من خلالِ عدمِ اطلاعه على ما يجري، سيتولّى الأمرَ برُمّتِهِ ولن يدعَ ماركو يعرف شيئًا حتّى ينتهي كلُّ شيء، حتّى تعودَ كورا سالمةً، هذا إن عادت. اعترافَ ماركو في قرارةٍ نفسه أنّ هذه الطّريقة هي المُثلى. إن كان هُنالك أحدٌ قد ينجح في تلكَ العمليّة فهو ريتشارد، ريتشارد وحقايبه المليئة بالأموال وأعصابه الحديدية. كان ماركو مُتعبًا جسديًا وعاطفيًا، لم يرغبَ بأكثرَ من الاستلقاءِ على أريكةِ مكتبهِ والنّوم لبضع ساعات، وأن يستيقظَ على مُكالمة هاتِفية تُطمئنُهُ أنّ كورا عادت للمنزلِ بخير. لكن ماذا سيحدثُ بعد ذلك؟ سألَ نفسه. تذكّرَ أنّه يوجدُ زجاجةٌ من مشروبِ (السكوتش) في القسمِ الخلفيِّ من أحدِ أدراجِ خزانةِ المشروب. توقّفَ عن المشي وتحركَ نحو خزانةِ المشروب، فتحَ الدُّرَجَ حيثُ كانت زجاجةُ (السكوتش) نصفَ فارغة، تناولَ كأسًا مخبّأةً في خزنةِ المشروب، وصبَّ لنفسِهِ جرعةً كبيرة، واستأنفَ مشيهِ. لم يستطعَ تقبُلَ احتماليّةَ عدمِ رؤيةِ كورا مُجددًا، كما أثارتِ ذعره فكرةَ اعتقالهِ وإدخالهِ السّجن. كانَ مُتأكّدًا أنّه إن دخلَ السّجنَ فالمُحامي سيتمكّنُ من تبرئته. لكنَّ «أوبري ويست» لن يُمثّله في المحكمةِ لأنَّ والدي أنّ لن يدفعوا له أتعابَهُ وهو لا يملكُ

قِرْشًا ليدفعهُ لذلك المُحامي المرموق. أعادَ تعبئةَ كأسه من الزُّجاجةِ المفتوحة على ورقِ النشَافِ فوقَ مكتبهِ باهظِ الثَّمَن. أدركَ مدى قلقهِ، فهو يُفكِّرُ منذ الآنَ عمَّا سيفعلهُ إن دخلَ السِّجَن. بدا له السِّجَنُ حتميًا، وأن لن تَقِفَ بجانبهِ أبدًا، لاسيَّما بعدَ أن يُخبرها والدُها بالحقيقة. لماذا قد تَقِفَ بجانبهِ؟ ستكرهُه حتمًا! لو فعلت هي ذلك، فما كان لِيُسامحها أبدًا. وهناك أيضًا سنثيا وتسجيل الفيديو. غرقَ ماركو في التَّفكيرِ كما غرقَ أنفه في كأسِ المشروب، ولأوَّلِ مرَّةٍ أخذَ فكرةَ إخبارِ الشرطَةِ في الحسبان. ماذا إن أخبَرَ المُحقِّقَ رازباك ببساطةٍ أنَّه تقابلَ مع بروس والذي اتَّضحَ أنَّ اسمَهُ الحقيقيَّ هو (ديريك هونيغ)، وواجهَ مشكلاتٍ في عملِهِ. نعم إنَّ والدَ زوجته رفضَ أن يُعيَنه. نعم، لقد خطَّطَ لِأخذِ طفلتِهِ وإخفائها لبضعةِ أيَّامٍ ليحصلَ على مالِ الفديةِ من والدي زوجته. لكنَّها في الواقع لم تُكُنْ فِكْرَتَهُ، لقد كانت فكرةَ «ديديك هونيغ»، فهو من اقترحَ وخطَّطَ لذلك كُلِّه.

في منظورِ ماركو كانت تلكَ مجرَّدُ وسيلةٍ للتَّحايُلِ والحصولِ على جزءٍ من إرثِ زوجته، لم يَكُنْ من المُفترضِ أن يموتَ أحد، لا شريكه، ولا طفلتُهُ بالتأكيد. ماركو كان ضحيَّةً في هذه الجريمةِ أيضًا، لم يكن بريئًا، لكنَّهُ ضحيَّةٌ مع ذلك. فقد كان يائسًا ووقعَ في شِراكِ خُطَّةِ شخصٍ أعطاهُ اسمًا مُزيَّفًا، وحثَّهُ على القيامِ بعمليةِ الخطفِ من أجلِ مكاسبِهِ. بإمكانِ مُحامٍ جيِّدٍ مثل «أوبري ويست» تليفوقُ قصةٍ مُحكمةٍ لتبريرتِهِ. فكَرَّ ماركو أنَّه باستِطاعتِهِ الاعترافُ للمُحقِّقِ رازباك بكلِّ شيءٍ حالما تعودُ كورا للمنزل. من المُمكنِ أن يذهبَ للسِّجَن، لكن إن نَجَتِ كورا من هذا فستكونُ مع أمِّها، وريتشارد لن يحملَ أيَّ شيءٍ ضدهُ. وسنثيا ستكونُ عاترةَ الحظِّ، لأنَّهُ سيحرصُ على أن تدخلَ السِّجَنَ بتُهمةِ الابتزاز. للحظةِ تصوَّرَ سنثيا ترتدي بذلةَ سجنٍ برتقاليَّةٍ باليةٍ وشعرها غيرَ نظيف. نظرَ للأعلى أثناءَ مشيه، فوقعَتَ عيناه على انعكاسِهِ في المرآةِ الضَّخمةِ المُعلَّقةِ على الجدارِ المقابلِ للنَّافذةِ، وبالكادِ استطاعَ التَّعرُّفَ على نفسه.





## الفصل الثاني والثلاثون

عادَ ماركو إلى المنزلِ عند حلولِ الظَّلامِ. كان قد شَرِبَ الكثير، لذلك تركَ سيارَتَهُ مركونةً واستقلَّ سيارَةَ أجرة. وصلَ إلى المنزلِ بشعرٍ أشعثٍ وعينين حمراوين وجسدهُ قد أضناهُ التَّوترُ والإرهاقُ مع كلِّ الكحولِ الذي شَرِبَهُ. دخلَ من البابِ الأماميِّ، وصاحَ «آن» مُتسائلاً أين هي. كان المنزلُ مُعتمًا وبدا فارغًا وهادئًا تمامًا. تسمَّرَ واقفًا واستمعَ لذلك الهدوءِ برهَةً. رُبَّمَا ليستَ هنا. «آن» صاحَ مُجدِّدًا بصوتٍ أعلى وأكثرَ قلقًا. تقدَّمَ أكثرَ باتجاهِ غرفةِ المعيشةِ، وتوقَّفَ حينَ رآها. كانت آن جالسةً على الأريكةِ في الظَّلامِ ثابتةً تمامًا. تحملُ بيدها سكينًا كبيرًا، تعرَّفَ عليه ماركو، كان سكينٌ تقطيعِ اللَّحْمِ من مجموعةِ السَّكاكينِ الموجودةِ على منضدةِ مطبخِهما. بدأ الدَّمُ ينسحبُ من قلبه ليَسْبَحَ في قَدَمَيْهِ من الخوفِ. أخذَ خطوةً حذرةً للأمامِ مُحاولًا رؤيتها من كُتْب. «ما الذي تفعلهُ بجلوسِها في الظَّلامِ حاملةً السكينِ؟» تساءلَ ماركو.

- آن؟

قالَ ماركو ذلكَ بهدوءٍ. بدتْ وكأنَّها فاقدةٌ للوعي، أخافتهُ بحقٍّ.

- آن، ما الذي حصلَ؟

تحدّث إليها كأنّه يُحدّث حيوانًا خطيرًا. حينَ لم تُجِبْهُ أعادَ السُّؤالَ  
بنفسِ النَّبْرَةِ الهادِئَةِ:

- آن، ماذا تفعلينَ بالسُّكّينِ؟

احتاجَ إلى أن يُشعلَ الأنوارَ، فتحرّكَ ببطءٍ نحو المصباحِ على الطَّاولَةِ  
الجانبِيَّةِ.

- لا تقتربِ مِنِّي!

قالَتْ آن ذلك وهي ترفعُ السُّكّينَ في وجهه. وقفَ ماركو محددًا إليها،  
بالطَّرِيقَةِ التي تحملُ بها السُّكّينَ وكأنَّها مُستعدَّةٌ لاستخدامها.

- أنا أعلمُ ما الذي فعلته.

قالَتْ آن ذلك بصوتٍ يائسٍ وخافِتٍ. لا شكَّ أنّها كانت تُحدِثُ والدَها،  
لقد جرّبتِ الأمورَ على نحوِ خاطئٍ وبشكلٍ مُريعٍ! (فكّرَ ماركو). تملَّكهُ  
اليأسُ حينَ أدركَ كم كانَ يعتمدُ على والدِ زوجته في إنقاذِ الموقفِ،  
واستعادةِ كورا منهم. لكن من الواضحِ أنّ كُلَّ شيءٍ قد انهار. لقد ضاعت  
طفلتُهُ من بينِ يَدَيْهِ إلى الأبد. والدُ آن أخبرها بالحقيقة، أمّا الجزءُ الأخيرُ:  
زوجتُهُ فقدتِ عقلها.

سألَ ماركو مُجبرًا صوتهُ أن يبقى هاديًا:

- لمَ السُّكّينَ يا آن؟

قالَتْ آن:

- من أجلِ الحماية.

- الحماية مِنَّن؟

- منك أنت.

- لستِ بحاجةٍ لتحمي نفسك مِنِّي.

قالَ ماركو ذلك في الظُّلام. تساءلَ في نفسه: بِمَ أخبرها والدَها؟ ما  
الأكاذيب التي أخبرها إيّاها؟ فكّرَ ماركو أنّه لا يتعمدُ أبدًا إيذاءَ طفلتُهُ

وزوجته، كان الأمرُ برُمَّتِهِ خطأً فادِحًا، لا يتوجَّبُ على زوجته الخوفُ منه.

- أنتَ خَطِرٌ يا ماركو بِخَطَطِكَ والأعيبِكَ هذه.

- هل رأيتِ والدِكَ؟

- لا.

- لكنَّكَ تحدَّثتِ إليه.

- لا.

- مع من تحدَّثتِ إذا؟ (سألها وهو لا يستوعِبُ ما يحدث).

- لا أحد.

- إذا لماذا تجلسينَ هنا في الظلامِ ومعكِ السَّكِين؟

أرادَ أن يُشعلَ الأنوارَ لكنَّهُ لم يشأَ أن يُفزعها.

- كلا، هذا ليسَ صحيحًا (قالتَ أن مُتذكِّرةً). لقد رأيتُ سنثيا.

صمتَ ماركو مرعوبًا.

- لقد أرَنتني الشَّريطَ المصوِّرَ.

رمَقتهُ بنظرةٍ مُريعة، امتزجَ فيها الألمُ والغضبُ وكُرهٌ عميق. انحنى

ماركو لأنَّهُ شعرَ برُكبتيه تَضَعُفان. لقد انتهى كلُّ شيءٍ الآن. ربَّما أن

تريدُ قتلهُ لاختطافه طفلتَهُما. لم يستطعَ لومها، أرادَ أن يحملَ السَّكِين

ويفعلَ ذلكَ بنفسه. فجأةً أصبحَ باردًا وغيرَ مُبالٍ. احتاجَ إلى أن يرى

السَّكِين، أن يعرفَ إن استخدمتهُ أم لا، لكنَّ المكانَ كانَ مُظلمًا جدًّا. لم

يستطيعَ رؤيتها بوضوحٍ ليَرى إن كانَ هنالكَ دمٌ عليها أو على السَّكِين.

تقدَّمَ خطوةً أخرى نحوها وتوقَّف. عيناها كانتا تُرعبانه.

- أنتَ اختطفتَ كورا. لقد رأيتُ ذلكَ بأَمِّ عيني. لقد حملتها إلى خارج

المنزلِ، ولففتها بالبَطَّانية، ثمَّ أخذتها إلى المرآبِ ذلكَ الرَّجُلُ

أخذها منك، لقد خطَّطتَ لذلكَ كُلِّه. لقد كذبتَ عليَّ باستمرارٍ طوال

هذه المُدَّة. (كانت نبرة صوتها غير مُصدِّقة لما تقوله). ومن ثمَّ حينَ قامَ ذلك الرَّجُلُ بخيانَتِكَ، ذهبتَ إلى ذلك الكوخ، وأشبعتهُ ضربًا بالرَّفشِ حتَّى الموت. (أصبحتَ أكثرَ اندفاعًا الآن).

- كلاً يا آن، لم أفعل ذلك. (قالَ ماركو ذلك مذعورًا).
- ثمَّ جلستَ إلى طاولةِ المطبخِ بجانبِي وقلتَ لي إنَّه يبدو مألوفًا. شعَرَ ماركو بغثيانٍ حينَ تخيَّلَ كيف يبدو لها الموضوعُ، وكيف تعقَّدَ كلُّ شيءٍ. انحنتَ آن إلى الأمامِ حاملةً السَّكِّينَ بيديها الاثنتينِ وبإحكام.
- لقد كنتُ أعيشُ معكَ في هذا المنزل طوال هذه المُدَّة منذ اختفاءِ كورا وكلُّ هذا الوقتِ كنتُ تكذبُ عليَّ بشأنِ كلِّ شيءٍ. (نظرتَ إليه واسترسلتَ قائلةً) بتُّ لا أعرفُ من تكون.

أبقى ماركو عينيه على السَّكِّينِ وقالَ بيأسٍ:

- أخذتها، نعم قمتُ بأخذها يا آن لكنَّ الأمرَ ليس كما تظنَّين! لا أعلمُ ماذا أخبرتكِ سنثيا، فهي لا تعلمُ أيَّ شيءٍ عن الموضوع. إنَّها تبتزُّني، تحاولُ استخدامَ الشَّرِيطِ المُصوَّرِ ضديَّ لتحصلَ على المالِ منِّي. (حدقتَ آن إليه وعيناها تتسعانِ في الظلامِ) بإمكانِي أن أشرحَ لكِ يا آن! الأمرُ ليس كما يبدو على الإطلاق. استمعي لي! عانيتُ ضائقةَ مالية، والعملُ لم يَكُنْ يجري على ما يُرام، كنتُ أواجهُ تقلُّباتٍ كثيرة، ومن ثمَّ قابلتُ ذلك الرَّجُلَ.. «ديريك هونيغ».
- (تلعثمَ ماركو واستأنفَ حديثه) لقد أخبرني أن اسمَه «بروس نيلاند» بدا لي شخصًا لطيفًا، فأصبحنا صديقين. هو من اقترحَ فكرةَ الاختطاف، لقد كان الأمرُ برُمَّتهِ فكرتهُ هو. كنتُ بحاجةَ ماسَّةٍ إلى المال، قال لي إنَّها وسيلةٌ سريعةٌ وسهلة، وأنَّ أحدًا لن يتعرَّضَ للأذى. هو من قامَ بالتَّخطيطِ لهذا كُلِّه!

توقَّفَ ماركو ليلتقطَ أنفاسه، وهي تُحدِّقُ إليه بعينينِ مُتجهمتين. حتَّى وإن كانت كذلك فقد شعرَ بالرَّاحةِ جرَّاءِ الاعترافِ لها وإخبارها بالحقيقة.

- لقد أخذتُ كورا إليه في المرآب. كان من المُفترض أن يُهاتفنا خلال اثنتي عشرة ساعة، وأن نسترجعها خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر. كان من المُفترض أن يتمَّ الأمر بسرعةٍ وسهولة. (قالَ ماركو بمرارةٍ) لكننا لم نسمَع خبراً منه. لم أعلم ما الذي يجري، حاولتُ الاتصال به بذلك الهاتفِ النُّقال الذي وجدته، وهذا ما كان مُخصَّصاً من أجله، لكنَّهُ لم يُجب على مُكالمتي. لم أعرف ماذا أفعل، لم أملكِ وسيلةً أخرى للوصولِ إليه. ظننتُ أنَّه قد أضاع هاتِفَهُ، أو أنَّه تراجعَ عن الأمرِ من خَوْفه، أنَّه قتلها وفرَّ خارجَ البلاد. (وراح يتنهدُّ. توقَّفَ عن الكلامِ لِيستعيدَ قواه) كنتُ أهلعُ وكانَ الأمرُ جحيماً مُحتمَّماً بالنسبةِ لي أيضاً يا آن، ليستَ لديكِ أدنى فكرة.

- لا تَقُل لي ليسَ لديكِ فكرة! (صرختُ آن) بسببِكِ اختفتِ طفلتُنَا! حاولَ أن يُهدئَ من رَوْعِها بخفضِ صوتِهِ. كانَ عليه أن يُخبرها بكلِّ شيءٍ وأن يبوحَ بكل ما لديه.

- عندما وصلنا رداء الطفلة عبرَ البريد، ظننتُهُ يحاولُ الوصولِ إليّ، أو أنَّ شيئاً ما قد حصل لها تِفَهُ المحمول، وكانَ خائفاً من مُكالمتي مباشرةً. ظننتُ أنَّه يُحاولُ إعادَتِها إلينا. حتَّى عندما رفعَ قيمةَ الفديةِ لخمسةِ ملايين، لم يَخطرُ على بالي أنَّه قد يخونني. خَشيتُ فقط ألا يدفَع والديكَ الفدية. ظننتُ أنَّه رفعَ مبلغَ الفديةِ لأنَّهُ شعرَ بتزايدِ الخَطر. (توقَّفَ ماركو عن التحدُّثِ لدقيقة. غمرتهِ المشاعر بعدَ أن باحَ بكلِّ مكنوناتِ قلبه). لكن عندما وصلتُ إلى هُناك. لم تَكنَ كورا موجودةً. (ثمَّ انهارَ وراحَ يشهقُ) كان من المُفترضِ أن تكونَ هُناك، لا أعلمُ ما الذي حصلَ يا آن، أقسمُ لك، لم أقصدُ أن يتأذى أحد، لا أنتِ ولا كورا خاصَّةً.

جثا على رُكبتَيْهِ أمامها. باستطاعتِها أن تدقَّ عنقَهُ إن شاءت، لكنَّهُ غيرُ مُبالٍ.

- كَيْفَ أَمَكَّنَكَ؟ (هَمَسَتْ أَنْ) كَيْفَ أَمَكَّنَكَ أَنْ تَكُونَ بِهَذَا الْغَبَاءِ؟  
(رَفَعَ مَارَكَو رَأْسَهُ بَتَعَاسَةٍ وَنَظَرَ إِلَيْهَا). لِمَ لَمْ تَسْأَلْ أَبِي لِيُعْطِيكَ  
الْمَالَ، إِنْ كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ بِهَذِهِ الشَّدَّةِ؟
- لَقَدْ فَعَلْتَ (قَالَ مَارَكَو بَحِدَّةٍ)، لَكِنَّهُ رَدَّنِي خَائِبًا.
- لَا أَصَدِّقُكَ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ.
- لِمَ قَدْ أَكْذَبَ؟
- أَنْتَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى الْكِذْبِ يَا مَارَكَو.
- اسْأَلِيهِ هُوَ إِذَا.

حَمَلَقَ كِلَاهُمَا بِالْآخِرِ لِبُرْهَةٍ ثَمَّ قَالَ مَارَكَو بِهَدْوٍ أَكْثَرَ:

- لَكَ كُلُّ الْحَقِّ أَنْ تَكْرهِيَنِي يَا أَنْ، أَنَا أَكْرَهُ نَفْسِي لِمَا فَعَلْتَ، لَكِنْ  
لَيْسَ عَلَيْكَ الْخَوْفُ مِنِّي.
- حَتَّى بَعْدَ أَنْ أَوْسَعْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ ضَرْبًا؟ بِالرَّفْشِ؟
- لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ!؟
- لِمَاذَا لَا تُخْبِرُنِي بِكُلِّ شَيْءٍ يَا مَارَكَو؟
- لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ كُلَّ شَيْءٍ! لَمْ أَقْتُلْ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِي الْكُوخِ.
- إِذَا مِنْ فَعْلَاهَا؟

- لَوْ عَلِمْنَا ذَلِكَ لَعَلِمْنَا مَنْ بَحَوَزْتَهُ كُورَا! «دِيرِيك» لَمْ يَكُنْ لِيُؤْذِي  
كُورَا، أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ ذَلِكَ. لَمْ يَكُنْ لِيُؤْذِيهَا أَبَدًا، لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيهِ إِيَّاهَا  
إِنْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ يُوْذِيهَا.

لَكِنْ عِنْدَ قَوْلِهِ ذَلِكَ دُعِرَ مَارَكَو لِتَرْكِهِ طِفْلَتَهُ بِحَوْزَةِ شَخْصٍ آخَرَ  
بِسَهْوَةٍ. كَانَ يَأْتِسُّ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ عَنِ الْمَخَاطِرِ. لَكِنَّ ذَلِكَ لَا  
يُقَارَنُ بِالْيَأْسِ الَّذِي يَشْعُرُ بِهِ الْآنَ. لِمَ قَدْ يُوْذِي «دِيرِيك» كُورَا؟ لَا يَمْلِكُ  
سَبَبًا لِفَعْلِ ذَلِكَ. إِلَّا إِنْ أَصَابَهُ الدُّعْرُ. قَالَ مَارَكَو:

- أَرَادَ الْقِيَامَ بِالْمُبَادَلَةِ، الْحَصُولَ عَلَى مَالِهِ، وَأَنْ يَخْتَفِيَ. لَا بُدَّ أَنْ  
أَحَدًا مَا وَجَدَهُ هُوَ وَكُورًا، قَتَلَهُ وَأَخَذَهَا، وَمِنْ ثَمَّ احْتَالُوا عَلَيْنَا.  
تَوَسَّلَ لِأَنْ قَائِلًا:

- يَجِبُ أَنْ تُصَدِّقَنِي يَا أَنْ، لَمْ أَقْتُلْهُ، كَيْفَ بِإِمْكَانِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ؟  
كَنتُ هُنَا مَعَكَ مُعْظَمَ الْوَقْتِ، أَوْ فِي الْمَكْتَبِ، لَمْ يَكُنْ بِاسْتِطَاعَتِي  
قَتْلَهُ.

كَانَتْ أَنْ صَامَتَهُ تُفَكِّرُ بِمَا قَالَهُ، ثُمَّ هَمَسَتْ:

- لَا أَعْلَمُ مَاذَا أَصْدُقُ.

- لِهَذَا قَمْتُ بِالذَّهَابِ إِلَى الشُّرْطَةِ (وَضَحَّ مَارِكُو) أَخْبَرْتُهُمْ بِأَنِّي  
رَأَيْتُهُ يَتَجَوَّلُ حَوْلَ الْمَنْزِلِ، كَيْ يَتَحَرَّوْا أَمْرَهُ، أَرَدْتُ تَوْجِيهَ رِجَالِ  
الشُّرْطَةِ فِي الْإِتِّجَاهِ الصَّحِيحِ. عَلَّهْمُ يَجِدُونَ مَنْ قَتَلَهُ، وَيَعْتَرُونَ  
عَلَى كُورًا مِنْ دُونِ أَنْ أَسْلَمَ نَفْسِي لَهُمْ. لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَوَصَّلُوا لِشَيْءٍ  
كَالْعَادَةِ. (تَابَعَ بِصَوْتِ مَقْهُورٍ) عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا مُجَرَّدُ مَسْأَلَةٍ  
وَقْتٍ لِعِتْقَالِي.

- سَيَعْتَقِلُونَكَ بِسُرْعَةٍ إِنْ شَاهَدُوا ذَلِكَ الشَّرِيْطَ. (تَمْتَمَتْ أَنْ بِمِرَارَةٍ).  
نَظَرَ مَارِكُو إِلَيْهَا، لَمْ يَعْلَمْ إِنْ كَانَتْ تُفَضِّلُ أَنْ تَعْتَقَلَهُ الشُّرْطَةُ أَمْ لَا.  
بَاتَتْ قِرَاءَةً أَفْكَارَهَا صَعْبَةً جَدًّا.

- أَخَذْتُ كُورًا وَسَلَّمْتُهَا لـ«دِيرِيك»، حَاوَلْنَا الْحَصُولَ عَلَى الْمَالِ مِنْ  
وَالدِيكِ، لَكِنِّي لَمْ أَقْتُلْ دِيرِيكِ، لَمْ أَكُنْ لِأَقْتُلْ أَيَّ أَحَدٍ، أَقْسَمُ لَكَ.  
(وَضَحَّ كَفِيهِ بِحَنِيةٍ عَلَى رُكْبَتَيْهَا وَقَالَ) أَنْ، أَعْطِنِي هَذِهِ السُّكَّيْنَ.

نَظَرَتْ إِلَى السُّكَّيْنِ فِي يَدَيْهَا وَكَأَنَّهَا لَا تَعْلَمُ بِوُجُودِهَا. لَا يَهُمُّ مَا  
اقْتَرَفَهُ مِنْ ذَنْبٍ، وَالْفَسَادُ الَّذِي عَاتَهُ، لَمْ يَشَأْ أَنْ يَكُونَ مَسْئُولًا عَنْ أَيِّ  
أَدْيَةٍ جَدِيدَةٍ. إِنَّ وَضْعَهَا مُقْلَقٌ. تَحَرَّكَ حِينَهَا وَأَخَذَ السُّكَّيْنَ بِلُطْفٍ وَهِيَ  
لَمْ تُقَاوِمِهِ. تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ حِينَ رَأَى نَصَلَ السُّكَّيْنِ نَظِيْفًا، لَا دِمَاءَ عَلَيْهِ.

تفحصها من كتب ونظر إلى معصمها، لم يلحظ دمًا في أيِّ مكان،  
لم تؤذ نفسها. كانت السكّين من أجله، كي تحمي نفسها منه. وضع  
السكّين على الطاولة الجانبية ونهض عن الأرض ليجلس بجانبها على  
الأريكة مواجهًا لها. سألتها:

- هل تحدّثت مع أبيك اليوم؟
- لا، لكنني ذهبتُ إلى منزلِ والديّ اليوم.
- ظننتكِ قلتِ أنكِ لم تريهما.
- لم أفعل، لقد حزمتُ حقيبةً وكنْتُ عازمةً على هجركِ. (قالت  
بمرارة) كرهتكَ بعدَ أن رأيتُ الشريط المصوّر وغادرتُ منزل  
سنثيا فقمْتُ بذلك. (ثمَّ عادت نبرةُ الغضبِ إلى صوتها) ظننتكِ  
قاتلاً وكنْتُ خائفةً منك.
- أتفهّمُ تمامًا نفوركِ منيَ آن، وأتفهّمُ أنكِ لن تُسامحيني أبدًا (قالها  
بصوتٍ مخنوق)، لكنكِ لستِ بحاجةٍ للخوفِ مني، فأنا لستُ بمُجرمٍ.  
أشاحت بنظرها عنه وكأنّها لا تتحمّلُ النظرَ إليه. قالت لهُ:
- ذهبتُ إلى منزلِ والديّ لكنني لم أدخُلِ إليكِ هناك.
- لمَ لا؟
- لأنني تذكّرتُ أين رأيتُ ذلكَ الرَّجُلَ الميّتَ من قَبْلِ.
- وهل رأيتَهُ من قَبْلِ؟! (سألَ ماركو بذهول).
- التفقتِ ونظرتِ إليه مُجددًا:
- لقد أخبرتكَ.
- هي أخبرتَهُ بالفعل لكنَّهُ لم يُصدّقها، في حينِ ظنَّ أنّها قوّة الإيحاء.
- أينَ رأيتَهُ؟
- منذُ زمنٍ طويلٍ (همست)؛ إنَّهُ صديقُ لأبي.



## الفصل الثالث والثلاثون

قال ماركو:

- هل أنت متأكدة؟ (تجمد الدم في عروقه).

- نعم.

بدا صوتها غريبًا، لم تكن على سجيّتها. هل بإمكانه أن يُصدّق أيا مِمَّا تقوله؟ فكّر ماركو بسرعةٍ حول ريتشارد و«ديريك هونيغ» والهاتف المحمول. هل كان كلُّ شيءٍ مؤامرة؟ هل كان ريتشارد يتحكّم بهذا الكابوس من خلف الستار؟ هل كانت كورا بحوزة ريتشارد طيلة هذه المُدّة؟

- أنا مُتأكدة أنّني رأيتُه مع أبي حين كنتُ شابّةً. أبي يعرفه، لِمَ قد يعرفُ أبي ذلك الرَّجُل الذي أخذَ طفلتنا يا ماركو؟ ألا تظنُّ أنّه لأمر غريب؟ (بدا صوتها متلاشيًا).

- حسنًا هذا غريب.

قال ماركو ذلك ببطء. تذكّر شكوكه حين استخدمَ هاتفه المحمول السّرّي وأجاب حماه على الاتصال. هل هذه هي الحلقة المفقودة؟

«هونيچ» تقرَّب منه من العدم وأصبحَ صديقًا له، أنصت لمشكلاته وجعلَ ماركو يثق به. حتَّى ماركو ليطلبَ قرضًا من ريتشارد الذي رفض طلبه.

هل يُمكن أن يكونا متواطئين؟ رفض ريتشارد طلبه للمالِ بمعرفةٍ مُسبقةٍ أنّ «هونيچ» سيكونُ هناك مُستعدًّا ليصعدَ الموقف؟ «هونيچ» اقترحَ فكرةَ الاختطافِ في نفس ذلك اليوم. ماذا لو كانَ كلُّ هذا مُنسَقًا من قِبَلِ والدِ آن؟ شعرَ ماركو بالغثيان. إن كانَ الأمرُ كذلكَ فعلاً، فهوَ مخدوعٌ أكثرَ بكثيرٍ ممَّا يظنُّ، ومن قِبَلِ أكثرِ رُجُلٍ يكرهه في العالم.

- آن. (قالَ ماركو ذلك ثمَّ تناثرتَ كلماتُه باندهاع) «ديريك هونيچ» وجدني وجعلني صديقه، هوَ منَ حثني لأطلبَ من أبيك المزيدَ من المال. بعدئذٍ، في اليوم الذي رفضَ فيه والدك أن يُقرضني المال، ظهرَ ديريك مُجددًا وكأَنَّهُ على علمٍ بالأمرِ وأني سأكونُ يائسًا. حينها اقترحَ عليّ فكرةَ الاختطاف.

شعرَ ماركو وكأَنَّهُ يخرجُ من حُلْمٍ سيئٍ، وأنَّ كلَّ شيءٍ بدأ يتضحُ أكثرَ له.

- ماذا إن كانَ والدكِ خلفَ هذا يا آن؟ (قالَ بإلحاح). أعتقدُ أَنَّهُ جعلَ ديريك يتقرَّب مني، وأنَّ يُحفِّزني لعمليةِ الخطف، تمَّ التلاعبُ بي يا آن!

- كلاً (قالتَ آن بعناد). لا يُمكنني تصديقُ ذلك، والذي لا يفعلُ شيئًا كهذا أبدًا، ولمَ قد يفعل؟ ما هو سببُه المُقنع ليفعلَ ذلك؟

جرحَ ماركو عدمَ إيجابتها صعوبةً في تصديقِ أَنَّهُ قتلَ رُجُلًا بالرَّفشِ بدم باردٍ، بينما لم تستطعُ تصديقَ أنَّ أباهَا قد يوقعه بهذا الفخِّ. لكنَّ عليه تذكرُ أَنَّها رأتَ ذلك الشَّرِيط اللعين، فذلكَ كفيلاً بتحطيمِ ثقةِ أيِّ أحد. عليه أن يخبرها بالبقية.

- آن، الهاتفُ المحمولُ في الأنبوب، الذي كُنَّا نستخدمُه أنا و«هونيچ».

- ماذا بشأنه؟

- بعد أن وجدته، وجدتُ بضع مكالمةٍ فائتةٍ، أحدهم اتصلَ من هاتف «هونيچ»، لذا اتصلتُ بالرقم مُجدِّداً و... أجابنى والدك. (نظرتُ إليه غيرَ مُصدِّقةٍ) آن، لقد كان يتوقَّعني على الطَّرفِ الآخرِ من الهاتفِ وعرفَ أنني أخذتُ كورا. سألتُهُ كيفَ وصلَ إلى الهاتفِ، فقالَ إنَّ الخاطفينَ أرسلوهُ إليه معَ مُلاحظةٍ، مثلَ ملابسِ الطِّفلةِ. وأخبرني أنَّ الخاطفينَ تواصلوا معه لآتِه نُشرَ في الجريدةِ أنَّ والديك هُما من سيدفعان الفدية. قال لي إنهم يطلبون المزيدَ من المالِ مُقابلَ كورا وأنَّه سيدفعُ لهم، لكنَّه جعلني أعدُّه بالأُخبارِ، لآتِه لا يريدُ أن يرفعَ آمالكِ، في حال انهيارِ كلِّ شيءٍ.

قالتَ آن ووجهها الذي أضناه التَّعبُ قد عادَ للحياة:

- ماذا؟! هل كان على تواصلٍ مع الخاطفين؟

أطرقَ ماركو رأسه بالإيجاب:

- قال إنه سيتعاملُ معهم ويستعيدُها بنفسِه، لأنني أفسدتُ الأمرَ.

- متى حدثَ هذا؟ (سألتَ آن متحمِّسة).

- اللَّيلةَ الماضية.

- ولم تُخبرني بذلك؟

- جعلني أقطعُ وعدًا بالأُفعل! في حالٍ لم تجرِ الأمورُ على ما يُرام.

كنتُ أحاولُ التواصلَ معه طوالَ اليومِ، لكنَّه لا يُعاوِدُ مكالمتي.

كِدْتُ أفسدُ صوابي لعدم معرفتي ما الذي يجري. أفترضُ أنَّه لم

يستَعدّها، وإلا كُنَّا سمعنا شيئاً.

اختلفتَ نظرةَ ماركو جدًّا الآن، تمَّ التَّلعبُ بهِ مِن قِبَلِ مُحترفٍ.

- لكن يا آن، ماذا إن كانَ والدكِ يعرفُ مكانَ كورا طوالَ الوقتِ؟

بدتَ آن كأنَّها لا تستطيعُ تحمُّلَ سماعِ المزيدِ، بدتَ مُخدَّرةً تمامًا.

وأخيراً سألتَ بصوتٍ مُتقطعٍ:

- لكن لماذا قد يفعل ذلك؟

- لأنَّ والديك يكرهانني! يريدان تدميري وتخریبِ زواجنا واستعدادتك أنتِ وكورا لنفسيهما.

هزّت آن رأسها وقالت:

- أعلمُ أنّهما لا يُحبّانك ولعلّهما يكرهانك حتّى، لكن ما تقوله.. لا أستطيعُ تصديقه. ماذا إن كان والدي يقول الحقيقة؟ وأنّ والديّ على تواصلٍ مع الخاطفين ويُحاولان استعدادتها من أجلنا! (كان صوتها المُفعم بالأمل يفطر القلب).

قال ماركو:

- لكّنك قلتِ لتوك أنّ والديك يعرف «ديريك هونيغ»، ولا يُمكن أن تكون تلك مُصادفة.

عمّ صمتٌ طويلٌ بينهما، ثمّ همست:

- هل قتلَ أبي ديريك هونيغ بالرّفش؟

- ربّما، (قال ماركو غير متأكّد) لا أعرف.

- ماذا عن كورا؟ (همست آن) ما الذي حصل لها؟

أمسك ماركو بكتفيها ونظرَ في عينيها الواسعتين والخائفتين.

- يمكنُ أن تكونَ بحوزةِ أبيك، أو أنّه يعرفُ بحوزةِ مَنْ هي.

- ماذا سنفعل؟ (همست آن).

- علينا أن نجدَ حلاً.

نهضَ ماركو عن الأريكة، كان قلقاً جدّاً من أن يجلسَ ساكناً.

- إن كانت مع والديك أو يعلمُ أين هي، فلدينا خياران؛ إمّا أن نذهبَ مباشرةً إلى الشرطة أو أن نواجهه.

حدّقت آن إلى ما حولها وعقلها مُرتبكٌ تماماً.

- رُبَّمَا عَلَيْنَا التَّحَدُّثُ إِلَى وَالِدِكَ أَوْلَى، بَدَلًا مِنْ الذَّهَابِ إِلَى الشُّرْطَةِ.  
(قَالَ مَارِكُو ذَلِكَ بِصُعُوبَةٍ. لَمْ يَشَأْ مَارِكُو الذَّهَابَ إِلَى السَّجْنِ).

- إِنْ زَهَبْنَا إِلَى أَبِي يُمَكِّنُنِي التَّحَدُّثُ إِلَيْهِ، سَيُعِيدُ كُورَا إِلَيَّ وَسَيَكُونُ  
نَادِمًا، أَعْرِفُ أَنَّهُ سَيَكُونُ كَذَلِكَ، إِنَّهُ فَقَطْ يُرِيدُنِي أَنْ أَكُونَ سَعِيدَةً.

تَوَقَّفَ مَارِكُو عَنِ الْمَشْيِ وَنَظَرَ إِلَى زَوْجَتِهِ، مُشَكِّكًا بِفَهْمِهَا لِلوَاقِعِ. إِنْ  
كَانَ صَحِيحًا أَنَّ «دِيرِيكَ» صَدِيقٌ لَوَالِدِهَا، لَرُبَّمَا يَكُونُ صَحِيحًا أَنَّ وَالِدَهَا  
قَادَ مَارِكُو لِعَجْزِ مَادِيٍّ وَلِخَطْفِ طِفْلَتَيْهِمَا. رُبَّمَا نَسَقَ وَالِدُهَا الْخُدْعَةَ  
بِالْمُقَابِلِ، وَقَتَلَ رَجُلًا بِدَمٍ بَارِدٍ. لَقَدْ سَبَّبَ لِابْنَتِهِ أَلَمًا شَدِيدًا. إِنَّهُ لَا يَكْتَرُ  
لِسَعَادَتِهَا، هُوَ فَقَطْ يُرِيدُ أَنْ تَجْرِيَ الْأُمُورُ عَلَى طَرِيقَتِهِ.

إِنَّهُ عَدِيمُ الرَّحْمَةِ تَمَامًا. اسْتَوْعَبَ مَارِكُو لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مِقْدَارَ الْعَدَاوَةِ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِ زَوْجَتِهِ. مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ مُخْتَلًا. كَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَخْبَرَهُ  
رَيْتشاردُ أَنَّهُ عَلَى الْمَرَّةِ أَنْ يَكُونَ عَدِيمُ الرَّحْمَةِ لِكَيْ يَنْجَحَ؟

رُبَّمَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، رُبَّمَا كَانَ يُحَاوِلُ تَلْقِينَ مَارِكُو دَرَسًا فِي قَسْوَةِ  
الْقَلْبِ. قَالَتْ أَنْ فَجَاءَتْ:

- لَعَلَّ أَبِي لَيْسَ جِزْءًا مِنْ هَذَا. رُبَّمَا «دِيرِيكَ» اتَّخَذَ مِنْكَ صَدِيقًا  
وَتَلَاعَبَ بِكَ، لِأَنَّهُ عَرَفَ أَبِي وَعَرَفَ أَنَّهُ يَمْتَلِكُ الْمَالَ. وَلَكِنَّ أَبِي لَا  
يَعْلَمُ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ ذَلِكَ. لَعَلَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ «دِيرِيكَ» هُوَ الْخَاطِفُ،  
لَرُبَّمَا حَصَلَ عَلَى الْهَاتِفِ وَالْمَلَاخِظَةِ عَبْرَ الْبَرِيدِ كَمَا قَالَ فَعَلًا!  
(بَدَتْ عَقْلَانِيَّةً أَكْثَرًا).

فَكَّرَ مَارِكُو بِشَأْنِ ذَلِكَ.

- هَذَا مُحْتَمَلٌ.

لَكِنَّهُ كَانَ مَوْقِنًا أَنَّ رَيْتشاردَ يَحِيكُ الْأَمْرَ خَلْفَ السُّتَارِ، إِنَّ حَدْسَهُ  
يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ. قَالَتْ أَنْ:

- يجب أن نذهب إلى هناك، لا يُمكنك الجزم واتِّهامه هكذا، نحنُ لا نعلمُ ماذا يحدثُ بالضُّبط، باستطاعتِي إخبارُه بمعرفتِي أنَّكَ أخذتَ كورا وأعطيتها لديرِك هونيچ، وأنَّنا نحتاجُ إلى مساعدتهُ لاستعادتها. يجب علينا أن نجدَ مخرجًا، أن نتظاهرَ بأنَّه ليسَ لهُ علاقةٌ بالأمر، أن نتوسَّلَ إليه ليتعاملَ مع الخاطفين، وأن يُساعدنا في إيجادِ حلٍّ لاستعادةِ كورا.

فكَّرَ ماركو مليًّا بما تقولهُ وأطرقَ برأسه موافقًا. بدا لهُ أنَّ أن عادتَ لطبيعتها مُجددًا ممَّا أراحه. كما أنها كانت على حق، فإنَّ «ريتشارد درايز» ليس رجلًا تستطيع حشرُه بالزَّاوية. الأولويَّة هي إعادةُ كورا إلى المنزل.

- لعل أبي ليسَ وراءَ الأمرِ على الإطلاق، لعله على تواصلٍ مع الخاطفين بالفعل.

قالتَ أن ذلكَ ومن الواضحِ أنَّها لم تشأ أن تصدقَ أنَّه قد يفعلُ لها شيئًا كهذا.

- أشكُّ بذلك.

جلسا للحظةٍ مُرهقينُ من كُلِّ ما حدث، متأهبين لما سيواجهانه، ثمَّ قال ماركو أخيرًا:

- يجدرُ بنا الذهاب.

وافقتهُ أن الرأْي، ووضعتَ يدها على ذِراعِهِ وهما ينطلقان:

- عدني أنَّكَ لن تفقدَ رباطةَ جأشِكَ أمامَ أبي.

ماذا كان بوسعِ ماركو أن يفعلَ سوى الموافقة؟

- أعدك. (وأضافَ بيأسٍ) أنا مدينٌ لكِ بذلك.

استقلَّا سيَّارةَ أجرةٍ إلى منزلِ والدِي أن، مرورًا بالمنازلِ التي تُصبحُ مُترفةً أكثرَ فأكثرَ حتَّى الوصولِ إلى أغنى ضاحيةٍ في المدينة. كانَ الوقتُ متأخرًا، لكنَّهما لم يتَّصلا قبلَ الزَّيْرة؛ أرادا أن يكونَ عاملُ المُفاجأةِ في

صَفْهُمَا. جلس ماركو وآن في المقعدِ الخلفيِّ للسيَّارةِ صامتَيْن. شعرَ ماركو بأن ترتعشُ أمامه، أنفاسُها سريعة وخفيفة.

أخذَ يدها بيدهِ لتهدئتها، إِنَّهُ يتعرقُ بتوترٍ في تلكَ السيَّارةِ الزَّلقةِ والمُلتهبةِ بالحرارة. يبدو أنَّ مُكَيِّفَ الهواءِ لا يعمل. أنزلَ ماركو النَّافذةَ قليلاً ليستطيعَ التَّنْفُوسَ. مضت السيَّارةُ بهما حولَ ممرِّ السيَّاراتِ الحِصويِّ وتوقَّفت عندَ البابِ الأماميِّ للمنزل. دفعَ ماركو للسائقِ وأخبره ألاَّ ينتظر. ضغطتْ آن زرَّ الجرس. كانت الأنوارُ ما تزالُ مُضاءةً. بعدَ لحظةٍ فتحتِ والدهُ آن الباب.

- آن! (قالت وعلاماتُ المفاجأةِ باديةً عليها) لم أكن أتوقَّعُ قدومك. دفعَتْ آن أمَّها ودخلت، ثمَّ تبعها ماركو إلى الصَّلاةِ الأمامية. تبدَّدتْ في لحظتها كلَّ الخططِ التي وضعوها.

- أين هي؟

سألتْ آن ونظرتْ إلى أمَّها بوحشية. كانت أمُّها تقفُ مشدوهةً لا تُجيبها. وبدأتْ آن تمشي بسرعةٍ في أرجاءِ المنزلِ الواسع، تاركةً ماركو يقفُ في الصَّلاةِ الأمامية، مذعورًا من تصرُّفها هذا. فقدتْ آن صوابها. تساءلَ ماركو كيفَ سيتعاملُ مع الأمر. لحقتْ أمُّها بها في بحثها المسعور في أنحاءِ المنزل، وماركو يستطيعُ سماعها تصرُّخَ «كورا.. كورا»، شعرَ بحركةٍ في الأعلى، فنظرَ إلى هُناك، إِنَّهُ ريتشارد ينزلُ الدَّرَج الكبير. تلاقتْ نظراتُهما، كلاهما يستطيعُ سماعَ صرخاتِ آن: «أين هي؟ أين طفلتي؟»، صوتُها يصبحُ وحشيًّا أكثرَ فأكثر. حينها أعادَ ماركو التَّفكيرَ في كلِّ شيء. هل تعرفُ آن «ديريك هونيغ» فعلاً؟ هل كان أحدَ معارفِ أبيها حقًّا؟ أم أنَّ عقلها زوَّدها بتفصيلٍ ما هو إلا وهم؟ لقد وجدها في المنزلِ تجلسُ في الظلامِ حاملةً السكِّين! كم هو موثوقُ كلامها؟ كلُّ شيءٍ يعلمُه يتوقَّفُ على حقيقةِ معرفةِ ريتشارد بديريك هونيغ. باتَ الأمرُ على عاتقِ ماركو لاكتشافِ الحقيقة.

- هَلَّا جَلَسْنَا؟

قَالَ رَيْتشاردُ ذَلِكَ وَسَبَقَهُ إِلَى غُرْفَةِ الْجُلُوسِ. تَبِعَهُ مَاركوُ خَائِفًا وَحَلْقُهُ جَافٌ. قَدْ لَا يَكُونُ رَيْتشاردُ شَخْصًا طَبِيعِيًّا. مِنَ الْمُحْتَمَلِ جَدًّا أَنْ يَكُونَ رَيْتشاردُ مُخْتَلًّا عَقْلِيًّا. يَشْعُرُ مَاركوُ بِذَلِكَ فِي أَعْمَاقِهِ. لَا يَعْرِفُ كَيْفَ سَيَتَعَامَلُ مَعَ الْمَوْقِفِ فِي حِينِ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ يَعْتمِدُ عَلَى كَيْفِيَّةِ تَعَامَلِهِ مَعَهُ. سَمِعَ مَاركوُ خَطَوَاتِ أَنْ، بَاتَتْ تَرَكَضُ الْآنَ وَهِيَ تَصْعَدُ الدَّرَجَ الَّذِي يَفْصَلُهُمُ عَنِ الطَّابِقِ الثَّانِي. حَدَّقَ هُوَ وَرَيْتشاردُ كُلُّهُمَا إِلَى الْآخِرِ بَعْدَاوَةَ، مَسْتَمْعِينِ لِنَدَاءِ أَنْ لاسِمِ كُورَا وَهِيَ تَصْفُقُ أَبْوَابَ غُرْفِ النَّوْمِ وَتَجْرِي فِي مَرَّاتِ الطَّابِقِ الثَّانِي تَبْحَثُ عَنِ طِفْلَتِهَا.

قال ريتشارد:

- لن تجدها.

- أين هي أيها الوغد؟

قَالَ مَاركوُ ذَلِكَ وَقَدْ خَرَجَ عَنِ النَّصِّ هُوَ الْآخِرُ، لَمْ يَجِرِ أَيُّ شَيْءٍ وَفَقًّا لِلخَطَّةِ.

- فِي الْوَاقِعِ إِنَّهَا لَيْسَتْ هُنَا. (قَالَ حَمُوهُ بَبْرُودِ).

- لِمَ لَا نَنْتَظِرُ أَنْ لِيْتَهَدَأَ ثُمَّ نَجْتَمِعُ كُلُّنَا.

تَطَلَّبَ الْأَمْرُ مَجْهُودًا كَبِيرًا مِنْ مَاركوُ لئَلَّا يَدُقَ عُنُقَ رَيْتشاردِ السَّمِينِ. أَجْبَرَ نَفْسَهُ عَلَى الْجُلُوسِ وَانْتِظَارِ مَا سَيَحْصِلُ. أَخِيرًا انْدَفَعَتْ أَنْ إِلَى غُرْفَةِ الْجُلُوسِ تَتْبَعُهَا أُمُّهَا الْمُجْهَدَةُ.

- أين هي؟

صَرَخَتْ أَنْ فِي وَجْهِ أَبِيهَا. كَانَ وَجْهًا مَحْمَرًا لِكثْرَةِ الْبِكَاءِ وَحَالَتِهَا هَسْتِيرِيَّةً.

- اجلسي يا آن. (قال والدُها بحزم).



أشارَ إليها ماركو أن تنضمَّ إليه، فذهبتَ وجلستَ بجانبه على الأريكةِ الكبيرةِ المُنجَّدةِ بإفراط.

- أنتَ تعلمُ لمَ نحنُ هنا. (بدأ ماركو بالتحدُّث).

- تظنُّ أنَّ أنَّ كورا هنا، لمَ قد تظنُّ ذلك؟ (قالَ ريتشارد ذلك مُدعياً الحيرة) ماركو، هل أخبرتها أنَّ الخاطفينَ على تواصلٍ معي؟ لقد طلبتُ منك ألا تفعلَ ذلك.

حاولَ ماركو البدءَ بالكلامِ لكنَّهُ لم يعلمَ كيفَ يبدأ. على أيِّ حالٍ قاطعهُ ريتشارد الذي كانَ يقفُ بجانبِ المدفأةِ حينَ التفتَ لأنَّ وقال:

- أنا آسفٌ جدًّا يا أن، لكنَّ الخاطفينَ خذلونا مُجددًا. كنتُ أملُ استعادةِ كورا الليلة، لكنَّهُم لم يأتوا. أحضرتُ مالاَ إضافيًّا كما اتَّفقنا لكنَّهُم لم يحضروا. (التفتَ حينها إلى ماركو) بالطبعِ لم أدعهمُ يحصلوا على المالِ كما فعلتَ أنتَ يا ماركو. (استشاطَ ماركو غضبًا، ريتشارد لم يستطعَ أن يُقاومَ لذَّةَ جعلِ ماركو يبدو كأحمق عاجز). حدَّرتُكُ ألا تُخبرها لتجنُّبِ هذا التوتُّر. (قالَ ريتشارد ذلك ثمَّ التفتَ إلى أن مُجددًا والتعاطفُ في عينيه) فعلتُ كلَّ ما بوسعي لإعادتها إليك أن، أنا مُتأسَّفٌ جدًّا لكنني أَعِدُّكَ أنني لن أستسلم.

انحنتَ أن بضعفٍ بجانبه. شاهدَ ماركو معالمَ وجهِ ريتشارد، فالبرودُ الذي يُريه لماركو يتحوَّل إلى عطفٍ حالما يُكلِّمُ ابنته. رأى ماركو وميضَ الشكِّ في عيني أن، فهي تُريدُ تصديقَ أنَّ والدها لن يؤذيها أبداً. قالَ ريتشارد:

- أعتذرُ أني ووالدتك لم نُخبرك مُسبقًا يا أن، كُنَّا خائفينَ من حدوثِ هذا. لم نُرد أن نرفعَ أمالكِ مُجددًا. تواصلَ الخاطفونَ معنا وطلبوا المزيدَ منَ المال. سندفعُ أيَّ شيءٍ لاستعادةِ كورا، أنتِ تعلمينَ ذلك. ذهبتُ لمُقابلتهمَ لكن لم يأتِ أحد. (هزَّ رأسه بإحباطٍ وألمٍ جليين).

- هذا صحيح. (قالت آليس ذلك جالسةً على الطَّرْفِ الآخرِ من نهاية الأريكةِ بجانبِ ابنتِها) إنَّنا مُحطَّمون. (وبدأت بالبكاء).
- فرشت يديها لاحتضانِ ابنتِها التي غرقت في حُزنِ أمِّها وراحت تبكي أيضاً بلا هوادهٍ. فكَّرَ ماركو في قرارةِ نفسِه، لا يُمكنُ لهذا أن يحدث.
- أخشى أنَّ الشَّيءَ الوحيدَ المتبقِّي لنا هو الذَّهابُ إلى الشُّرطةِ مع كلِّ هذه الأحداث. (قال ريتشارد ذلك ووجَّهَ أنظارَهُ نحوَ ماركو ورمقَه ببرودٍ).

حدَّقَ ماركو بالمُقابل وقال:

- أخبريهم بما تعرفينَ يا آن.
- لكنَّها نظرت إليه من حُزنِ أمِّها وكأنَّها نسيَت كلَّ شيء.
- قال ماركو بيأسٍ:

- الرَّجُلُ المقتولُ «ديريك هونيج»، الشُّرطة تعرفُ أنَّه أخذَ كورا من منزلنا، وأنَّه أخذها إلى الكوخِ في «كاتسكيلز»، لكنِّي واثقٌ أنَّكَ تعرفُ هذا مُسبقاً.

هزَّ ريتشارد كتفيه وقال:

- الشُّرطةُ لا تُخبرني كلَّ شيء.
- آن تعرَّفت عليه. (قالَ ماركو مباشرةً).
- هل شحِبَ وجهُ ريتشارد قليلاً؟ لم يكنِ ماركو متأكِّداً.
- إذاً مَنْ كانَ هو؟
- تعرَّفت عليه آن كواحدٍ منِ أصدقائِكَ.

قالَ ريتشارد بسلاسةٍ:

مكتبة  
t.me/t\_pdf

- لا بُدَّ أنَّ آن مُخطئة.

- لا أعتقدُ ذلك.

قالَ ماركو ذلك ولم تَقُلْ أَن شيئاً، وأشاحت بنظرها بعيداً حين نظرَ ماركو إليها. هل ستخونُه؟ هل ستقفُ بجانبِ والدها وتحكمُ عليه بالموتِ شنقاً؟ هل لأنها تُصدِّقُ والدها بدلاً منه أم لأنها ستُضحِّي به لاستعادةِ طفلتيها؟ شعرَ ماركو بالأرضِ تنهارُ تحتَ قدميه. قال ريتشارد:

- أن، هل تعرفينَ ذلكَ الرَّجُلَ المقتول؟ الذي من المفروضِ أَنَّهُ أخذَ كورا، هل كانَ صديقاً لي؟

نظرتُ إلى أبيها وجلستُ باعتدالٍ ثمَّ قالتُ:

- لا.

نظرَ إليها ماركو بفرعٍ.

- هذا ما اعتقدته. (قالَ ريتشارد ذلك وهو يُعاینُ ماركو). لنستعرض ما نعرفُه. (قالَ ريتشارد ذلك ونظرَ إلى ابنته) أنا مُتأسِّفٌ يا آن لكنَّ ما ستسمعيه سيكونُ مؤلماً.

جلسَ في كُرسِيه الخاصِّ بجانبِ المدفأةِ، وأخذَ نفساً عميقاً قبلَ البدءِ بالكلامِ وكأنَّ كُلَّ شيءٍ يصعبُ عليه أيضاً.

- تواصلَ الخاطفونَ معنا، فقد حصلوا على أسمائنا حين نشرتَ الجريدةُ أَننا دفعنا الفديةَ الأولى ذات الخمسةِ ملايين. أرسلوا إلينا ظرفاً، كانَ فيه هاتفٍ نقالٍ وملاحظة. الملاحظةُ تقولُ إنَّ الهاتفَ كان بحوزةِ الخاطفينِ الأصليينِ والذي استخدموه للتواصلِ بسريَّةٍ مع والدِ الطُفلةِ، والذي بدوره كان ضمنَ الخطَّةِ. حاولتُ الاتِّصالَ بالرقمِ الوحيدِ المُبرمجِ على الهاتفِ، لم يُجبَ أحد. لكنني أبقيتُه بحوزتي، وأخيراً حين رنَّ الهاتفُ كان ماركو المُتَّصل.

- أنا أعرفُ بشأنَ هذا كُلِّه. (قالت أن ذلك ببُرود). أعلمُ أن ماركو أخذَ كورا وسلَّمها لديرِك في مرآبنا تلك الليلة.

- تعلمين؟ (قالَ والدها بدهشةٍ) كيف تعلمين؟ هل أخبرك ماركو بذلك؟

تجمّد ماركو خوفاً من أن تذكر أمر الشريط المصوّر. قالت آن وهي  
تُلقِي بنظرةٍ سريعةٍ على ماركو:

- نعم.

- أحسنت يا ماركو لامتلاكك الرُّجولة الكافية لإخبارها. (قال ريتشارد  
ذلك ثمّ استأنف كلامه قائلاً) لا أعلم ما الذي حدث بالضبط، لكنّ  
حدسي يُخبرني أنّ أحداً ما قتلَ الرَّجُل في الكوخ وأخذَ كورا،  
ثمّ خدع ماركو. ظننتُ أنّنا فقدنا كلَّ شيءٍ حتّى توصل إلينا أيّاً  
كان اسمه أنا ووالدتك. (هزَّ رأسه بأسفٍ وقال) لا أعلم إن كانوا  
سيتواصلون معنا مُجدِّداً، يُمكننا فقط أن نأمل ذلك.

طفح الكيل مع ماركو وفقد أعصابه.

- هذا هُراء! (صرخ ماركو) أنت تعلم ما الذي حصل، لقد خطّطت  
لهذا كُلّه! علمت أنّ عملي لم يجر على ما يُرام، فأرسلت ديريكي إليّ.  
جعلته يقترح عليّ عمليّة الاختطاف. لم تكن فكرتي على الإطلاق.  
كنت تتلاعبُ بكلِّ شيءٍ وبالجميع وبخاصّة بي أنا وديريك. دفعني  
لأطلب منك المزيد من المال وعندها خذلتني. حينها جاء إليّ في  
أحلك أوقات حياتي ليقترح عليّ خطّة الاختطاف. أنت العقل المُدبر  
وراء كلِّ هذا. أخبرني هل أنت من سحق رأس ديريكي؟ (شهقت والدة  
آن) لأنني أظن أنّ هذا ما حدث. (تابع ماركو) أنت قتلته، وأنت أخذت  
كورا من الكوخ، أو ربّما عيّنت أحدهم ليفعل ذلك من أجلك، أنت  
تعلم أين هي، كنت تعلم طوال الوقت. لن تدفع قِرشاً واحداً، لأنك  
خلف هذا الخداع كُلّه جعلت أحدهم يحضر من دون كورا لاستعادة  
المال لكنك تريدُ نهابي إلى السّجن. (توقّف ماركو ليلتقط أنفاسه)  
أخبرني هل تكثرُ إن ماتت كورا أم بقيت على قيد الحياة؟

نقل ريتشارد نظرهُ من ماركو إلى آن وقال:

- أعتقد أنّ زوجك فقد عقله.

## الفصل الرابع والثلاثون

- أَرِنَا الْمُلَاحِظَةَ. (طَلِبَ مَارِكُو مِنْهُ).
- مَاذَا؟! (أُصِيبَ رَيْتشارْدَ بِالذُّهُولِ لِلْحِظَةِ).
- مِلَاحِظَةُ الْخَاطِفِينَ أَيُّهَا الْوَضِيعُ. (قَالَ مَارِكُو) أَرِنَا إِيَّاهَا! أَثْبِتْ لَنَا أَنَّكَ عَلَى تَوَاصِلٍ مَعَهُمْ.

قال ريتشارد بهدوء:

- لَدَيَّ الْهَاتِفُ، لَكِنِّي لَمْ أَحْتَفِظْ بِالْمُلَاحِظَةِ.
- أَحَقًّا؟ مَاذَا فَعَلْتَ بِالْمُلَاحِظَةِ؟ (سَأَلَ مَارِكُو).
- أَتَلَفْتُهَا. (أَجَابَ رَيْتشارْدَ).
- لِمَ قَدْ تَفَعَلَ ذَلِكَ؟
- سَأَلَ مَارِكُو مُجَدِّدًا. كَانَ مِنَ الْجَلِيِّ لِجَمِيعِ مَنْ فِي الْغُرْفَةِ أَنَّهُ لَا يُصَدِّقُ بِوُجُودِ الْمُلَاحِظَةِ، أَوْ أَنَّهَا وُجِدَتْ عَلَى الْإِطْلَاقِ. قَالَ رَيْتشارْدَ:
- لِأَنَّهَا تُجَرِّمُكَ. عَنِ طَرِيقِهَا عَلِمْتُ أَنَّكَ سَتَكُونُ عَلَى الطَّرْفِ الْآخِرِ مِنَ الْخَطِّ.

ضِحِكِ مَارِكُو لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ ضَحِكَةَ ظَرِافَةٍ، بَلْ كَانَتْ ضَحِكَةً قَاسِيَةً  
 نَاجِمَةً عَنِ عَدَمِ تَصَدِيقِي، وَكَانَتْ عَلَيَّ وَشَكِ التَّحَوُّلِ إِلَى غَضَبٍ عَارِمٍ.  
 - تَرِيدُنَا أَنْ نُصَدِّقَ أَنَّكَ أَتَلَفْتَ المُلَاحِظَةَ لِأَنَّهَا تَوَرَّطُنِي بِالجَرِيمَةِ؟  
 أَلَسْتَ تَنْوِي إِدْخَالِي السِّجْنَ بِتُهْمَةِ الاِخْتِطَافِ وَإِبْقَائِي بَعِيدًا عَنِ  
 ابْنَتِكَ إِلَى الأَبَدِ؟ (سَأَلَ مَارِكُو).

قال ريتشارد:

- لَمْ تَكُنْ هَذِهِ نِيَاتِي قَطُّ، لَا أَعْلَمُ لِمَ قَدْ تَظُنُّ ذَلِكَ. لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا  
 سِوَى مَسَاعَدَتِكُمْ، أَنْتَ تَعْلَمُ.

- أَنْتَ مَلِيءٌ بِالْتِرَهَاتِ يَا رِيْتشارْدَ، قَمْتَ بِتَهْدِيدِي عَلَى الْهَاتِفِ  
 -تَعْلَمُ أَنَّكَ فَعَلْتَ-لَقَدْ خَطَّطْتَ لِهَذَا كُلِّهِ، لِتَتَخَلَّصَ مِنِّي، وَإِلَّا لِمَ قَدْ  
 تَفْعَلُهَا؟ لِذَا إِنْ كَانَ هُنَاكَ مُلَاحِظَةٌ لِمَا كُنْتَ قَدْ أَتَلَفْتَهَا.

انحنى ماركو إلى الأمام نحو ريتشارد وقال بصوتٍ مُهَدَّدٍ:

- لَا تَوْجُدُ مُلَاحِظَةً يَا رِيْتشارْدَ، صَحِيحٌ؟ الْخَاطِفُونَ لِيَسُوا عَلَى  
 تَوَاصِلٍ مَعَكَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ الْخَاطِفُ. بِحُوزَتِكَ هَاتِفُ دِيرِيكِ، أَخَذْتَهُ  
 عِنْدَمَا قَتَلْتَهُ أَوْ عِنْدَمَا جَعَلْتَ رِجَالَكَ يَفْعَلُونَهَا. عَلِمْتَ أَيْنَ خَبَأَ  
 كُورَا لِأَنَّكَ رَتَّبْتَ الأَمْرَ بِرُمَّتِهِ. انْقَلَبْتَ ضِدَّ دِيرِيكِ كَمَا خَطَّطْتَ مِنْذُ  
 الْبَدَايَةِ رُبَّمَا. أَخْبَرْنِي مَاذَا وَعَدْتَهُ أَنْ تَدْفَعُ لَهُ لِيَسَاعِدَكَ فِي إِرسَالِي  
 إِلَى السِّجْنِ بِتُهْمَةِ الْخَطْفِ؟

جَلَسَ مَارِكُو بِاعْتِدَالٍ عَلَى الأَرِيكَةِ، رَأَى أَلَيْسَ تُحَدِّقُ إِلَيْهِ مَذْعُورَةً.  
 شَاهِدَ رِيْتشارْدَ بِهَدْوٍ ذَلِكَ الشَّابَّ الْيَافِعَ وَهُوَ يَتَّهَمُهُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ابْنَتِهِ  
 وَقَالَ:

- أَنْ، إِنَّهُ يَخْتَلِقُ كُلَّ هَذَا لِيَصْرِفَ انْتِبَاهَكَ عَنِ خَطِيئِهِ. لَيْسَ لِي عِلَاقَةٌ  
 بِأَيِّ مِنْ هَذَا سِوَى مُحَاوَلَةٍ كُلِّ مَا بُوَسْعِي لِاسْتِعَادَةِ كُورَا، وَمُحَاوَلَةٍ  
 حِمَايَتِهِ مِنَ الشَّرْطَةِ.

- أنت كاذب (قال ماركو بياس). أنت تعلم أين كورا، أعدها. انظر إلى ابنتك، انظر إليها! أعد إليها طفلتها.

رفعت آن رأسها وراحت تنقل نظرها من زوجها إلى أبيها وملاحم الكرب على وجهها.

- هل نتصل بالشرطة إذا؟ (قال ريتشارد بحدّة) لندعهم يحلّوا الأمر بنفسهم.

فكر ماركو بسرعة، إن لم تعترف آن بمعرفتها بديريك كأحد معارف أبيها، أو إن لم تكن متأكدة من ذلك، فإن ماركو ليس لديه ما يعتمد عليه. تراه الشرطة مُشْتَبِهُهُمُ الأوّل مُسَبِّقًا. ريتشارد رجل الأعمال المحترم والنّاجح سيُسلّمُهُمُ إيّاهُ على طبقٍ من فضّة. آن ووالدها يعلمان أنّ ماركو أخذ كورا من سريرها وأعطاهما لديرِك. ماركو ما يزال موقنًا بأنّ ريتشارد وراء كل هذا، لكنّه لم يملك أدلّة ضدّ ريتشارد. بات ماركو في ورطة وكورا ما تزال مفقودة، ظنّ ماركو أنّ ريتشارد سيُبقِي كورا مخفية إلى الأبد إن تطلّب الأمر، المهمّ أنّ يفوز هو. كيف لماركو أن يجعل ريتشارد يظنّ بأنّه انتصر ليُعيد كورا؟ هل عليه أن يعترف للشرطة؟ هل هذا ما يريده ريتشارد؟ ربّما حين يُعتقل، الخاطفون سيعاودون التّواصل معه بفضلٍ مُعجزةٍ ويعيدون الطّفلَةَ سالمةً. بغضّ النّظر عمّا يقوله ريتشارد أمام آن، ماركو يعلم أنّ ريتشارد يُريدُ أن يُشنقَ حتّى الموت، يريدُ نهاب ماركو للسّجن لكن لا يُريدُ أن يكونَ من سلّمه. قال ماركو:

- حسنًا، اتّصل بالشرطة.

بدأت آن بالبكاء وأمّها تُرَبّت على ظهرها. أمسك ريتشارد هاتفه. قال ريتشارد:

- إنّ الوقت متأخّر لكنّي مُتأكّد أنّ المُحقّق رازباك لن يُمانع القُدوم. يعلم ماركو أنّه على وشك الاعتقال. إنّهُ بحاجة إلى مُحامٍ بارع. ستكونُ العدالةُ موجودةً إن وافقت آن على رهن المنزل، لكن لِمَاذَا توافقُ

أَيَّ امْرَأَةٍ عَلَى رَهْنٍ مِنْزَلِهَا لِلدَّفَاعِ عَنْ زَوْجِهَا الَّذِي اخْتَطَفَ ابْنَتَهَا؟ حَتَّى  
 إِنْ كَانَتْ تَنْوِي فِعْلَ ذَلِكَ، وَالدهَا سَيِّئَتِيهَا عَنْ فِعْلِ ذَلِكَ. قَالَ رِيْتشارْد:  
 - أَحْتَاْجُ إِلَى أَنْ أُخْبِرَكَ وَأَنْ أُؤَكِّدَ لَكَ أَنَّنا لَنْ نَدْفَعُ لِمَحَاكِمَتِكَ. (وَكأنَّه  
 قرأ أفكار ماركو).

\*\*\*

انتظروا بصمتٍ مثيرٍ للتوترِ وصولَ المُحَقِّقِ. أليس التي تشغل  
 نفسها عادةً بإعدادِ الشَّاي للجميعِ لَمْ تتزحزح عن الأريكة. كان ماركو  
 مُكفهِراً، فازَ ريتشارد، ذلك المُتلاعبُ الحَقير. وَقَعَتْ أَنْ فِي جُحْرِ  
 والديها لمرَّةٍ أخيرةٍ وإلى الأبد. ما دام أَنَّها تَقْفُ بجانبِ أهلِها، كلُّ شيءٍ  
 سيكوْنُ لِصالحِ ريتشارد، وسيجدُ طريقةً لإعادةِ طفلِتها، سيكوْنُ بطلاً.  
 سيعتنونَ بها وبطفلتِها مادياً بينما يتعفَّنُ ماركو في السَّجْنِ. جَلُّ ما  
 عليها فعلُهُ هو التَّضحيةُ به. اتَّخَذَتْ أَنْ قَرارها وهو لا يلوْمُها. وأخيراً،  
 قُرِعَ جرسُ البابِ، هبَّ الجميعُ فزِعِينَ وقامَ ريتشارد لِيَفْتَحَ البابِ، بينما  
 بقي الآخرون جالسين في غرفةِ الجلوسِ جامدي الملامح. قرَّرَ ماركو  
 أَنَّهُ سيعترفُ بكلِّ شيءٍ، وعند عودَةِ كورا آمنةً سيخبرُ الشرطَةَ عن دورِ  
 ريتشارد في كلِّ هذا. قد لا يصدِّقونه لكنَّهُم بالتَّأكيدِ سيُحَقِّقون في  
 أمرِهِ. رُبَّما باستطاعتِهِم إيجادُ علاقةٍ تربطُ ريتشارد بديرِك هونيج.  
 لكنَّ ماركو مُتأكدٌ جدًّا من إخفاءِ ريتشارد لِأثارِ تلكِ العلاقة. قاد ريتشارد  
 المُحَقِّقَ رازباك إلى غُرْفَةِ الجلوسِ. كان المُحَقِّقُ يُحَلِّلُ المشهَدَ بنظراتٍ  
 خاطفةٍ منه: نظرَ إلى أَنْ تبكي بينَ يَدَيِ أُمِّها في إحدى نهايتي الأريكةِ  
 الكبيرة، وماركو يجلسُ في النِّهايةِ الأخرى من الأريكةِ.

عرف ماركو كيف يراه المُحَقِّقُ، شاجِبًا ومُتعرِّقًا، لا بُدَّ أَنَّهُ يبدو  
 محطَّمًا كليًّا. قدَّمَ ريتشارد كُرسيًّا للمُحَقِّقِ وقال:

- أنا أعتذرُ، أعلمُ أَنَّكَ لا تُحِبُّ أَنْ نتعاملَ معِ الخاطفينِ وألَّا نُخْبِرَكَ إِلَّا  
 بعدَ وقوعِ الأمرِ. لكنَّنا كُنَّا خائفينَ من فِعْلِ أَيِّ شيءٍ آخرِ.



بدا رازباك مُتجهماً:

- أتقول إنهم اتصلوا بك؟

- نعم، البارحة. عقدت اتِّفاقاً لمُقابلتهم مع المالِ الإضافيِّ في وقتِ مُبكرٍ من هذا المساء، لكنهم لم يحضروا.

كَانَ ماركو يُراقِبُ ريتشارد مُتسائلاً عمَّا يفعلُهُ. اتَّصلوا بِهِ؟ إمَّا ريتشارد يكذبُ على الشُّرطةِ، أو على ماركو وآن. متى سيُخبرُ المُحقِّقُ أَنَّ ماركو هو مَنْ أَخَذَ كورا مِنَ المنزلِ؟ أمسكَ رازباك معطفَهُ وأخرَجَ منه دفتراً ملاحظاته. كَتَبَ بِدِقَّةٍ كُلَّ شَيْءٍ يُخبرُهُ ريتشارد بِهِ. لَمْ يَقُلْ ريتشارد أَيَّ شَيْءٍ عن ماركو. لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ حَتَّى. هل هذا كُلُّهُ من أَجْلِ أَن؟ تَعَجَّبَ ماركو. هل هو يُظهِرُ لها أَنَّهُ يتعمَّدُ حمايةَ ماركو على الرغمِ من أَنَّهُم يعلمونَ ما فعلَهُ؟ ما هي اللعبةُ التي يلعبُها ريتشارد هنا؟! رُبَّمَا ريتشارد لم يملكِ أَيَّ نيةٍ في إخبارِ الشُّرطةِ بما فعلَهُ ماركو. هو فقط يُريدُ إبقاءَهُ في حالةِ فزعٍ.

ذلك السافل! أم أَنَّهُ يَنتظرُ ماركو ليَرميَ بِنفسِهِ في التَّهلُكَة والاعتراف ليرى إن كان يملكِ الشَّجاعةَ لِفعالِها؟ هل هذا اختبارٌ يتوجَّبُ عليه اجتيازُهُ لاسترجاعِ كورا؟

- هل هذا كُلُّ شَيْءٍ؟ (قال رازباك ذلك أخيراً وهو يقفُ مُغلقاً دفتراً ملاحظاته).

- أعتقدُ ذلك.

قال ريتشارد ذلك يلعبُ دورَ الأبِ والجدِّ القلقِ بإتقان. متلاعبٍ محترفٍ، وكاذبٍ مُتمرسٍ. أوصلَ ريتشارد المُحقِّقَ إلى البابِ، بينما انهارَ ماركو على الأريكةِ مُرهقاً ومُرتبكاً. إن كان ذلك اختباراً فقد أخفقَ فيه. تبادلتِ آن النُّظراتَ معه للحظةٍ ثمَّ أشاحت بنظرِها بعيداً. عادَ ريتشارد إلى عُرفةِ الجلوسِ.

- هاك، الآن هل تُصدِّقني؟ (قال لماركو) لقد أتلفتُ الملاحظةَ  
لحمائِكَ. كذبتُ على الشرطَةِ، أخبرتهُ أنَّ الخاطفين اتَّصلوا بي  
لحمائِكَ أيضًا. لم أخبرهم عن الملاحظةِ والهاتفِ المرسلين إليَّ،  
لأنَّ كليهما يورطانك بالجريمة. لستُ الشَّخصَ السيِّئَ هُنا، بل أنتُ  
يا ماركو.

اندفعتُ آن من حُضنِ أمِّها وحدَّقتُ إلى ماركو.

- على الرغم من أنني لا أعلمُ لماذا أفعلُ ذلك، لا أعلمُ لماذا تزوجتِ  
هذا الرَّجُلَ يا آن.

يحتاجُ ماركو إلى أن يخرجَ من هُنا كي يستطيعَ أن يفكِّر. لا يعلمُ ما  
الذي يُحاولُ ريتشارد فعله.

- هيَّا يا آن، لنذهبِ إلى المنزل. (قال ماركو).

لكنَّها أدارتُ له ظهرها مُجددًا ولم تنظرِ إليه.

- آن؟

- لا أظنُّ أنَّها ستُبارحُ مكانها. (قال ريتشارد).

انفطرَ قلبُ ماركو من فكرةِ العودةِ إلى المنزلِ من دون آن. من  
الواضحِ أنَّ ريتشارد لا يُريدهُ أن يدخلَ السَّجنَ، ربَّما ريتشارد لا يُريدُ  
جلبَ العارِ لنفسِهِ لامتلاكِهِ صهرًا مُجرمًا ومُدانًا. ربَّما طيلة هذه المُدَّة،  
جُلُّ ما أرادهُ هو أن تعرفَ أن حقيقةَ ماركو. أن يُفرِّقَ بينهما. يبدو أنَّه  
نجحَ في ذلك. نظرَ الجميعُ إلى ماركو كما لو أنَّهم ينتظرون رحيله. شعرَ  
ماركو بالحقْدِ يحومُ في الأجواءِ، وهو يمسِكُ هاتفه ليطلبَ سيَّارةَ أُجرةٍ.  
حينَ وصلتِ سيَّارةُ الأجرةِ، تفاجأ بثلاثتهم يسبقونه إلى الخارجِ، ربَّما  
ليتأكَّدوا من مُغادرتهِ. وقفوا جميعًا في الممرِّ يشاهدونه وهو يذهب.  
نظرَ ماركو خلفه حيثُ تقفُ زوجتهُ وعلى جانبيها أمها وأبوها. لم  
يستطعَ قراءةَ تعابيرِ وجهها. فكَّرَ ماركو: لن تعودَ إليَّ مُطلقًا، أصبحتُ  
بمُفردي الآن.

وقفَ رازباك قلقاً في ممرِّ السَّيَّاراتِ الخلفيِّ لقصرِ آلِ درايز. كان لديه أسئلةٌ كثيرةٌ من غيرِ إجاباتٍ، أهمُّها هو التَّالي: أينَ الطِّفلةُ المفقودة؟ لا يبدو أنه اقترب حتَّى من الإجابات. فكَّرَ بماركو وتلك النَّظرةُ الشَّاحبةُ على وَجهِهِ. ماركو كان مُتعباً وقِواه مُستنفدة. لم يشعر رازباك بأيِّ نوعٍ من التَّعاطفِ معه.

لكنَّهُ عرف أنَّ هناك ما لم تفضحه الأعيُن، ويُرِيدُ اكتشافه. اشتبهَ رازباك بريتشارد درايز تقريباً منذُ البداية. بالنَّسبةِ له، إنَّهُ تحيُّز. رأيه ناجمٌ عن خلفيَّته في أمورِ الطَّبقةِ العاملة. لا أحدٌ يجني ذلكَ الكمَّ من المالِ دون استغلالِ أحدهم. عدمُ اكتراثِك لمن تؤذي سيُسَهِّلُ عليكَ جمعَ المالِ كثيرًا. إن كنتَ مُتردِّداً، سيصعبُ عليكَ أن تُصبحَ غنياً، برأيِ رازباك. ماركو لا يصلحُ لأن يكونَ خاطفاً. بدا لرازباك أنَّ ماركو رجلٌ يائسٌ قليلُ الحيلة، وشخصٌ قد يفعلُ شيئاً خاطئاً فقط إن تمَّ دفعه لفعله. بينما ريتشارد درايز هو رجلٌ أعمالٍ حاذقٌ وصاحبُ ثروةٍ مرموق، ذلك من شأنه أن يُرسلَ كلَّ إشاراتِ الخطرِ المُمكنة لرازباك سواء كانت مُتعمَّدةً أو رُبَّما عن طريقِ الخطأ. هؤلاء الأشخاص يملكونَ نوعاً من الغطرسةِ يجعلهم يظنونُ أنفسهم فوق القانون. ريتشارد درايز شخصٌ مشبوهٌ يتطلَّبُ المراقبة، لذلك وضعَ رازباك أجهزةً تنصَّتِ على هواتفه. يعلمُ أنَّ الخاطفين لم يتصلوا به، وأنَّ ريتشارد يكذب. قرَّرَ أن يضعَ شُرطيَّين ليراقبا المنزلَ بهدوء.

مكتبة

t.me/t\_pdf



## الفصل الخامس والثلاثون

راحت أليس تحومُ جيئةً وذهابًا على السجادةِ الفخمةِ في عُرفتها الخاصةِ، بعدَ أن قضتَ أعوامًا طويلةً فيها مُنفصلةً عن عُرفةِ ريتشارد. إنَّها مُتزوِّجةٌ بريتشارد منذُ زمنٍ طويلٍ جدًّا، لكنَّها ما كانت لتصدِّقَ ذلكَ عنه لو حدثَ هذا قبلَ عدَّةِ سنواتٍ. أمَّا الآن، فهو رجلٌ غامضٌ ذو أسرارٍ، أسرارُهُ مريعةٌ لا تُغتفرُ إن كانَ ما سمعتهُ صحيحًا. علِمَت منذَ بعضِ الوقتِ أنَّ ريتشارد يُقابلُ امرأةً أخرى. لم تكنِ المرَّةُ الأولى التي يخونها فيها، لكنَّها علِمَت أنَّ هذه المرَّةُ مُختلفةٌ. شعرتَ أنَّه يضيعُ من بينِ يديها، كأنَّه كانَ على وشكٍ مُغادرتها لكنَّه يبحثُ عن المخرجِ لذلك. لم تظن قط أنَّه قد يهجرها، ولم تعتقد أنَّه يمتلكُ الجرأةَ لفعلِ ذلك. فهو يعلمُ أن هجرها يعني أنه لن يحصلَ على قرشٍ واحدٍ. كان ذلك من منافعِ اتِّفافيةٍ ما قبلِ الزَّواجِ. إن تركها، لا يحصلُ على نصفِ ثروتِها، بل لن يحصلَ على أيِّ شيءٍ، وهو بحاجةٌ إلى أموالها. لم يتبقَ له شيءٌ من ماله الخاصِّ لأنَّ عملَ ريتشارد لم يَكُن يجري بشكلٍ جيِّدٍ مثلَ ماركو. أبقى الشركةَ المُفلسةَ قائمةً كي لا يعلمَ النَّاسُ أنَّه أخفق. وهكذا بإمكانه أن

يَدَّعي أَنَّهُ رَجُلُ الأَعْمَالِ الكَبِيرِ. ضَخَّتْ أُمُوالُها فِي الشَّرْكَةِ لِتُساعدَهُ فِي حَفْظِ ماءِ وَجِهِهِ، لَم تُمانع فِي البَدائِةِ لِأَنَّها كانَتْ تُحِبُّهُ.

لَم تُعَدُّ تُحِبُّهُ الآنَ، لَيسَ بَعْدَ أن عَلمَتْ لِأشْهرٍ أن هَذِهِ العِلاقَةَ لَيسَتْ كالبَقِيَّةِ. فِي البَدائِةِ تَجاهَلَتْ الأَمْرَ، عَلى أَمَلٍ أن تَنتَهِى تَلكَ العِلاقَةَ كَما انْتَهَتْ العِلاقَاتُ الأُخْرى. فِي النِّهايةِ إنَّ الجِزءَ الجِسدِيَّ مِن عِلاقَتَهما انْتَهى مِنذُ زَمَنِ طَوِيلٍ. لَكن مَعَ اسْتِمرارِ هَذِهِ العِلاقَةَ، أَصَبَحَتْ مَهووسَةً بِمَعرِفَةِ هُويَّةِ تَلكَ المَراةِ. كانَ رِيتشاردُ مُحْترَفًا فِي إِخْفاءِ آثارِهِ. لَم تَستطِعَ أن تَوقِعَهُ فِي الفِخِّ. أخيراً تَجاوَزَتْ كَبِرياءُها وَعَينَتْ مُحَقِّقًا خَاصًّا، كانَ المُحَقِّقُ صَاحِبَ أَعلى أَجرٍ اسْتَطاعَتْ أن تَجدَهُ. سَيكُونُ الأَكْثَرُ سَريَّةً وَحِذْرًا. تَقابَلَا فِي ظَهِيرَةِ يَومِ الجُمُعَةِ لِيعْلَمَها بِتَفاصيلِ تَقريرِهِ. اعْتَقَدَتْ أَنَّها مُستَعَدَّةٌ، لَكنَّ ما وَجَدَهُ المُحَقِّقُ صَدَمَها. المَراةُ الَّتِي يُقابِلُها زَوجُها هِيَ نَفسُها المَراةُ الَّتِي تَعيشُ فِي جِوارِ ابنتِها (سَنْثيا سَتلوِيلِ). امْراةٌ بِنِصْفِ عَمرِهِ تَقريبًا. صَدِيقَةُ ابنتِهِ. امْراةٌ قابِلُها فِي حَفْلَةٍ بِمَنزِلِ ابنتِهِ! كَم هَذَا مُخزٍ! جَلَسَتْ أَلِيسَ فِي «سَتارباكس» تَحدُّقُ إِلى يَدَيِها المُعْرَفتَينِ، وَهي تَفتَحُ حَقِيبَتِها أَثناءَ اسْتِعْراضِ المُحَقِّقِ الخَاصِّ عَالي الأَجْرِ لِما وَجَدَهُ. نَظَرَتْ إِلى الصُّورِ ثَمَّ أَشاحت بِنَظَرِها عَنها بِسَريعَةٍ. عَرَضَ لَها التَّسْلِسلَ الزَّمَنِيَّ لِلمواعيدِ وَأَماكِنِها. دَفَعَتْ لَهُ نَقْدًا. شَعَرَتْ بِتَوَعُّكٍ ثَمَّ نَهَبَتْ إِلى المَنزِلِ. قَرَّرَتْ أن تَنتَظِرَ. انْتَظَرَتْ أن يَقولَ لَها رِيتشاردُ إنَّهُ سَيَهْجُرُها. لَم تَعلَمَ ما الَّذِي قَد يَفعَلُهُ مِن أَجْلِ المَالِ وَلَم تَكتَربُ لِذَلكَ أَيضًا، كَلُّ ما عَلمَتْهُ أَنَّها لَن تَعطِيهِ قَربًا واحِدًا إن طَلَبَ مِنها. طَلَبَتْ مِن مُحَقِّقِها الخَاصِّ أن يُراقِبَ حِساباتِها المَصرَفيَّةَ لِتَعلَمَ إن كانَ رِيتشاردُ يَخْتلسُ الأُمُوالَ مِنها. أَيضًا قَرَّرَتْ أن تَدْفَعَ عَرَبونًا لِلْمُحَقِّقِ الخَاصِّ لَكنَّهُم لَن يَتَقابَلُوا فِي مَحَلَّاتِ «سَتارباكس» مُجَدِّدًا. سَتَجِدُ مَكانًا أَكْثَرَ خَصوصيَّةً. تَجرِبَتُها السَّابِقَةُ جَعَلَتْها تَشعُرُ بِالاشْمِئزازِ.

اخْتَفَتْ كُورَا فِي ذَاتِ اللَّيْلَةِ الَّتِي قابَلَتْ فِيها المُحَقِّقَ الخَاصِّ. وَوَضِعَتْ خِيانَةَ رِيتشاردِ الدَّنيئَةِ جانِبًا بِسَببِ الرُّعبِ الَّذِي سَبَبَهُ الاختِطافِ. خَافَتْ

أليس أن تكونَ ابنتها قد آذت طفلتها، وأنها خبأت الجثةَ هي وماركو خوفاً من اكتشافِها. كانتَ آن تُعاني ذلكَ المرَض، وأيضاً تُعاني أمرَ الأمومة. كانتَ تحتَ الكثيرِ مِنَ الضَّغط، وتعرفَ أليسَ أنَّ ذلكَ الضَّغط قد يكونَ فتيلَ نارٍ مُشتعلًا بالنَّسبةِ لشخصٍ مثلَ آن. لكنَّها تنفَّست الصُّعداءَ حينَ وصلتَهُم ملابسُ الطِّفلةِ والمُلاحظةُ مِنَ الخاطفين. يا لها مِن أحداثٍ متقلبةٍ تخوضُها: تصديقُ أنَّهم سيستعيدونَ كورا في ذلكَ اليوم، ثمَّ فقدانها مُجدِّداً، عدا عنِ الحُزنِ والخوفِ على حفيدتها والقلقِ على مشاعرِ ابنتها الهشة.

اللَّيلة..

لَم تكتشف حلَّ اللُّغزِ إلا في هذه اللَّيلة. صُعِقَت لسماعِ ماركو يعترفُ بأنَّه أخذَ طفلتَهُ بنفسِهِ، ومِمَّا زادَ مِن ذهولِها هو اتِّهامُ ماركو لزوجِها بتدبيرِ الأمر. لكنَ أثناءَ جلوسِها هُناكَ ويَداها تحتَضنانِ ابنتها المُحطَّمة، بدأ كُلُّ شيءٍ يحملُ معنىً مُريعاً: خطَّةُ ريتشارد العظيمة، الاختطافُ، والإيقاعُ بماركو ليتلقَى العقابَ بِمُفردهُ.

أينَ الخمسةَ ملايين؟ كانتَ مُتأكِّدةً أنَّ ريتشاردَ خبأها في مكانٍ ما. وهناكَ أيضاً مبلغُ المليونِ دولارٍ المُجهَّز في خِلفيَّةِ الخزانة، في الصَّالةِ الأماميَّةِ لمنزلهم. كانتَ مُخبَّأةً في حقيبةِ رياضيَّةٍ أُخرى، بانتظارِ المُحاولةِ التَّالية. لَم ترَ المُلاحظةَ قطَ أو الهاتفَ النُّقال. أخبرها ريتشاردُ أنَّه أتلَفَ كليهما. كانَ يُخطِّطُ لأنَّ يسلبَها سبعةَ ملايينِ دولارٍ تحتَ شعارِ استعادةِ حفيدتها الوحيدةِ مِنَ الخاطفين. ذلكَ الحقيقير. كي يستطيعَ تَركها من أجلِ سنثيا الشنيعة تلك. كانَ نذلاً بما فيه الكفايةِ لخيانتها، وترَكها من أجلِ امرأةٍ بعمرِ ابنته، وسرقةِ أموالها. لكن كيفَ يجرؤُ على إيذاءِ ابنته بتلكَ الطَّرِيقَة؟

وَأينَ حفيدتها؟

أَمَسَّكَتْ هَاتِفَهَا الْخُلُويَّ وَاتَّصَلَتْ بِالْمُحَقِّقِ رَازِبَاك. أَصْبَحَ لَدِيهَا مَا تَقُولُهُ الْآنَ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَرَى صُورَةً لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْمَدْعُو دِيرِيكَ هُونِيَج.

قَضَتْ أَنْ لَيْلَةً عَصِيْبَةً فِي غُرْفَتِهَا الْقَدِيمَةِ وَعَلَى سَرِيرِهَا الْقَدِيمِ. اسْتَلَقَتْ يَقِظَةً طَوَالَ اللَّيْلِ تُفَكِّرُ وَتَقَلِّبُ أَفْكَارِهَا. عِلَاوَةً عَلَى خَسَارَتِهَا الْمَوْجِعَةِ لَطْفَلَتِهَا، شَعَرَتْ بِالْخِيَانَةِ مِنْ قَبْلِ الْجَمِيعِ. خِيَانَةُ مَارِكُو لِكُونِهِ جِزْءًا مِنَ الْاِخْتِطَافِ، وَخِيَانَةُ الْوَالِدِهَا. شَعَرَتْ بِإِهَانَةٍ كَبِيرَةٍ إِنْ كَانَ مَارِكُو عَلَى حَقٍّ، لِأَنَّ الْوَالِدِهَا أَنْكَرَ مَعْرِفَةَ دِيرِيكَ هُونِيَج. إِنْ لَمْ يَكُنْ مَتَوَرِّطًا فِي اِخْتِفَاءِ كُورَا، لِمَاذَا أَنْكَرَ مَعْرِفَةَ هُونِيَج؟

كَانَتْ تَمْتَلِكُ إِجَابَةً، لَكِنْ حِينَ سَأَلَهَا ادَّعَتْ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ دِيرِيكَ، وَأَنَّهَا لَمْ تَرَهُ مِنْ قَبْلِ.

تَسَاءَلَتْ كَمْ تَعْرِفُ أُمَّهَا مِنْ مَعْلُومَاتٍ هِيَ الْآخَرَى، أَوْ بِمِ تَشْكُ. كَانَتْ أَنْ فِي الْبَدَايَةِ عَلَى وَشِكِّ تَخْرِيْبِ كُلِّ شَيْءٍ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ، ثُمَّ تَمَاسَّكَتْ مُجَدِّدًا حِينَ تَذَكَّرَتْ مَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهَا فَعَلُهُ. شَعَرَتْ بِالسُّوْءِ مِنْ أَجْلِ مَارِكُو -لَكِنْ لَيْسَ كَثِيرًا، مُقَارِنَةً بِمَا فَعَلَهُ بِهَا- لِعَدَمِ تَحَدُّثِهَا لَيْلَةً أَمْسَ، لَكِنَّهَا تُرِيدُ اسْتِعَادَةَ طِفْلَتِهَا. هِيَ مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّهَا رَأَتْ الرَّجُلَ الْمِيَّتَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي هَذَا الْمَنْزَلِ بِالضَّبْطِ، وَمِنْذَ سِنُوَاتٍ عَدِيدَةٍ. اعْتَادَ الْوَالِدِهَا أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ فِي الْخَارِجِ بِجَانِبِ الشُّجَيْرَاتِ فِي وَقْتِ مُتَأَخَّرِ مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَ خُلُودِهَا لِلنَّوْمِ. كَانَتْ تُشَاهِدُهُمَا مِنْ نَافِذَةِ غُرْفَتِهَا. لَمْ تَرَ دِيرِيكَ هُونِيَجَ أَبَدًا يَجْلِسُ مَعَ الْوَالِدِهَا عِنْدَ الْمَسْبَحِ يَحْتَسِيَانِ الْمَشْرُوبَ، أَوْ فِي حَضْرَةِ أَيِّ أَحَدٍ آخَرَ، لَيْسَ حَتَّى وَالِدَتِهَا. كَانَ يَصِلُ فِي وَقْتِ مُتَأَخَّرِ دَائِمًا، بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. ثُمَّ يَذْهَبَانِ إِلَى الْخَلْفِ لِلتَّحَدُّثِ قَرَبَ الْأَشْجَارِ. تَحَفَّظَتْ بِالْفِطْرَةِ وَهِيَ طِفْلَةٌ أَلَّا تَسْأَلَ الْوَالِدِهَا عَنِ الْأَمْرِ لِأَنَّ مَا يَفْعَلَانِهِ كَانَ سِرًّا. مَا طَبِيعَةُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي فَعَلَهَا مَعًا عِبْرَ السَّنِينَ إِنْ اِخْتِطَفُوا طِفْلَتَهَا؟ مَاذَا بِإِمْكَانِ الْوَالِدِهَا أَنْ يَفْعَلَ أَيْضًا؟ نَهَضَتْ وَنَظَرَتْ خَارِجَ نَافِذَتِهَا الْمُطَلَّةِ عَلَى أَرْضِ وَغَابَاتٍ تَمْتَدُّ خَلْفَ مَنْزِلِهِمْ لِتَوَدِّيَ إِلَى الْوَادِي. كَانَتْ لَيْلَةً



حارّةً، لكن الآن هناك نسيمٌ خفيفٌ يدخلُ من حاجزِ النَّافذة. الوقتُ باكرٌ جداً، تستطيعُ فقط أن ترى خطوطاً مبهماً للعالمِ في الخارج. سمعت صوتاً من الطَّابِقِ السُّفْلِيِّ، بابٌ يُغلقُ بهدوء. بدا لها كصوتِ البابِ الخلفيِّ في المطبخ. مَنْ الذي قد يخرجُ في وقتٍ مُبكرٍ كهذا؟ لرُبما تكونُ أمُّها التي لا تستطيعُ النَّومَ أيضاً. فَكَّرَتْ أَنْ فِي النُّزولِ إِلَى الطَّابِقِ السُّفْلِيِّ والاندضمامِ إليها، لمُصَارحتِها، ومعرفةٍ إنْ كَانَتْ تستطيعُ إخبارها أيَّ شيء. عبرَ النَّافذةِ رأت والدها ينسلُ خارجَ المنزلِ عبرَ المِرجِ الأخضرِ الخلفي. تعمَّدَ المشيَ بِخُطى واسعةٍ ممَّا يدلُّ على معرفتهِ بالضُّبُطِ أين سيذهب. يحملُ حقيبةً رياضيَّةً كبيرة. شاهدتهُ من خلفِ السُّتارة، كما اعتادت أن تفعلَ في طفولتها خائفةً من أن يلتفتَ حولهُ ويُمسِكَ بها تتجسَّسُ عليه. لكنَّهُ لم يلتفتَ، توجَّهَ نحوَ الهوَّةِ بينَ الأشجارِ حيثُ يبدأ الطَّرِيقُ، ذلكَ الطَّرِيقُ الذي تعرفُهُ جيِّداً.

\*\*\*\*\*

ماركو في المنزلِ لا يستطيعُ النَّومَ أيضاً. يصدرُ ضجيجاً في أرجاءِ منزله، مُعذِّباً نفسه بأفكاره. لقد هجرتَه أن حقاً. شريطُ سنثيا المٌصوِّرِ دمَّرَه في عيني أن نهائياً. خانتهُ ليلةٌ أمسٍ بعدمِ اعترافها بشأنِ رؤيةِ أبيها برفقةِ ديريك هونيج. لكنَّهُ لا يلومها. فعلت ما يتوجَّبُ عليها فعله وهو يتفهَّمُ ذلك. رُبما ستعودُ كورا إليها بفضلِ ما فعلتهُ. ستعودُ إلى أن، ليسَ إلى ماركو. قد لا يرى كورا مُجدِّداً. سَتُطَلِّقُهُ أَنْ بالطَّبع. سَتُعِينُ أفضلَ المُحامِينَ لتحصلَ على حضانةٍ كاملة. إن حاولَ تطبيقَ قانونِ حقوقِ زيارةِ طفليتهِ، فإنَّ ريتشارد سيهدِّدهُ بالذهابِ إلى الشُّرطةِ، وإخبارهم عن دورِهِ في عمليةِ الاختطاف. خسرَ أيَّ حقٍّ في طفليتهِ.

إنَّهُ وحيدٌ تماماً. لقد فقدَ أعلى شخصين في حياته؛ زوجته وطفليته. لا يهمُ أيَّ شيءٍ آخر بعد الآن. بالكادِ يكثرُ لكونه مُفلساً، أو أنَّه يتعرَّضُ للابتزاز.

كُلُّ مَا بَوَّسَعَهُ فَعَلَهُ الْآنَ هُوَ التَّجَوُّالُ فِي الْمَنْزِلِ وَانْتِظَارِ إِجَادِ كُورَا.  
تَسَاءَلَ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَيُعَلِّمُهُ بَعُودَتِهَا. تَمَّ اسْتِبْعَادُهُ مِنْ دَائِرَةِ عَائِلَتِهِمْ  
الصَّغِيرَةِ تَمَامًا. رُبَّمَا سَيُعَلِّمُ بِشَأْنِ عُودَةِ كُورَا مِنَ الصُّحُفِ.

\*\*\*

تَرَدَّدَتِ أَنْ لِلْحِظَّةِ. هُنَاكَ سَبَبٌ وَحِيدٌ يَخْطُرُ عَلَيَّ بِأَلِهَا لِتَوَجُّهِ أَبِيهَا  
نَحْوَ الْوَادِي حَامِلًا الْحَقِيبَةَ الرَّيَاضِيَّةَ الْكَبِيرَةَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِنْ دُونِ  
أَحَدٍ لِمُقَابَلَتِهِ، إِنَّهُ زَاهِبٌ لِاسْتِعَادَةِ كُورَا. لَا بُدَّ أَنْ أَحَدًا مَا سَيُقَابِلُهُ هُنَاكَ.  
لَمْ تَكُنْ مُتَأَكِّدَةً مَاذَا عَلَيْهَا أَنْ تَفْعَلَ، هَلْ تَتَّبَعُهُ؟ أَمْ تَبْقَى فِي مَكَانِهَا  
وَاثْقَةً بِهِ أَنَّهُ سَيُعِيدُ لَهَا طِفْلَتَهَا. لَكِنَّ أَنْ تَوَاجَهَ مُشْكَلَةً فِي الْوَثُوقِ بِأَبِيهَا.  
كَانَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَعْرِفَ الْحَقِيقَةَ. ارْتَدَّتْ مَلَابِسَ اللَّيْلِ السَّابِقَةِ  
بِعَجَلَةٍ وَشَقَّتْ طَرِيقَهَا إِلَى الطَّابِقِ السُّفْلِيِّ عِبْرَ الْمَطْبِخِ إِلَى خَارِجِ الْبَابِ  
الْخَلْفِيِّ. لَسَعَهَا الْهَوَاءُ الْبَارِدُ الَّذِي جَعَلَ الْقَشْعَرِيرَةَ تَجْرِي فِي يَدَيْهَا.  
بَدَأَتْ الْجَرِيَّ فَوْقَ الْعُشْبِ الرَّطْبِ، مُتَتَّبِعَةً آثَارَ أَقْدَامِ وَالِدِهَا. لَمْ يَكُنْ  
لَدَيْهَا خُطَّةٌ، كَانَتْ تَتَّبِعُ غَرِيزَتَهَا فَقَطْ. نَزَلَتْ بِخَفَّةٍ عَلَى السُّلَّمِ الْخَشْبِيِّ  
الَّذِي يَقُودُ إِلَى الْوَادِي الْمَشْجَرِ. يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى السِّيَاحِ، وَالْأُخْرَى تَسْبُحُ  
فِي الظَّلَامِ. مَضَتْ سِنَوَاتٌ طَوِيلَةٌ عَلَى عُبُورِهَا هَذَا الطَّرِيقِ، كَانَتْ تَحْفَظُهُ  
عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهَا، كَانَتْ ذَاكُرَتْهَا حَلِيفَتَهَا فِي تَذَكُّرِهَا هَذِهِ الْمَرَّةَ.

كَانَتْ الْغَابَةُ أَكْثَرَ ظِلَامًا. الْأَرْضُ تَحْتَ قَدَمَيْهَا رَقِيقَةٌ وَرَطِبَةٌ تَبْتَلَعُ  
خَطَوَاتِهَا، تُصَدِرُ حَفِيفًا وَهِيَ تَرَكُضُ بِأَقْصَى سُرْعَتِهَا فِي الطَّرِيقِ  
الْمُوَحَّلِ خَلْفَ وَالِدِهَا. كَانَتْ الطَّرِيقُ مُخِيفَةً فِي الظَّلَامِ، لَمْ تَسْتَطِعْ  
رُؤْيَتَهُ لَكِنَّهَا حَمَّنتُ أَنَّهُ سَيَتَّبِعُ هَذَا الطَّرِيقَ. خَفِقَ قَلْبُهَا أَنْ بِشِدَّةٍ مِنْ  
الْخَوْفِ وَالْإِجْهَادِ. كَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُتَعَلِّقٌ بِهَذِهِ اللَّحْظَةِ، وَأَنَّ  
وَالِدِهَا خَرَجَ لِإِعَادَةِ طِفْلَتِهَا إِلَيْهَا. فَجَاءَتْ أَدْرَكَتْ أَنَّهَا قَدْ تُخْرِبُ كُلَّ شَيْءٍ  
إِنْ قَامَطَعَتِ الْمُقَابِلَةَ. يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَبْقَى مَخْتَبِئَةً، بِقِيَمٍ ثَابِتَةً لِلْحِظَّةِ.  
ظِلَامِ الدَّامِسِ. لَمْ تَرَ شَيْئًا سَجَارَ وَالظَّلَامِ.

عاوَدَتِ المَشْيَ في ذلِكَ الطَّرِيقِ، أُسْرِعَ وَبَحِذِرَ أَكْثَرَ لَكِنِ عَلى نَحْوِ أَعْمَى. كَانَتْ تَلْهَتْ بِصَعُوبَةٍ وَالْهَلْعُ وَالْإِجْهَادُ يَتَمَلَّكَانَهَا. وَاجْهَتْ مُنْعَطْفًا فِي الطَّرِيقِ، هُنَاكَ يَوْجَدُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ السَّلَالِمِ الخَشِيبَةِ المُنْحَدِرَةِ بِشَكْلِ حَادِّ لَتَنْتَهِي بِشَارِعِ سَكْنِيٍّ أَعْلَاهَا.

نَظَرَتْ إِلَى أَعْلَى فَرَأَتْ وَالدَّهَا أَمَامَهَا مُبَاشِرَةً، كَانَتْ وَحِيدًا يَهْبِطُ السَّلَالِمَ الَّتِي تُشَكِّلُ مَخْرَجًا مِنَ الوَادِي إِلَى الشَّارِعِ المُجَاوِرِ. حَامِلًا صِرَّةً بَيْنَ يَدَيْهِ. لَا بُدَّ أَنَّهُ يَرَاهَا الآنَ. هَلِ اسْتَطَاعَ تَمْيِيزَ ظِلِّهَا فِي الغَابَةِ المُظْلَمَةِ؟ صَاحَتْ أَنْ:

- أَيْ.

- أَنْ؟ (رَدَّ وَالدَّهَا بِصَوْتِ مُرْتَفِعٍ) مَاذَا تَفْعَلِينَ هُنَا؟ لِمَ لَسْتِ نَائِمَةً؟

- هَلِ هَذِهِ كُورَا؟

اقْتَرَبَتْ مِنْهُ أَكْثَرَ وَهِيَ تَتَنَفَّسُ بِتَثَاوُلٍ. كَانَتْ أَسْفَلَ السَّلَالِمِ وَأَبُوهَا فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ نَحْوَهَا. أَصْبَحَتْ تَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ وَجْهِهِ بِوَضُوحٍ أَكْثَرَ.

- نَعَمْ، إِنَّهَا كُورَا! (صَرَخَ قَائِلًا) أَعَدْتَهَا إِلَيْكَ!

كَانَتْ الصِّرَّةُ تَتَدَلَّى بَيْنَ يَدَيْهِ كَجُثَّةٍ هَامِدَةٍ. جَرَتْ نَحْوَهُ بِأَقْصَى سُرْعَتِهَا، تَعَثَّرَتْ لَكِنَّهَا تَشَبَّهَتْ بِذِرَاعَيْهَا. فَتَحَتْ يَدَيْهَا لَهُ وَصَرَخَتْ:

- أَعْطَنِي إِيَّاهَا.

أَعْطَاهَا الصِّرَّةَ. أَزَاحَتْ الغَطَاءَ عَنِ وَجْهِ الطِّفْلِ مَذْعُورَةً مِمَّا قَدْ تَجِدُ. كَانَتْ الطِّفْلَةُ سَاكِنَةً تَمَامًا. نَظَرَتْ أَنْ إِلَى وَجْهِهَا. إِنَّهَا كُورَا. بَدَتْ مَيِّتَةً. أَمَعْنَتْ النُّظَرَ جَيِّدًا لِتَعْرِفَ إِنْ كَانَتْ تَتَنَفَّسُ. كَانَتْ تَتَنَفَّسُ بِصَعُوبَةٍ وَعَيْنَاهَا تَلْمَعَانِ خَلْفَ جَفْنَيْهَا الشَّاحِبَيْنِ. وَضَعَتْ أَنْ يَدَهَا بِلُطْفٍ عَلَى صَدْرِ كُورَا. شَعَرَتْ بِدَقَّاتِ قَلْبِهَا الصَّغِيرِ وَصَدْرَهَا يَرْتَفِعُ وَيَنْخَفِضُ. كَانَتْ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ عَلَى مَا يُرَامُ.

جلست على الدرجة الأولى من السلم، وبسرعة فائقة بدأت بإرضاع كورا. ما زال هنالك حليب، وبقليل من التشجيع استطاعت الطفلة الواهنة التعلق بصدر أمها وبدأت ترضع بجوع.

ضمت أن طفلتها إلى صدرها. تلك اللحظة التي ظنت أنها لن تعيشها مجددًا. انهمرت الدموع على خديها وهي تنظر لطفلتها الرضعية، ثم ألقت نظرة سريعة على والدها الذي ما يزال يقف بجانبها. حاول أن يتجنب نظراتها. بدأ بالشرح لها:

- أحدهم اتصل مجددًا، منذ ساعة مضت وعقد لقاء آخر في الطريق من الطرف الآخر من الوادي. لكن هذه المرة جاء رجل ما، أعطيتُه المال وسلمها لي. حمدًا لله. كنت سأحضرها إلى المنزل وأوقفك بنفسي. (ثم ابتسم لها). انتهى هذا الأمر يا آن، أعدتها إليك. نظرت إلى طفلتها صامتة، لا تريد النظر إليه. إنها تحمل كورا مجددًا. لا بد أن تهاتف ماركو.

مكتبة

t.me/t\_pdf

## الفصل السادس والثلاثون

كَانَتْ مَعِدَّةُ مَارِكُو تَتَمَخَّضُ حِينَ وَقَفَتْ سَيَّارَةُ الْأَجْرَةِ أَمَامَ مَنْزِلِ وَالِدِي أَنْ رَأَى جَمِيعَ سَيَّارَاتِ دُورِيَّةِ الشُّرْطَةِ وَسَيَّارَةَ الْإِسْعَافِ مَرْكُونَةً أَمَامَ الْبَابِ الْأَمَامِيِّ، وَلَا حَظَّ وَجُودِ سَيَّارَةِ الْمُحَقِّقِ رَازِبَاكِ أَيْضًا. قَالَ السَّائِقُ:

- مَا الَّذِي يَجْرِي يَا صَاح؟!

لَمْ يُجِبْهُ مَارِكُو. اتَّصَلَتْ أَنْ بِهِ مِنْذُ بَضْعِ دَقَائِقٍ وَقَالَتْ:

- إِنَّهَا مَعِي، وَهِيَ بِخَيْرٍ، عَلَيْكَ الْقَدُومَ.

كُورَا عَلَى قَبْدِ الْحَيَاةِ، وَأَنْ هَاتَفْتَهُ! لَيْسَ لَدَيْهِ أَيُّ فِكْرَةٍ عَمَّا سَيَحْصُلُ

تَالِيًا.

أَسْرَعَ مَارِكُو فِي صَعُودِ دَرَجَاتِ السَّلَامِ الْأَمَامِيَّةِ لِعَتْبَةِ الْمَنْزِلِ الَّذِي تَرَكَهُ مِنْذُ سَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ. دَخَلَ إِلَى غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ. رَأَى أَنْ عَلَى الْأَرِيكَةِ تَحْتَضُنُ طِفْلَتَهُمَا الصَّغِيرَةَ بَيْنَ يَدَيْهَا. كَانَ هُنَاكَ شَرْطِيٌّ بَزِيَّةِ الْكَامِلِ يَقِفُ خَلْفَ الْأَرِيكَةِ كَأَنَّهُ مُخَصَّصٌ لِحَمَايَتِهَا. لَمْ يَكُنْ وَالِدُهَا وَوَالِدَتُهَا فِي الْغُرْفَةِ. تَسَاءَلَ أَيْنَ هُمَا وَمَا الَّذِي حَدَثَ.

هرع إلى آن والطفلة، وغمرهما بحضنٍ مليءٍ بالدموع. تراجع قليلاً لينظرَ إلى كورا بعناية. كانت هزيلةً ومريضةً لكنّها تتنفسُ وتنامُ بعمق ويدها الصغيرتانِ مطويتان. «حمداً لله». قال ماركو والدموعُ تنهمرُ على وجنتيه. «حمداً لله». حدّق مولعاً إلى طفلةٍ ومسدّ بلطفٍ تجعيداتٍ شعرها الباهتة. لم يشعر بسعادة في حياته أكثرَ من هذه اللحظة. يُريدُ أن يتوقّف الزّمن ليتذكّر هذه اللحظة إلى الأبد. قالت آن:

- تفقّد المسعفونَ وضعها الصّحّي وقالوا إنّها بخير، لكن علينا اصطحابها إلى المستشفى، وإجراء فحوصاتٍ شاملةٍ لها.
- بدت آن مُتعبةً وهزيلة، لكنّه يستطيعُ رؤية أنّها سعيدةٌ جدّاً.
- ماذا حصل؟ أين والدك؟ (سأل ماركو بصعوبة).
- إنّهما في المطبخ.

لكن قبل أن تتمكّن من قولٍ أيّ شيءٍ آخر دخلَ المحقّق رازباك لينضمّ إليهما في غرفةِ المعيشة. قال المحقّق:

- أهنتكما.
- شكراً لك.
- قال له ماركو ذلك، وكعادته لا يستطيعُ قراءةَ تعابيرِ وجهِ المحقّق. لا يستطيعُ اكتشافَ ما يحدثُ خلفَ هاتين العينينِ الحادّتينِ القطنتين.
- أنا سعيدٌ بعودةِ طفلتكما بخير. (قال رازباك ذلك حينها ونظرَ إلى ماركو، ثمّ أضاف) لم أشأ أن أقول هذا مُسبقاً لكنّ الاحتمالات كانت ضعيفة.

جلسَ ماركو بتوتّرٍ بجانبِ آن. نظرَ إلى كورا مُتسائلاً إن كانت ستنتزِعُ منه هذه اللحظة الجميلة، وإن كان رازباك سيخبرُه أنّه يعرفُ كلَّ شيء. كان التوتّرُ غيرَ محتمل أبداً. سأل مجدداً:

- ما الذي حصل؟

قالت له آن:

- لم أستطع النوم. رأيتُ أبي من نافذةِ عُرفتي يذهبُ إلى الوادي. كانَ يحملُ حقيبةَ رياضيةً. اعتقدتُ أَنَّهُ ذاهبٌ ليقابلَ الخاطفين مُجددًا، فتبعتهُ إلى الوادي. حينَ وصلتُ إليه كانتَ معه. اتَّصلَ الخاطفون مُجددًا، وعقدوا عمليةَ تبادلٍ أُخرى. هذه المرَّة جاء رجلٌ ومعه كورا. (التفتتُ إلى المُحقِّق وقالت) كان قد اختفى حين وصلتُ عندَ أبي.

انتظرَ ماركو بصمتٍ. هكذا سيُديرونَ اللعبةَ إذا. كانَ يحاولُ فكَّ العقدةَ هنا. سيكونُ ريتشارد هو البطل. هو وأليس دفعوا مُجددًا لاستعادةِ كورا. أُخبرتُ أَن الشرطَةَ ذلك لتوها. لم يعرف ماركو إن كانت تُصدِّقُ تلكَ الحكايةَ أم لا، وليسَ لديه أدنى فكرةٍ عما يصدِّقه المُحقِّق. سألَ ماركو:

- ماذا سيحصلُ الآن؟

نظرَ إليه رازباك وقال:

- حسنًا يا ماركو، أخبرني بالحقيقة.

شعرَ ماركو بخفَّةٍ في رأسِهِ تُشبهُ الدُّوَارَ تقريبًا. رأى أَن ترفعُ نظرها عن طفلتها إلى المُحقِّق، لقد تنبَّهت للكارثة. قال ماركو:

- حقيقة ماذا؟ (شعرَ بالعرقِ يوخزُ جلده).

جلسَ رازباك على كُرسيِّ قبالتهمَا، وانحنى إلى الأمامِ لاهتمامِهِ بالحديث.

- أعلمُ ما فعلتهُ يا ماركو. أعلمُ أَنك أخذتَ طفلتكَ من سريرها ووضعتها في مؤخرةِ سيارَةِ ديريك هونيج بعدَ الثانية عشرة والنِّصف تلكَ اللَّيلة. أعلمُ أَنَّ ديريك أخذها إلى كوخِهِ في «كاتسكلز»، حيثُ قُتِلَ بوحشيةٍ منذُ عدَّةِ أَيَّام.

لَمْ يَقُلْ مَارِكُو شَيْئًا. يَعْلَمُ أَنَّ رازبَاكَ اعْتَقَدَ هَذَا طَوَالَ الْوَقْتِ، لَكِنْ مَا الدَّلِيلُ الَّذِي يَمْلِكُهُ؟ هَلْ أَخْبَرَهُ رَيْتشارْدُ عَنِ الْهَاتِفِ؟ هَلْ هَذَا مَا كَانَ يَفْعَلُهُ فِي الْمَطْبِخِ؟ هَلْ أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّ عَنِ الشَّرِيطِ الْمَصُورِ؟ فَجَاءَ أَصْبَحَ لَا يُطِيقُ النَّظَرَ إِلَى زَوْجَتِهِ.

- إِلَيْكَ مَا أَظَنُّهُ يَا مَارِكُو.

قَالَ رازبَاكُ ذَلِكَ مُتَحَدِّثًا ببطءٍ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَكَأَنَّهُ يُقَدِّرُ الضَّغْطَ الَّذِي يَعِيشُهُ مَارِكُو فَقَدْ يُعَانِي صَعُوبَةً فِي الْفَهْمِ.

- أَظُنُّ أَنَّكَ كُنْتَ بِحَاجَةٍ لِلْمَالِ، وَخَطَّطْتَ لِهَذَا الْاِخْتِطَافِ مَعَ دِيرِيكِ هُونِيَجَ لِتَحْصِلَا عَلَى الْمَالِ مِنَ الْوَالِدِيِّ زَوْجَتِكَ. لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ زَوْجَتَكَ كَانَتْ عَلَى دِرَايَةٍ بِأَيِّ مِنْ هَذَا.

هَزَّ مَارِكُو رَأْسَهُ بِالنَّفْيِ. عَلَيْهِ إِنْكَارُ كُلِّ شَيْءٍ.

بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ رازبَاكُ:

- لَسْتُ مُتَأَكِّدًا، رُبَّمَا بِإِمْكَانِكَ مُسَاعَدَتِي. هَلْ قَتَلْتَ دِيرِيكِ هُونِيَجَ يَا مَارِكُو؟

صَرَخَ مَارِكُو بوحشيَّةٍ:

- كَلَّا، لِمَ قَدْ تَظُنُّ ذَلِكَ؟

كَانَ مُنْفَعِلًا جَدًّا. مَسَحَ يَدَيْهِ الْمُتَعَرِّقَتَيْنِ بِنِطَالِهِ. قَالَ رازبَاكُ بِهَدوءٍ:

- خَانَكَ دِيرِيكِ، لَمْ يُحْضِرِ الطُّفْلَةَ إِلَى عَمَلِيَّةِ التَّبَادُلِ كَمَا خَطَّطْتُمْ. أَخَذَ الْمَالَ لِنَفْسِهِ. عَلِمْتَ أَيْنَ كَانَ مَعَ الطُّفْلَةِ، عَلِمْتَ بِشَأْنِ الْكُوخِ فِي الْغَابَةِ.

- كَلَّا! (صَرَخَ مَارِكُو) لَمْ أَعْرِفْ مَوْعَةَ الْكُوخِ! لَمْ يُخْبِرْنِي قَطُّ!

عَمَّ صَمْتُ تَامَ فِي الْغُرْفَةِ بِاسْتِثْنَاءِ دَقَّاتِ السَّاعَةِ فَوْقَ رَفِّ الْمَوْقِدِ.

دَفَنَ مَارِكُو رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَنَهِّدًا.



انتظرَ رازباك قليلاً تاركًا الصَّمْتِ المُهْلِكِ يملأُ الغُرْفَةَ، ثمَّ قالَ بُلْطَفٍ  
أكثر:

- ماركو، لا أعتقدُ أنكِ أردتِ أن تسيّرَ الأمورَ بذلك الشَّكلِ. لا أظنُّكَ  
قتلتِ ديريك هونيچ، بل والدُ زوجتكِ (ريتشارد درايز) هو من قتل  
ديريك هونيچ.

رفعَ ماركو رأسه وأكملَ رازباك كلامه:

- إن اعترفتِ وأخبرتنا بكلِّ شيءٍ تعرفه لمساعدتنا في قضيتنا ضدَّ  
ريتشارد، قد نستطيعُ التوصلَ لتسويةٍ معك.

- أيُّ تسويةٍ هذه؟ (سألَ ماركو. كانَ عقله مُشوَّشًا).

- إن ساعدتنا، ربَّما سنتمكَّنُ من تأمينِ حصانةٍ لكِ مِنَ المُلَاحَقَةِ  
القضائيَّةِ بتهمةِ التأمُرِ على الخطفِ. بإمكانِ التَّحدُّثِ إلى  
القاضي، أعتقدُ أنَّه سيوافقُ تحتَ هذه الظروفِ.

بدأَ ماركو يرى شِعاعَ أملٍ بعدَ أن انطفأَ الأملُ لديه تمامًا. جفَّ حلقُه  
ولم يستطعِ التَّكلمَ، فأطرقَ برأسِهِ عوضًا عن ذلك. بدا له اتِّفاقًا جيِّدًا بما  
فيه الكفاية. قالَ رازباك:

- عليكِ القدومُ معنا إلى المخفرِ، بعدَ أن نُرتَّبَ الوضعَ هنا. (وقفَ  
وعادَ إلى المطبخِ).

\*\*\*

بقيتِ آن في غُرْفَةِ المعيشةِ، تحملُ طفلتها النَّائمةَ، لكنَّ ماركو نهضَ  
وتبعَ رازباك إلى المطبخِ. تَفاجأَ أنَّ قدميه تستطيعانِ حملَه إلى هناكِ.  
كانَ ريتشارد يجلسُ على أحدِ مقاعدِ المطبخِ، صامتًا بعنادِ. التقتِ  
نظراتهما، ثمَّ أشاحَ ريتشارد بنظرِهِ بعيدًا. لكزَ الشرطيُّ ريتشارد ليقفَ  
ووضعَ الأصفادَ بيديه. شاهدتِ آليس الموقفَ في الخلفِ صامتةً، وجهها  
خالٍ من التَّعابيرِ. قالَ المحققُ رازباك:

- ريتشارد آدم درايز، أَنْتَ رهنُ الاعتقالِ بْتَهْمَةٍ قَتَلَ ديريك هونيج وتلفيقِ اختطافِ كورا كونتي. لديكِ الحقُّ بالتزامِ الصَّمْتِ. أَيُّ شيءٍ تقوله سيُستخدمُ ضدَّكِ في المحكمة. لديكِ الحقُّ بتعيين مُحامٍ...

شاهدَ ماركو ذلك، مذهولاً كم هو محظوظ: عادت طفلةُ سالمةً، واكتُشِفَ ريتشارد وسينالُ ما يستحقُّهُ. وهو، ماركو، لَنْ يُحاكَمَ. لَمْ يَعدْ لدى سنثيا أَيُّ شيءٍ ضدهُ الآن. شعرَ أَنَّهُ يتنفَّسُ لأولِ مرَّةٍ منذ بدأ هذا الكابوس. انتهى وأخيراً!

قادَ الشُّرطيَّانِ ريتشارد مُكبَّلاً إلى الخارجِ عبرَ غُرْفَةِ الجلوسِ ثمَّ البابِ الأماميِّ. تبعهُ رازباك وماركو وأليس. لَمْ يَقُلْ ريتشارد أَيُّ شيءٍ، لم ينظرْ إلى زوجتهِ أو ابنتهِ أو حفيدتهِ أو حتَّى صهره.

ماركو وأن وأليس شاهدوهُ جميعاً يذهب. ألقى ماركو نظرةَ خاطفةٍ على زوجتهِ، استعادا طفلتَهُما المحبوبة. باتتْ أن تعرفَ كلَّ شيءٍ الآن. لا يوجدُ المزيدُ من الأسرارِ بينهما. في مخفرِ الشُّرطةِ حلُّوا أمرَ التَّفاصيلِ المُتعلِّقةِ بتسويةِ ماركو. يملكُ ماركو الآنُ مُحامياً جديداً! من شركةِ أفضلِ مُحامِي الإِجرامِ في المدينة. شركةٌ مختلفةٌ عن شركةِ «أوبري ويست».

أخبرَ ماركو المُحقِّقَ رازباك بكلِّ شيءٍ. قالَ له:

- حاصرني ريتشارد من جميع الجهات، أوقع بي. أرسل لي ديريك. كانت فكرتهُ هو. علما أَنني أحتاجُ إلى المال.

تحدَّثتْ آن:

- ظننتُ أنَّ أبي وراء ذلك. علمتُ أَنَّهُ يعرفُ ديريك هونيج - لقد تعرَّفْتُ إليه - اعتادَ أن يأتيَ إلى منزلنا منذُ سنواتٍ عدَّة. لكن كيفَ علمتِ أنتِ بالأمر؟ أجابها رازباك:

- علمتُ أَنَّهُ يَكْذِبُ، قَالَ إِنَّ الْخَاطِفِينَ اتَّصَلُوا بِهِ، لَكِنَّا وَضَعْنَا  
أَجْهَزَةً تَنْصُتُ عَلَى هَاتِفِهِ وَهَكَذَا عَلِمْنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّصَلُوا، ثُمَّ اتَّصَلْتُ  
بِي وَالدُّكِّ لَيْلَةَ الْبَارِحَةِ.

- والدتي؟

- والدكِ كَانَ عَلَى عِلَاقَةٍ غَرَامِيَّةَ.

- أَعْلَمُ ذَلِكَ (قَالَتْ أَنْ)، أَخْبَرْتَنِي أُمِّي هَذَا الصَّبَاحِ.

قَالَ مَارْكَو:

- مَا عِلَاقَةُ هَذَا بِأَيِّ شَيْءٍ؟

- وَالِدَةُ زَوْجَتِكَ عَيَّنَتْ مُحَقِّقًا خَاصًّا لِيَكْتَشِفَ مُخْطَطَاتِهِ. وَضَعِ

الْمُحَقِّقُ جِهَازَ تَحْدِيدٍ لِلْمَوْقِعِ عَلَى سَيَّارَةِ رِيْتَشَارْدٍ مِنْذُ بَضْعَةِ

أَسَابِيْعٍ، مَا يَزَالُ هُنَاكَ. (اسْتَمَعَ مَارْكَو وَأَنْ بَعْنَايَةَ إِلَى الْمُحَقِّقِ).

نَعْرِفُ أَنَّ رِيْتَشَارْدَ نَهَبَ إِلَى الْكُوخِ فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ مِنْ تَوْقِيْتِ

الْجَرِيْمَةِ. (تَبَادَلَ مَارْكَو وَأَنْ النُّظْرَاتِ. أَضَافَ رَاذِبَاكُ مُتَحَدِّثًا إِلَى

أَنْ) وَالدُّكِّ تَعَرَّفَتْ أَيْضًا إِلَى دِيرِيكٍ حَالِمًا أُرِيْتَهَا صَوْرَتَهُ.

قَالَ مَارْكَو:

- كَانَ الْهَاتِفُ بِحَوْزَةِ رِيْتَشَارْدِ، هَاتِفُ دِيرِيكِ الَّذِي اسْتَحْدَمْنَاهُ

لِلتَّوَاصُلِ فِيْمَا بَيْنِنَا. لَاحِظْتُ وَجُودَ عِدَّةٍ مُكَالِمَاتٍ فَائِتَةٍ عَلَى

هَاتِفِي. حِينَ اتَّصَلْتُ بِالرَّقْمِ أَجَابَنِي رِيْتَشَارْدُ. قَالَ إِنَّ الْخَاطِفِينَ

أَرْسَلُوا إِلَيْهِ الْهَاتِفَ عَبْرَ الْبَرِيدِ، مَعَ مُلَاحِظَةٍ. فَتَسَاءَلْتُ إِنْ كَانَ قَدْ

قَتَلَ دِيرِيكَ وَأَخَذَ الْهَاتِفَ. لَمْ أَصَدِّقْهُ أَبَدًا بِشَأْنِ الْمُلَاحِظَةِ. قَالَ إِنَّهُ

أَتْلَفَهَا لِحَمَايَتِي، لِأَنَّهَا تَوَرَّطُنِي بِالْجَرِيْمَةِ.

قَالَ رَاذِبَاكُ:

- لَمْ تَرَ أَلَيْسَ الْمُلَاحِظَةُ أَوْ الْهَاتِفَ قَطُ. قَالَ رِيْتَشَارْدُ أَنَّهُمَا وَصَلَاهُ

حِينَ كَانَتْ خَارِجَ الْمَنْزَلِ.

- لِمَ قَتَلَ ريتشارد ديريك؟ (سأل ماركو).

- نعتقدُ أنّ ديريك كان عليه إعادةُ الطفلة حينَ أحضرتَ مالَ الفدية. لكنَّهُ لم يفعل، فأدركَ ريتشاردُ أنّه غدرَ به. نظنُّ أنّ ريتشارد تبعهُ إلى الكوخِ في تلك اللّيلة وقتلَهُ. هكذا سنحتَ له الفرصةُ أن يضعَ اتِّفاقًا آخرَ ليطلبَ فديةً أكبر.

- أين كانتَ كورا حينَ أخذتَ من الكوخ؟ مَنْ كانَ يعتني بها؟ (سألتَ آن).

- أوقفنا ابنةَ سكرتيرة ريتشارد في سيَّارتها هذا الصِّباح. كانتَ تُغادرُ المنطقةَ بعدَ أن أعادَ ريتشارد الطفلة. كانتَ الطفلةُ لديها. اتَّضحَ أنّها تُعاني إدمانِ المُخدِّرات، واحتاجتَ إلى المال. (شهقتَ أنّ مذعورةً ويدها تغطيانِ وجهها).

عادتَ آن وماركو إلى المنزلِ أخيرًا بصُحبةِ كورا، مُرهقينَ لكن مُطمئنَّين. بعدَ الذَّهابِ إلى مخفرِ الشُّرطة، أخذَ ماركو وأن كورا إلى المُستشفى، حيثُ أُجريتَ لها فحوصاتٌ طبيَّةٌ شاملةٌ تؤكدُ أنّها بصحَّةٍ جيِّدة. حضَّرَ ماركو وجبةً لكليهما بينما كورا كانت ترضعُ من جديد. لم تُعدِ الصَّحافةُ تلغطُ أمامَ منزلهم. وضحَّ مُحاميتهم الجديد للصَّحافةِ أنّ آن وماركو لن يتحدَّثا إليهم، وهُدِّدَهم باتِّخاذِ الإجراءاتِ القانونيَّةِ المُناسبة في حالِ إزعاجهما مُجددًا. سيعرضونَ منزلهم للبيعِ حينَ يستتبُّ الوضعُ بعدَ فترةٍ مُعيَّنة. أخيرًا وضعَا كورا في مهدها، بعدَ أن خلعا ملابسها السَّابقةَ وحمَّماها. قاما بمُعابنتها بحذرٍ كما فعلا عندَ ولادتها، ليتأكَّدا أنّها بخير. كانتَ كالولادةِ من جديد، استعادتها من براثنِ المَوت. ربَّما هي بدايةٌ جديدةٌ لهم جميعًا. قالتَ آن لنفسها إنّ الأطفالَ مرنونَ وإنَّ كورا ستكونُ بخير. وقفَا بجانبِ سريرها، ينظرانِ إلى طفلتهما وهي تبتسمُ لهما وتُصدرُ ضجيجَ الأطفال. يا لها من راحةٍ عظيمةٍ رؤيتها تضحكُ من جديد! في السَّاعاتِ التَّاليةِ من استعادتها كل

ما فعلته هو الرضاعة والبكاء المستمر، لكن الآن عادت كورا تبتسم من جديد. استلقت على ظهرها تشاهد الزينة والديها يحومان حولها، وهي تركل بقدميها لاهيةً.

- لم أعتقد أن هذه اللحظة ستحدث (همست أن).

- ولا أنا. (قال ماركو وهو يلوح بخشيشة الأطفال أمامها، بينما هي تضحك وتمسكُ بها بإحكام).

كانا هادئين لفترةٍ، يُشاهدان طفلهما تغطُ في النوم.

- هل باستطاعتك مُسامحتي؟ (سأل ماركو أخيراً).

فكّرت في قرارة نفسها، كيف بإمكانني أن أسامح أنا نيتك، وذلك الضعفُ والغباء الذي كنت عليه؟ قالت له:

- لا أعرف يا ماركو، لا أستطيع التفكير.

أوماً وقد لسعه كلامها. بعد لحظةٍ قال:

- لم يكن هناك أي امرأةٍ أخرى يا آن، أقسم لك.

- أعلم.

مكتبة

t.me/t\_pdf



## الفصل السابع والثلاثون

وضعت آن كورا في سريرها مُجدِّداً، على أملٍ أن تكونَ تلك وجبتها الأخيرة في تلك الليلة وأن تغطَّ في نومٍ عميقٍ حتَّى الصُّباح. كانَ الوقتُ متأخراً -متأخراً جداً- لكنَّها تستطيعُ سماعَ سنثيا تتحرَّكُ بلا هوادهٍ في منزلها المُجاور. كانَ يوماً مليئاً بالاكْتشافاتِ الصَّادمة. بعدَ أن أُخِذَ والدها مُكبَّلاً من منزل العائلة، أخذتها أُمُّها جانباً بينما كانَ ماركو يحملُ الطِّفلةَ النَّائمةَ في حُضنِهِ في عُرفةِ المعيشة.

- أعتقدُ أنَّه عليكِ أن تعرفي بمنَ كان والدكِ يلتقي.

- وهل يَهُمُّ؟ (سألتِ آن).

ما الفرقُ الذي سيشكِّله معرفةُ من كان يُقابل؟ بالتَّأكيدِ كانتِ امرأةٌ أصغرَ وأكثرَ جمالاً. آن لم تكثرِ لهويَّتها؛ ما يهْمُّها أنَّ والدها -في الواقعِ، تذكَّرتِ، زوج والدتها- اختطفَ طفلتها ليحصلَ على ملايينِ الدُّولاراتِ من مالِ والدتها. الآن سيذهبُ إلى السِّجنِ بثَّمةِ الخطفِ والقتل. ما زالتِ لا تُصدِّقُ أنَّ هذا حقيقيٌّ.

- كَانَ يُقَابِلُ جَارَتِكَ. سَنَثِيَا سَتِيلُوِيل. (نَظَرَتِ أَنْ إِلَى وَالِدَتِهَا  
غَيْرَ مُصَدِّقَةٍ، مَا زَالَتْ هُنَاكَ أَخْبَارٌ تَسْتَطِيعُ إِذْهَالَهَا بَعْدَ كُلِّ مَا  
حَصَلَ). لَقَدْ تَعَرَّفَ عَلَيْهَا فِي حَفْلَةِ رَأْسِ السَّنَةِ الَّتِي أَقَمْتِهَا عِنْدَكَ.  
أَذَكَّرُهَا وَهِيَ تُغَازِلُهُ، لَمْ أَفَكِّرْ بِالْأَمْرِ كَثِيرًا وَقَتَهَا. لَكِنَّ الْمُحَقِّقَ  
الْخَاصَّ اكْتَشَفَ أَمْرَهُمَا. لَدَيَّ صُورُهُمَا. (ظَهَرَتِ تَعَابِيرُ الْقَرْفِ  
عَلَى وَجْهِهَا. ثُمَّ أَضَافَتْ وَالِدَتَهَا) لَدَيَّ أَيْضًا نَسْخَةٌ عَنِ فَوَاتِيرِ  
الْفَنَادِقِ.

سَأَلَتِ أَنْ:

- لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرِينِي؟

- عَلِمْتُ بِالْأَمْرِ حَدِيثًا. (وَضَّحَتْ أَلَيْسَ). ثُمَّ اخْتَطِطْتَ كُورًا، لَمْ أَشَأْ  
أَنْ أَحْزَنَكَ أَكْثَرَ. (أَضَافَتْ بِمَرَارَةٍ كَبِيرَةٍ) ذَلِكَ الْمُحَقِّقُ كَانَ أَفْضَلَ  
اسْتِثْمَارٍ قَمْتُ بِهِ فِي حَيَاتِي.

الآن... تتساءل أن عما يجول في رأس سنثيا، بما أن غراهام مُسافرٌ  
فهي وحيدة في منزلها. لا بُدَّ أَنَّهَا تَعْلَمُ بِشَأْنِ اعْتِقَالِ رِيْتَشَارْد. تَمَّ عَرْضُهُ  
فِي الْأَخْبَارِ. هَلْ تَكْتَرْتُ سَنَثِيَا حَتَّى لِمَا سَيَحْدُثُ لَرِيْتَشَارْد؟

كَانَتْ الطُّفْلَةُ نَائِمَةً فِي سَرِيرِهَا وَمَارِكُو يَشْخُرُ بَعْمَقٍ فِي سَرِيرِهِمَا،  
إِنَّهُ يَنَامُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مِنْذُ أَسْبُوعٍ. لَكِنَّ أَنْ مُتِيْقِظَةً، وَكَذَلِكَ سَنَثِيَا فِي مَنَزْلِهَا  
الْمُجَاوِرِ. ارْتَدَّتْ خَفِّهَا وَخَرَجَتْ مِنْ بَابِ الْمَطْبَخِ. مَشَتْ بِهَدْوٍ عَدَّةَ  
خَطَوَاتٍ وَصَوَّلًا إِلَى الْفَنَاءِ الْخَلْفِيِّ لِمَنْزِلِ سَنَثِيَا. أَغْلَقَتْ الْبَوَابَةَ بِحَذَرٍ  
لئَلَّا تُصَدَرَ دَوِيًّا. عَبَرَتِ الْفَنَاءَ وَوَقَفَتْ فِي الظَّلَامِ. كَانَتْ تَنْظُرُ عَبْرَ الْبَابِ  
الزُّجَاجِيِّ وَوَجْهَهَا عَلَى بُعْدِ بَضْعَةٍ إِنْشَاتٍ مِنَ الزُّجَاجِ. الْأَنْوَارُ مُضَاءَةٌ  
فِي الْمَطْبَخِ، تَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ سَنَثِيَا تَتَحَرَّكُ حَوْلَ الْمَنْضَدَةِ قَرَبَ الْحَوْضِ،



لكنها أدركت أنّ سنثيا لا تراها. شاهدتها آن لفترةٍ قصيرةٍ في الظلام. كانت سنثيا تُعدُّ الشَّايَ لنفسها، ترتدي ثوبَ نومٍ أخضرَ فاتحًا مُثيرًا. كانَ فاضحًا جدًّا بالنسبةِ لليلةٍ ستقضيها بمفردها. منَ الجليِّ أنّ سنثيا لم ترَ أن تقفُ هناك وتُشاهدُها. نقرتَ أن بخفَّةٍ على الزُّجاجِ، فرأتَ سنثيا تجفُّ وتلتفتُ نحوَ الصَّوتِ. ضغطتَ أن وجهها على الزُّجاجِ. لاحظتَ أنّ سنثيا لا تعلمُ ماذا ستفعل. لكنَّها تقدَّمتَ بعدَ ذلك وفتحتَ البابَ بضعةَ إنشآت. سألتَ سنثيا ببرود:

- ماذا تريدان؟

- هل بإمكانني الدُّخول؟

سألتَ أن بصوتٍ مُحايدٍ، كان صوتها ودودًا حتَّى. نظرتَ إليها سنثيا بحذرٍ لكنَّها لم تقلَ لا، ثمَّ تراجعتَ إلى الخلفِ. فتحتَ أن البابَ ودخلتَ، ثمَّ أغلقتُه خلفها بهدوء. عادتَ سنثيا إلى المنضدةِ وهي تلتفتُ حولها بحذرٍ.

- كنتُ أعدُّ شايَ البابونجِ، هل تُريدان القليل؟ يبدو أنّ كلينا لا نستطيعُ النومَ هذه الليلة.

- بالطبع، لمَ لا؟ (قالتَ أن موافقةً).

شاهدتَ أن سنثيا تشغُلُ نفسها بإعدادِ كوبٍ آخرَ من الشَّاي لها، وبدتَ متوتِّرةً.

- إذا، لمَ أنتِ هنا؟ (قالتَ سنثيا بخشونةٍ وهي تُقدِّم الكوبَ إليها).

- شكرًا لك.

قالت آن ذلك وهي تجلسُ في مكانها المُعتاد على طاولةِ المطبخ، كأنَّهما ما تزالانِ صديقتين، تجلسانِ وتتحدَّثانِ مع كوپٍ من الشَّاي. تجاهلتْ سؤالَ سنثيا، نظرتْ في أرجاءِ المطبخِ وهي تنفخُ الشَّاي ليبرد. كأنَّه لا يوجدُ شيءٌ مُعيَّن يخطرُ على بالها على الإطلاق. ظلَّت سنثيا واقفةً خلفَ المنضدة. لن تدَّعي أنَّهما ما تزالانِ صديقتين. درستها آن بعنايةٍ من خلفِ حافةِ فنجانها. بدتْ سنثيا مُتعبةً وأقلَّ جاذبيَّةً. لأوَّل مرَّة، باستطاعةِ آن تخيُّل شكلِ سنثيا حينَ تشيخ. قالتْ آن بلا مُبالاة:

- استعدنا كورا. على الأرجحِ سمعتِ.

أدارتْ وجهها نحوَ الجدارِ المُشتركِ بينهما، لا بُدَّ أن سنثيا سمعتْ صوتَ الطُّفلة تبكي عبره. قالتْ سنثيا:

- يا لها من أخبارٍ سارَّة!

يفصلُ بينهما رفُّ المطبخِ وعليه مجموعةُ سكاكين. آن تمتلكُ المجموعةَ نفسها في منزلها؛ كانَ عليها عرضٌ خاصٌ في متجرِ البقالةِ منذ زمنٍ طويل. وضعتْ آن فنجانها على الطاولةِ وقالتْ:

- أردتُ إيضاحَ أمرٍ ما.

- إيضاحَ ماذا؟ (قالتْ سنثيا).

- لن تبتزِّينا بذلك الشَّريطِ مُجدِّداً.

- أوه حقاً؟ ولمَ ذلك؟ (قالتْ سنثيا كأنَّها لا تُصدِّقُ ما يحدثُ. ظنَّت أنَّه مُجرَّدُ تظاهرٍ).

قالتْ آن:

- لأنَّ الشُّرطةَ تعلمُ ما فعلهَ ماركو، أخبرتهمُ بشأنِ شريطكِ المُصوَّر.

- أحقًا؟ (بدت سنثيا مُرتابةً، تشكُّ أنْ آن تكذبُ عليها). لِمَ قد  
تُخبرينهم بذلك؟ ألنْ يُدخله ذلك السِّجْن؟  
قالت آن:

- أوه، انتظري... ألسْتِ أنتِ مَنْ تُريدينَ زهابه للسِّجْن؟  
نظرتْ إلى آن بفوقيةٍ وقالت:

- لا أستطيعُ لومك.

- ماركو لن يذهبَ إلى السِّجْن. (قالت آن).

- لستُ مُتأكدةً بشأنِ هذا.

- أوه، إنِّي مُتأكدة. ماركو لن يدخلَ السِّجْنَ لأنَّ والدي -عشيقك-  
اعتقلَ بتهمةِ القتلِ والخطفِ، الأمرُ الذي تعرفينه الآن بالتأكيد.

شاهدتْ آن ملامحَ سنثيا تتشجُّ ثم قالت:

- نعم، إنِّي أعرفُ بشأنِ كُلِّ شيءٍ يا سنثيا. أمِّي عيّنتُ مُحققًا خاصًّا  
ليُراقبكما أنتما الاثنتين. لديها الصُّورُ والفواتير وكلُّ شيءٍ.

رشفتْ آن الشاي مُستمعةً.

- علاقتكما السريّة لم تعدْ سريّةً بعد الآنِ على الإطلاق.

أصبحتْ الكرةُ في ملعبِ آن الآن، وقد أعجبها ذلك. ابتسمتْ في وجهِ  
سنثيا.

- وإنْ يَكُنْ؟ (قالت سنثيا أخيرًا، لكنَّ آن ترى أنَّها ستفقدُ أعصابها).

- ما قد لا تعلمينه أنَّ ماركو توصلَ لتسويةٍ مع الشرطة.

رَأَتْ أَنْ عِلَامَاتِ التَّنْبُهِ عَلَى وَجْهِ سَنَنْيَا، فَدَخَلَتْ بِصُلْبِ الْمَوْضُوعِ  
الَّذِي أَنْتَ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَتْ:

- كُنْتُ فِي هَذِهِ اللَّعْبَةِ طَوِيلَ الْوَقْتِ. عَلِمْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ.
  - لَا أَعْلَمُ بِأَيِّ شَيْءٍ (قَالَتْ سَنَنْيَا بَازِدْرَاءَ) سِوَى أَنَّ زَوْجَكَ خَطَفَ  
طِفْلَتَهُ مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ.
  - أَوْه، أَعْتَقِدُ أَنَّكَ كُنْتَ تَعْلَمِينَ جَيِّدًا، وَأَنَّكَ ضَمَنْ خُطَّةِ أَبِي، جَمِيعُنَا  
نَعْلَمُ كَمَا تُحِبِّينَ الْمَالَ. (قَالَتْ أَنْ وَلاَحَتْ عِلَامَاتِ الْحَقْدِ عَلَى  
وَجْهِهَا) رُبَّمَا أَنْتِ مِنْ سَتَذْهَبِ إِلَى السَّجْنِ.
- انْقَلَبَ وَجْهُ سَنَنْيَا.

- كَلَّا! لَمْ أَعْلَمْ مَاذَا فَعَلَ رَيْتِشَارْدَ، لَيْسَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُهُ عَلَى التَّلْفَازِ  
اللَّيْلَةِ. لَمْ أَكُنْ مَتَوَرِّطَةً بِالْأَمْرِ، طَنْنْتُ أَنَّ مَارِكُو فَعَلَهَا. لَا يُمَكِّنُكَ  
إِثْبَاتُ أَيِّ شَيْءٍ ضَدِّي، لَمْ أَقْتَرِبْ مِنْ طِفْلَتِكَ حَتَّى!

قَالَتْ أَنْ:

- لَا أَصَدِّقُكَ.
- لَا أَكْثَرُ لَأَيِّ شَيْءٍ تُصَدِّقِينَ، إِنَّهَا الْحَقِيقَةُ.
- مَاذَا حَدَثَ لَكَ يَا أَنْ؟ كُنْتُ مُمْتَعَةً وَأَكْثَرَ مَرَحًا مِنْ قَبْلِ، حَتَّى أَنْجَبْتَ  
طِفْلَةً. تَغْيِيرُ كُلِّ شَيْءٍ. هَلْ تُدْرِكِينَ كَمَا أَصْبَحْتَ مُمْلَةً وَمُكْتَنَزَةً؟  
مَسْكِينُ مَارِكُو، أَنْسَاءُ لِكَيْفَ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ.
- لَا تُحَاوِلِي تَغْيِيرَ الْمَوْضُوعِ، لَا بَدَّ أَنَّكَ كُنْتَ عَلَى عِلْمٍ بِمُخْطَطَاتِ  
أَبِي، لِذَا لَا تَكْذِبِي. (قَالَتْ أَنْ بِصَوْتٍ يَرْتَجِفُ مِنَ الْحَنَقِ).

- لن تستطيعي إثبات ذلك، لأنَّه غير صحيحٍ ببساطة. (قالت سنثيا ذلك، ثمَّ أضافت بلوِّمٍ شديد) لو كنتُ متورِّطَةً بالأمر، لما تركتُ الطِّفلةَ تنجو. أستحسنُ لو أنَّ ريتشارد قتلها منذُ البداية. لسبِّب ذلك مشكلاتٍ أقل، ولكنها نعمةٌ في إيقافِ بُكاءِ تلكِ الطِّفلةِ المزعجةِ المُستمر.

بدا الخوفُ على سنثيا. أدركتُ أنَّها تَمَدَّت كثيرًا. اهتزَّ كرسيُّ آن فجأةً إلى الخلف. ملامحُ العجرفةِ المُعتادةِ على وجهِ سنثيا تحوَّلت إلى فزعٍ. فنجانها الصِّيني تهشَّم على الأرضِ مُترافقًا بصرخةٍ شنيعةٍ تصمُّ الأذان.

\*\*\*

نامَ ماركو بعمقٍ، لكنه استيقظ فجأةً في مُنتصفِ اللَّيل، فتحَ عينيه. كانَ المكانُ مُظلمًا جدًّا، لكن هناك أضواء حمراء تلوُّح في أرجاءِ الغرفة، أضواء سيَّارةِ الإسعاف. كانَ الجانبُ الآخرُ من السَّريرِ فارغًا. لا بُدَّ أنَّ آن استيقظت مُجددًا لتُطعمَ الطِّفلة. نهَضَ ومشى نحوَ نافذةِ الغرفة التي تطلُّ على الشَّارع. رفعَ السُّتارةَ وحدَّقَ جيِّدًا. إنَّها سيَّارةُ الإسعاف، مركونةٌ تحتهُ مباشرةً وإلى اليسارِ قليلًا، أمامَ منزلِ سنثيا وغراهاام.

تصلَّبَ جسدهُ كُلُّه. الآن يرى سيَّاراتِ شُرطةِ سوداءٍ وبيضاءٍ تقفُ في الجانبِ المُقابلِ من الشَّارع، والمزيدُ منها يصلُ وهو يُشاهد. ارتعشت أصابعُهُ وهي تمسكُ السُّتارةَ رُغمًا عنه. بدأ الأدرينالين يُضحُّ في عروقه. خرجت نقالةٌ من المنزلِ محمولةً من قِبَلِ اثْنينِ من مُرافقي الإسعاف. لا بُدَّ أنَّ أحدهم على النِّقالةِ، لكنَّه لا يستطيعُ أن يرى حتَّى يتحرَّكَ المُسعف. لم يكونوا على عجلةٍ من أمرهم. بدَّل المُسعفُ مكانه. فرأى

ماركو أحدهم على النَّقَالَةِ، لكنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ تَمييزُهُ لِأَنَّ الوَجهَ مُغَطَّى بِالكَامِلِ. أَيَّا كَانَ مَنْ عَلَى تِلْكَ النَّقَالَةِ فَهُوَ مَيِّتٌ.

بَدَأَ الدَّمُ يَتَدَفَّقُ مِنْ رَأْسِ مَارِكُو، شَعَرَ أَنَّه سَيَفْقَدُ وَعَيْه. أَثْنَاءَ مُرَاقِبَتِهِ رَأَى حَزْمَةً مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ فَاحَمَ تُفَلَّتْ خَارِجَ النَّقَالَةِ.

نَظَرَ إِلَى السَّرِيرِ الْفَارِغِ. «يَا إِلَهِي! مَاذَا فَعَلْتِ يَا أَنْ؟» هَرَعَ خَارِجَ الْغُرْفَةِ وَأَلْقَى بِنَظَرَةٍ سَرِيعَةٍ عَلَى غُرْفَةِ الطِّفْلِ. كَانَتْ كُورَا نَائِمَةً فِي سَرِيرِهَا. بَدَأَ الْهَلُوعُ يَتَمَلَّكُهُ. سَارَعَ بِنِزْوَلِ السَّلَامِ، ثُمَّ تَجَمَّدَ فِي غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ الْمُظْلَمَةِ. اسْتَطَاعَ رُؤْيَةَ جَانِبٍ مِنْ رَأْسِ زَوْجَتِهِ، تَجَلَّسَ عَلَى الْأَرِيكَةِ ثَابِتَةً تَمَامًا. اقْتَرَبَ مِنْهَا وَالْفَزَعُ يَعْتَرِيهِ. كَانَتْ مُسْتَرْخِيَةً عَلَى الْأَرِيكَةِ تُحَدِّقُ أَمَامَهَا كَأَنَّهَا مُنْتَشِيَةٌ، لَكِنْ حِينَ سَمِعَتْهُ يَقْتَرِبُ مِنْهَا أَدَارَتْ رَأْسَهَا. حَمَلَتْ سَكِينِ التَّقْطِيعِ الْكَبِيرَةِ فِي حُضْنِهَا. أَضْوَاءُ سَيَّارَاتِ الْإِسْعَافِ الْحَمْرَاءِ فِي الْخَارِجِ تَدُورُ عَلَى جُدْرَانِ غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ تُغْرِقُهَا بِنُورٍ مَتَوَهِّجٍ. رَأَى مَارِكُو أَنَّ السَّكِينِ وَيَدَيْهَا قَانِيَتَانِ، قَانِيَتَانِ بِلَوْنِ الدَّمَاءِ. كَانَتْ مُغَطَّاءَةً بِالدَّمَاءِ. هُنَاكَ بُقْعٌ غَامِقَةٌ عَلَى وَجْهِهَا وَفِي شَعْرِهَا. شَعَرَ بِالْغَثِيَانِ وَكَانَ عَلَى وَشِكِ التَّقْيُوءِ.

- أَنْ، (هَمَسَ بِصَوْتِ أَجَشٍ مُتَقَطِّعٍ). أَنْ مَاذَا فَعَلْتِ؟

نَظَرَتْ إِلَيْهِ فِي الظَّلَامِ وَقَالَتْ:

- لَا أَعْرِفُ، لَا أَدْرِكُ شَيْئًا.

مكتبة

t.me/t\_pdf

## المنزل المجاور

يستحيل أن تعرف ما الذي يجري خلف الجدار.

أخبرتكَ جارتُك أنها لا ترغب بوجود طفلتك ذات الستة أشهر في أمسيّتها. لا لأسباب شخصيّة، لكنها لا تطيق بكاءها وحسب. قال زوجك: إن كل شيء سيكون على ما يرام، فممنزلكم مَلاصق تمامًا، وستستخدمان جهاز مراقبة الطفلة، وتتناوبان على العودة كل نصف ساعة.

كانت ابنتك نائمة حين تفقدتها آخر مرة، لكن الآن، بينما تصعدين السلم مُسرعةً في منزلك الموحش هدوءه، ها هي أسوأ مخاوفك تتجسّد أمامك. لقد اختفّت.

لم تضطري إلى الاتصال بالشرطة من قبل، لكنهم في منزلك الآن، فما الذي سيحدثونه؟

ما الذي قد تفعله أنت حين تتعامل مع أحداث تُفوق طاقة تحمّلك؟

يذهب ماركو وأن إلى أمسية في المنزل المجاور، ويعودان ليجدا طفلتهم الوحيدة مفقودة. تجربهما الفاجعة على مواجهة الكثير من المخاوف، وتطرح أسئلة عديدة تسلخ طبقات الوهم الذي تعيشه العائلات - وبالأخص الغنية منها. (المتريجة)

"تسارعت أفكارها وأصبحت أقل عقلانية؛ استحوذت عليها أفكارها. في حالات كهذه، لا تفقد قدرتها على التفكير المنطقي، بل تصبح الأمور منطقية أكثر أحيانًا. وتعيش منطقيًا شبيهًا بمنطق الأحلام حيث لا ترى مدى غرابة ولا عقلانية الأمر حتى تستيقظ منه" - في المنزل المجاور.

